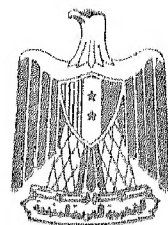
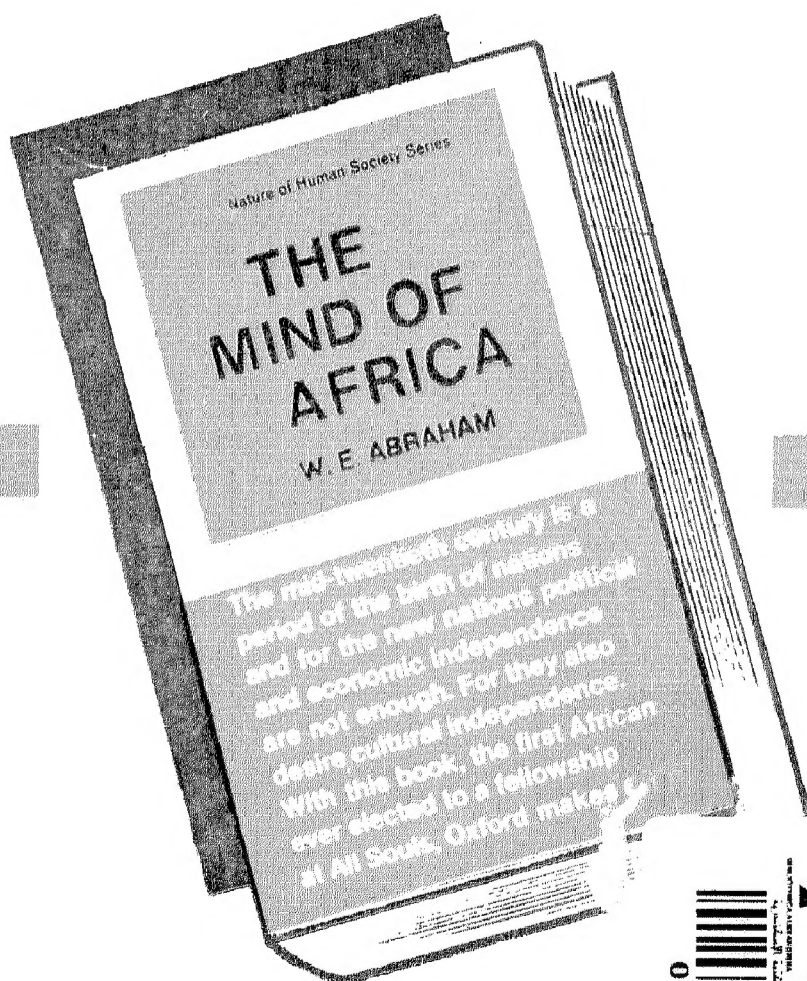




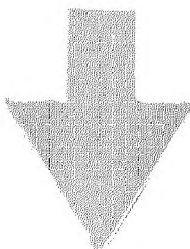
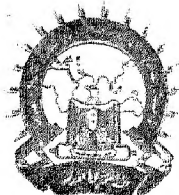
اخترنا لك



# كيف تفكر افريقية؟



بقلم: و. ا. ابراهيم  
مترجم: فخرى حسن





الأستاذ الكبير  
 محمد العزيز براهيم  
 رئيس قسم اللغة العربية  
 الاسكندرية

اخترونال



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
 Bibliotheca Alexandrina

# كيف تفكر افريقية؟

الكتاب	العدد
960	
م. ب. ك.	
رقم الكتاب	رقم العدد

بقلم: د. ابراهيم  
 سيرة: خيرى حماد





## تقدمة المغرب

كاتب الفاره الافريقيه في معظم أرحائها حتى سموات حلب صندوفها معلما تقوم الدول الاستعمارية على حراسه بأساطيلها وقواها المسلحة وأنظمتها الاستعمارية الجائره ، فهي البقره الحلوب التي يسز من خاماتها المواد الأولية اللازمة لصاعاها . وهي السوق التي يبيع فيها هذه المواد بعد أن سسصنعها وبحولها الى سلع جاهزة لتعيد تصديرها اليها بأسعار خيالية يكون فيها الغنم للاستعمار ، والغرم على الشعوب الافريقية المحرومة من كل شيء حتى من حق التنفس بانطلاق .

وكانت هذه الدول الاستعمارية نصرب بطافا من الفولاذ على هذه الفارة بقواها العسكريه ، فنرايط على سواحلهما ، ويسر بعض قواها في داخلها ناركه القبايل التي يعبس سى هذا الداخل ، يعبس في ظلمات الجهل ، وبعاني من شظف العيس وسقائه مايعانيه . ولم يكن يسمح بدخولها الا للجوابين يطوفون أرجاءها ، والوكلاء والعيون بجوسون مجاهلها وأدغالها ، بحيا عن مغنم وتقيبا عن معدن جديد يفتربه الفوى الاستعماريه الجشعة . وكان هؤلاء الوكلاء - يسكرون في أزياء رائقة ، مصنعة ، هي مسوح الرهبان حيا ، أو لناس رجال العلم أحيانا - ندعوا سر المسيحية وهم منها براء ، لاهم يحالفون أولى بعالمها في مساراه الانسان بالانسان . وفي مسئولية الفرد أمام حاله ، ويرعمون التنقيب والبحث عن الدراسات العلمية في كل ميدان ، مع ايهم يتنكرون للعلم ومبادئه في أبسط صوره ، وهي أن تناح فرصة للناس جميعا ، وأن يكون هدفه الحفاظ على كرامة الانسان .

ولم تكن هذه السلطات الاستعماريه ، تسمح للأفريقيين بمصادرة فارتهم الا اذا خرجوا منها عبيدا يباعون في أسواق النحاسه ، أو اجراء للاستعمار ، يذهبون الى معاهده في الغرب ، ليعودوا منها ، عملاء يسرون نولا قلة نادرة منهم أبت لهم طبيعهم الصافية النقية ، وإبماهم بأوطاهم أن يستجيبوا لأهداف الاستعمار وغاياته بالنعم «الرائقة» التي يفدقها الغرب على أفريقيا ، وبالعمل الذي يقوم به لنهضها وتقدمها .

لكن الباراد الافريقي الجبار ، مالت أن يجاوب مع الروح الحرة

التي سيطرت على العالم بأسره في الحصب الاخيره . ولا سيما في اعقاب الحرب الكوبية الثانية . وراح بململ في فمقه ، منعجرا على شكل بورة داميه هنا . ونضال سعبي هناك . يسد الحرية ويطلب الاستقلال ويلج في تنفيذ الدعاوى ، التي طلع بها مبساق الاطلسي ابان الحرب العالمية الثانية وأقربها سريعة الامم المتحدة في حق كل شعب في تقرير مصيره .

وخاصت الشعوب الافريقية معارك المحرر واحدة أتر أخرى ، وانبرى فادتها وبعضهم ممن درس في معاهد الغرب وجامعاته ، يكيلون الصربات للاستعمار ضربة بعد ضربة يريدون تطهير قارهم من رجسه وانفاذها مما حمله اليها من استعباد وظلم ، وعنصرية . وأخذت الدول الافريقية المسفله تظهر الى حير الوجود بصورة متتابة فيعرف العالم بوجودها . ويصبح مملة في الامم المتحدة ، حتى عدت هذه الدول تمثل أكبر مجموعة عالمية فيها وأكثرها عددا . واذا كان بعض البلاد الافريقية مازال يرزح تحت نير الاستعمار حتى الآن ، ويعاني ويلات الاضطهاد العنصرى التي نزلها به الاقليات الاوربية المستوطنة . فان عجلة التاريخ لن تنوقف ، وحنمية المحرر لن تنأخر في افامة الدليل على صحتها وسينجلي نفع المعارك التي تخوضها هذه البلاد والتي تلقى العون والنصره فيها من أخواتها المحررات ، عن علم الحرية ، مشرعا فوق الفارة من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها لنسير في طريق الوعي التقدمي الصحيح وتطرح عن نفسها اغلال الاستعمار الجديد ، الذي نود الدول الاستعمارية التي أقل بحجمها ، أن يفرضه على القارة . مستخدمة السلاح الاقتصادى كوسيلة لضمان التبعية السياسية اللامباشرة .

واذا كانت العارة الافريقية قد قطعت سوطا طويلا في طريق استقلالها السياسى ولم يعد أمامها الا استكمال هذا الشوط في مراحلها الأخيرة لتحرر ما تبقى من أجزاء القارة تحت نير الاستعمار وسلطانها ، فان الطريق مازال طويلا أمامها لتأمين الاستقلال الاقتصادى الكامل . الذى لامعنى للاستقلال السياسى بدون . وما زالت هذه الطريق ملأى بالاشواك بل وبالصحور والجنادل التي بؤلف السوق الاوربية المشتركة واحدة منها ، بل أصخمها وأكثرها وعورة ، وينحنم على هذه القارة التي تحررت أن نذلها ؛ لتصل الى هدفها الذى تسعى اليه فى التحرر الكامل والتعاون الذى يحمل شتى المسميات ، ومنها تعبير الجامعة الافريقية .

ولم تكن حتى سنوات قليلة . نعرف الا النزر البشير عن هذه القارة وكان ما نعرفه عنها ، فى الغالب ، أوروبى الصنائة ، استعمارى النزعة ؛ ولكن الحقة الاخيرة حملت اليها كثيرا من الكتب والمؤلفات

والمقالات والبحوث التي حاصبت ميادين البحث في السئون السياسسيه والتاريخيه والاقتصاديه . دون برير على النواحي الاجتماعيه أو المعافيه أو المعريه . وظلت هذه النواحي بالنسبه اينما مجهولا من المجاهيل التي اراد الاستعمار منها أن تكون الصورة التي يحملها العالم عن هذه « القاره السوداء» على حد سميته . لئلا المسان الذي يحتاج ، كما يدعى الاستعمار ، الى معونه الحصاره العربيه للاحد بيده ، ومساعدته على الهوص والسير به في معارج التقدم . ولئلا يعمل هذا الادعاء وسيله لتحقيق عابانه في البقاء هناك . بسعل حيرات القاره . وبينز أموالها وبسحر أيديها العامله تحت سمار «الأبوة» الكاديه ، والحان الزائف .

ولعل هذا الكتاب الذي سعله الى العراء العرب اليوم ، والذي وضعه مؤلف من أبناء القارة الافريقيه نفسها ، هو الاسناد ابراهيم . من الكتب القليله البادرة التي حاولت الفاء أصواء صحيحه لامحيزه وإن كان السائر بتقافات العرب واتجاهاته لم يجنبها معبه الردى أحيانا في هوه التحير على الجواب المتعلقه بتقافات القاره الافريقيه ، وحصارها الفكرية . لاستكمال استقلالها الحضاري الذي لايعنى بحال من الاحوال فرص الحصار الثقافي عليها أو العزله الفكرية عن الحصارات الاساسية الاخرى وانما يعنى أولا وقبل كل شئ ، تصوبر المفاهيم والقيم الافريقيه على حقيقتها مستمدا معالم الصورة من التاريخ والمفاهيم والقيم ، وبيان ماتحتاج اليه هذه الصورة من قيم ومفاهيم جديده لتتحول من صورة موضوعية تمثل الحاضر الى صورته تطلعيه تمثل المستقبل والعد المرجو .

وأرى لزما على في هذه المقدمة أن أبطل الى القاريء العربى ، مقالته أحد النقاد الغربيين الذي يسوحي الموضوعية في غالب ما يكتب في الحدب عن كتابنا الذي يعربه . . لقد شهدت أواسط القرن العشرين مولد دول جديده حصلت على استقلالها السياسى والاقتصادى . ولكن هذا الاستقلال لم يعد كافيا بالنسبة اليها ، اذ أنها تسعى الى تحقيق استقلالها الثقافي أيضا . ولارب في أن هذا الكتاب الذي وضعه أول أفريقي يحصل على مقعد «الأساذبة» في جامعة أوكسفورد هو اسهام رائع يحمل كل معانى التحدى في السقاس الدائر عن مستقبل الفكره والثقافة في أفريقيا .

يسهل المؤلف كتابه بمنافسة لمفاهيم الثقافة الدفيقة ويدعمها بالشروح والأسانيد المسهبة والمفصلة عن مجتمع يضم أكبر الجماعات اللغوية وأهمها في عانا ، وهو مجتمع الآكان . سارحا في مناقشته هذه نظرات هذا المجتمع الى الحياة . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى درس وقائع التاريخ الافريقى وصوره ، والاتصال بين أفريقيا وأوربا ، وأما القاره الافريقية السياسية والاقتصادية ومشاكلها مناولا شنى المواضيع التي

يواجهها هذا الشعب الجديد أثناء بحثه عن روحه الجماعية . ولعل أبرز ما في الكتاب هو هذا الجمع الرائع بين النقاش الرفيع والاسلوب الدقيق والشرح الوافي .

ولهذا الكتاب أهمية مزدوجة ، الأولى أنه صورة دابة فكريه للجيل الرابع من الافريقيين المنفيين . والثانية انه اسهام مهم لعنه في حق هذا الجيل في مشاكل الفاسف والفوميه ، والسياس والاحلاق والسير مع القدم الاجتماعى في عصر بسوده البديل السريع والخطير . وقد بدور بطوير غانا ونموها سابقة للاجراء الباقيه من افريقيا ولا ريب في ان هذا الكتاب يسهم اسهاما باررا في المناقشات السياسية الدائره في غانا وفي المناطق الغربيه من افريقيه .

ولد المؤلف في عام ١٩٣٤ ، ونحرج من قسم الفلسفة في جامعه غانا في عام ١٩٥٧ والحق بجامعة اكسفورد حيث حصل على درجه «الاستاذيه» في الفلسفة منها بم عمل معيدا في احدى كلياتها ، كما عمل محافظا لمدرسة الدراسات السوفيه والافريقيه في جامعه لندن . وقد طاف المؤلف بعدد من بلاد آسيا وأوربا وأمريكا ثم اصبح اساذا مساعدا للفلسفة في جامعه غانا .

والكتاب في مجموعه دراسه رفيعه للسواحى العقليه والفاسف والفكريه في الحضاره الافريقيه القديمه ، مع اسساعاف لتطلعات افريقيا في هذه المحالات واستجلاء لما يقوم من ارباطات بينها وبين السواحى الممانله لها في حضارات أوربا من غربيه رأسمالية أو سرفيه استراكيه . وهو في الوقت نفسه دراسه موضوعيه لبعض المسائل التى نسغل أدهان الفاده الافريقيين ، كالجامعه الافريقيه ، وعلاوه افريقيا بالسوق الاوربيه المشتركه ؛ والاستقلال الاقتصادى واستغلال الموارد الطبيعيه والمعدنيه وسياسه الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، والتكتلات الاشريقيه الافليميه والاضطهاد العنصرى ، والنطلعات الايجابيه الى غد مشرق زاهر .

واذا كنت قد اخنلعت مع المؤلف في بعض آرائه وانجاهانه مبينا وجهه نظرى في كل مسأله من المسائل في الشروح والهوامس ، فان هذا الاختلاف لايعنى مطلقا اننى أقلل من قيمة الكتاب الذى أضعه بين أيدي عرائنا العرب اليوم . فهو في نظرى دراسه رائعه ، تسحق أن تقرأ بامعان وتفهم عميقين ، وجديره بأن تلقى كل عناية وكل تقدير .

القاهرة في ٥ ابريل ١٩٦٣

خيرى حماد

الاهداء...

لنأخذ...  
شعب أفريقيا



الأستاذ الدكتور  
محمد العزيز براهيم  
رئيس قسم اللغة العربية  
الاسكندرية

## مقدمة

نبت معى الفكره الحافزه على وضع كتاب يتناول العمليه التاريخيه  
التي نتمخض عنها الفساره الافريقيه فى هذه الايام ، نتيجة عدد من  
المناقشات والندوات والاحاديث التي اشتركت فيها . ولا ريب فى ان  
الحاجه الى فهم هذه العمليه التي سطوى على الكثير من التطورات ملحه  
كل الالحاح . ولكن هذا الفهم يتطلب شيئا من التحليل ، ويتطلب  
التحليل من ناحيه ايضا وجود مجموعه من الافكار القيادية ، ولا يساعد  
هذا الهيكل بدوره على الكشف عن القوى الهائلة التي احبب فى التالى  
فى الفساره الافريقيه فحسب ، بل يحجر النعاب ايضا عن تلك التكييفات  
الصامته ، التي تحدد صورة الشعب ومبادئه ومواقفه ، ورعيله ومكارهه  
وما ننطوى عليه من قوى دافعه .

ويحتاج المرء ليكون تحليله موضوعيا ، الى الدنو من صفات العريب  
الذى لا يحس بما يحس به الاهلون من ناحية ، ومن صفات القريب الذى  
يعرف خفايا الامور ودقائقها من الناحية الاخرى ، ولما كنت افريقيا ،  
فان نوازعى الداخلية تتجاوب مع تبعات الوعى الجماعى فى افريقيا ،  
ولكن اختياري عصوا فى هيئه « جميع الارواح » ذات الطابع العالمى ،  
مكنتنى من تقدير ما يميز به الفكر من حرية ، ومن ترابط ، ومن اتصال  
وهى تمارر يساعد على وجودها الانقسام الطبيعى عن التطورات التي  
يتولى المرء تحليلها .

ولم اكنف بمجرد سرح القوى التي تعمل فى افريقيا وفصلها  
ونفنيدها ، أو وصف الشعوب البنى اطلقت هذه القوى من عقالها ، فى  
وسطها . ولكسى سعيت للكشف عن ذلك الهيكل الذى يعمل هذه  
القوى فى داخله ، والذي يعرض شعب افريقيا فى الوصح الانسانى  
للمجتمع الذى يعيش فيه . ولكل مخنم عميدته الخاصة ؛ ولا ريب فى  
أن هذه العقيدة هى التى تقدم المادى التي تقرر أهمية الاحداث ذات  
الخطورة ويحددها . ويعنى الجزء الاول من الفصل الاول بايضاح هذه  
المهمة وشرحها . وقد يبدو هذا الجزء من الكتاب منطوبا حتما على شئ  
من الاطلاقيه ، لكنه من الناحية الاخرى متناه فى الدقة ، انه هو فى الحقيقة  
العامل الذى يربط أحزاء الكتاب بعضها الى بعض . وحاولت فى الفصل الثانى  
أن أحلل المركب النظري الذى يسود محتمعا افريقيا واحدا ، وأن أشرح

كيف يمكن لهذا المركب أن يكون صورة عن أفريقيا كلها . وتوليت في الفصل الثالث دراسة الطريقة التي ضاع فيها الاستقلال ، والطريقة التي سم منها اسعاده على صوء المشاكل المعروضة على أفريقيا والوسائل التي طورت فيها افريقيا طرق معالجتها لهذه المشاكل . أما في الفصل الرابع والاحير ، فقد قمت بدراسة مشاكل افريقيا على صعيد القارة كلها، وأظهرت أن الوحدة الافريقية تخرج من هذه الدراسات وهي تعرض الحل الأمل لكافة المشاكل .

وانى لأحس بالكثير من عرفان الجميل لكافة أولئك الافارقة أو غير الافارقة الدين أرغموني في مناقشاتهم معى على التفكير في هذه التباراب التي بحس بها الانسان .

وانى مدين قبل كل شيء ، للدكتور فوامى نكروما الذى بعصل بمطالعة مخطوطات هذا الكتاب قبل طباعتها .

ليفون ١٩٦٢ .

ويلى . اى . ابراهيم



## العقيدة والمجتمع

« الثقافة وأهمية الاحداث ، طبيعته الثقافية - الاعتمادات التاريخية  
الأنسنة والاستتغال - الأنسنة والنطور . التحليل الاساسى العلهى  
للانسان : العلاقة مع السياسة - قواعد المجتمع رأسه - فوائد الثقافة  
الاتصال الافريقى باوروبا - الاتصال الافريقى بالنرق الاوسط -  
الطبيعة التقليدية لافريقيا - النسخة الثانية عن الفردوس - نسب  
مزعوم » .

مع كافة الاحداث ذات الاهمية الكبيره فى اطار احدى السمات  
وستبقى أهميتها فى حكم الواقع من السهولة التى تجد نفسها فيها . وكبرا  
ما يحدث ، وسيحدث حتما ان يجد أحد هذه الاحداث الذى يقع على حدود  
معانين مختلفين نفسه وقد أحيط بأهميه محله وحوى بطاقات محله  
على اتاره ردود فعل قوية ، وبطاقات منبينة على تقرير اتجاه السياسات  
النابعة منه ، ويثير هذا الوضع على الفور المسائل لعدد من الاظلمه الى  
سطوى قبل كل شئ على التاريخ والعلم الاجماعى لاصول الانسان .  
وتنير كتابة تاريخ لنقافة تسمى الى وسط غير الوسط الذى تكتب فيه  
ولا يفهم بينهما أى تشاكل أو تماثل من ناحية الأحداث والأوضاع المعنية  
بالكثير من المسائل الخطيرة التى ننطوى على التحيز النقاسى والتنسويه  
المنعقد . ولا يعرض مثل هذا التاريخ بحكم الحتمية أية موضوعية ، كما  
لا يمكن له أن يعرض بأية صورة من الصور ، التحرر من اللون النقاسى  
الخاص بهذا التاريخ . ولا يمكن لأية نقافة دخيلة ، أن تقدم على صعيد  
الموضوعية التى تتعلق بتقييم الاحداث والحفائى أية مجموعة بدلة من  
الأهواء .

وتكون الفرارات السريعة ، وأوصاع التأقلم التى تجد البلاد الافريقية  
نفسها فيها ، والنبدلات المنطوية على الكثير من الجهد ، فى أويقات الانتقال  
السياسى من طرار الاحداث . وتكون الاسس العفلية الكمينية ، اذ أن كل  
ثقافة ننطوى على أساس عقلى وكذلك التأقلم الصامته التى تقرر كل ما  
يجب الحفاظ عليه وما يجب الخلاص منه ، عرضة للظهور ، عن طريق  
تعريض ما ننطوى عليه الثقافة المعنية من تعقيدات نظرية . وهناك دائما  
مثل هذا التعقيد الذى يظهر فى تنابك القيم الثقافية والتميز الثقافى ،

لكن فله من الناس ليس الا ، هي النى تنصرف بعنايتها بالطمع الى الاسهام  
فى الساحة الطرحة لا فى الساحة العملية من السقافة .

وبمه نروة صخمة فى أفربعا من الفكر العامة البفليديه ، السى نعرض  
نفسها بوصوح فى الاوضاع الطرية الراهنة لسياسات هذه القارة ومجسعتها،  
وكذلك فى طبيعات الدول المسفلة منها الى حد كبير . ومن المهم كل  
الأهمية القيام ببعض النحيفات فى نظريات هذه النعافات ، ولا رب فى  
أن هذه النحيفات هى السى سفسر النعاف عن أى السواحى من نعافات  
لغرب أو الشرق أو غيرها من النعافات الأجبية يمكن أن سمرع فى  
افريقيا . وعن تركيب التعديلات التى قد نعرض لها . وقد أسار الآب  
بلاسيدتميلز الى هذا الطراز من الدراسة عند حديثه عن قبائل البالوب  
فى الكونجو .

ولم أحاول سينام هذا العيل هنا ، ولكننى حاولت فى هذا الصدد  
أن أبين ما فى مثل هذه النحيفات من أهمية . ولم يكن من السهل على  
انناء هذه العملية أن أجنب ابراز بعض الاخطاء المعينة ، وبعضها جسم  
للغابة ، التى قاد اليها التبلد فى الاحساس بأهمية مثل هذه النحيرات . وقد  
يكون هذا العمل نظريا الى حد ما ، ولكنه ليس بالسئ النظرى كل  
النظرية . وقد يكون الناحية النظرية فيه مقتصره على قدره على مكين  
المرء من رؤية بعض القضايا التى ناربصورة عامة بالنسبة الى افريقيا . وهو  
بحاول من الساحة الأخرى بكىك بعض التعقيدات الناجمة عن اتصال  
افريقيا بأوروبة أو بالشرق الأوسط ، ويعالج فى نفس الوقت آمال  
المستقبل مرتكزة الى التركيب الحدد الناحم عن هذا التحليل والتفكيك ،  
واذا ما نظريا الى مسفيل افريقيا نظرة واقعة نبين لنا أن هذا المستقبل  
يجب أن يكون مرتبطا بهذا التركيب الحدد ، عن طريق نحائله فى كل  
شئ . وفى وسع المرء عن هذا السبيل ، أن بدرس بعض الأهداف القوية  
التى تعمل فى افريقيا اليوم ، وأن نفهم المسادى السى نعوم وراء هذه  
الأهداف .

وبخلف الناس فى اسنخدام كلمة « السقافة » ، واذا ما نوخينا  
المفهوم السامل لها . ببين لنا أنها نستخدم لتشمل كل ميدان من الميادين  
المتعلقة بحياة الناس ، سواء أكانت مبادئ خاصة أم عامة . واذا ما نظرنا  
الى هذا الاسعمال من هذه الزاوية ، تبين لنا أن التعبير بتشمل كل ناحية  
من نواحى المعرفة . والفنى والعلم والتقنيه ( التكنولوجيا ) والنبانات  
والأخلاق والطفوس والسياسات والأدب ، وحتى الأزياء وآداب السلوك  
وما اذا كان الناس فى مجتمع من المجتمعات يظفون أسنانهم ثلاث مرات  
يومية أو مرة واحدة ، ولكن اسنخدام الكلمة فى هذا الشكل لا يعطيها

الميريه الوصفية المجردة . فعندما يقال لك ان الرجل المثقف ، ينازل عن المقعد الذي يجلس اليه الى أنه سيئده فان في وسعك أن تباد من أن هذا القول الذي سمعت لا يعنى مجرد الوصف فحسب ، بل ويعنى الوصفيه أيضا . ومع ذلك فان استعمال هذه الكلمه فى شكلها الواسع هذا ، يعنى استخدامها جرئيا . ليعطى وصفا معينا . فهى ستعمل الى حد ما للتعبير عن رأى مبالغى ، أو مجموعه من المل . ولا شك فى حمية تفسير النفاقه فى هذا المعنى الى فئتين احدهما عامه والاخرى خاصه . ويكون النفاقه العامه أكثر دقة ونزما اد أنها تطلب بصورة جهرية مكسوفه ، والاستجام المعقول . ويبدو هذا السطلب واصحا فى عبارتى « أوبى أباء وأوبى - مبودى كوردا » الفلننيسيين بلغه الاكاي ، وتعنى العبارة الاولى أن هذا الاسان « منصف » كما تعنى العبارة البايه أنه « غير منصف » أو أنه « فط » و « خشن » ، ولا يعنى استعمالها بالنسبة لاسان مجرد وصف له بل وانهام أيضا . وينطبق هذا القول على كل مكان . ومن الصواب كل الصواب أن يعنى بوحبه اللوم الى اسان عندما يصعبه بأنه غير مثقف .

وهناك مع ذلك استعمال أصبى لهذه الكلمه ، وذلك عندما نحدد النفاقه بالأمور السى يصل بالفكر . وهنا سمل العبارة حيرة النجاج فى الأدب والباريح والموسيقى والرسم والنحب . ولكن هذه القائمة لا تشمل كل مجويات النفاقه أو ستتلف معانيها . فمن اللازم اللارب بالنسبة للفكر الاسانى اذا ما أمسك بناسيه مثل هذا « التنظيم » الرائع ، أن نحلى أيضا بطافه خاصه على « السم » سنطيع عن طريقه أن نحكم مسبقا على ما يفسسيغه وعلى ما بجواب به مع الاوصاع الموصوفه حكما « صحيحا » « سليما » . ولا ريب فى أن التقليد الزائف لهذه الحاسه هو الذى ندعى أحيانا بالتلفع الكريه والتعالى .

ولعل من الطريف هنا أن نورد الطريفة التى اكتسبت فيها هذه الكلمه ، ذلك المعنى الذى أشرت اليه ، فلقد اكتسبت هذا المعنى ، على ما أعترف ، بنيجحه عمليه للافتقار فى هذه الأيام الى كل ما كان الانسان المنقف يملكه من آراء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وهما قربا النهضه الفكرية ، فلقد كان فى مكنه الرجل الواسع النفاقه فى تلك الايام ميلا كليبنبتر (Leibnitz) (١) ، أن يكون أديبا بليديا ( كلاسيكيا )

(١) جوتفريد ويلهلم فريهير لينيس ( ١٦٤٦ - ١٧١٦ ) فيلسوف ألمانى وعالم رياضى مشهور . ولد فى لايزيخ درس القانون فى جامعته ، ثم درس فى جامعة بومريرج . وقد اشهر بالاقتراح الذى قدمه الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا لعزو مبر لتحويل انتباهه ومطامعه عن ألمانيا . ويعال ان نابوليون اعتمد الخطة التى وضعها لينيتز عندما غزا مصر . وقد احرع آلة حسابيه معقدة . وقد أصدر فى عام ١٦١٦ كتابا عن المفاهيم =

ومؤرخا وعالميا في اللاهوت . ومسرعا في الفضاء ، ورياضيا ، وعالميا في الطبيعه وفيلسوسا ودبلوماسيا وسياسيا . وكان ذلك العصر ايضا عصر « الرجل الموسوعة » أو الرجل دى الآفاق الواسعة في العلم ، الذى منل ديدرو (Diderot) (١) صورته المشرفة وفولتير (Voltaire) (٢) صورته المعتمدة القائمة . ولكن علينا أن نعترف هنا أن أوضاع التطور بالنسبة لهذه الأنظمة ، كانت في ذلك الحين من النوع الذى يمكن الفر من النعم في كثير من العروق ، وبتى كبير من الاسهاب والتفصيل ، وقد قام الفيلسوف الافريقى أنطوى ويليام امو الذى عاش في القرن الثامن عشر وحاضر في جامعات هيل وتينبرج ويينا الالمانيه ، بطبع سلسلة من المحاضرات التى القاها في المطق والمنافيزيما ( الغيبيات ) ، وعلم وظائف الأعضاء ( الفيسيولوجيا ) ، والعرافه والفلك ، ونظريه القانون . وفتح الكف ، مع الاسف أيضا ، وقد تمكن أيضا من امتلاك ناصية التاريخ والقانون . لكن هذه الأنظمة ما لبست أن مرت بتطورات هامة بعد انقضاء القرن الثامن عشر بما فيها نظام مسح الكف . وكان التطور الذى وقع في القرن التاسع عشر وحده موحيا بالاجلال والمهابة . وعثر الكثير من هذه العلوم على الأسلوب الصحيح الخاص بها ، وسقت فكره الدقة في الرياضات طريقها بفوه ، وان كان ليبستز قد تحداها من قبل ، كما حظ من قسدر الركون الى الحدس والبديهة على الرغم من كانته (Kant) (٣) وكانت الفكرة السائدة من قبل وبتأثر من

= الاسانية . وكان يرى أن القوة هي الجوهر الاصلى واعترف بوجود الشر ولكنه آمن بإمكان القضاء عليه نهائيا .

(١) ديس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) . من حكماء فرنسا ومؤلفيها ولد في مقاطعه شماليا ودرس عند الآباء اليسوميين ، وكان يطمح في دراسة اللاهوت ثم تحول الى معه القانون . وقد راول عددا من المهن وقاوم الجوع بما يكتنه . وقد كتب في جميع المواضيع . ومن أشهر مؤلفاته « أفكار فلسفية » ، واشترك في وضع الموسوعة العلمية التى صممها كل آرائه الفلسفيه . وله كتاب عن الرسم وآخر عن تحليل الطبيعة .

(٢) جان فرانسوا مارى ( ١٦٩٤ - ١٧٧٨ ) . الكاتب المرحى العربى المشهور والمؤرخ . ولد في باريس ودرس في كلية الآباء اليسوميين . ومكنته مواهبه الأدبية من اقتحام الاوساط الأدبية منذ نعومة أظفاره . ومن أشهر مسرحياته أوديب والسدرام وله عدة مؤلفات فلسفية تاريخية .

- المصرب -

(٣) عمانوئيل كانت ( ١٧٢٤ - ١٨٠٤ ) ، من أبرز الفلاسفة الحديثين ، ومن أشهر علماء ماوراء الطبيعة . ولد في كوبنجرخ عاصمة روسيا الشرقية ، من أصل سكوتلدى وكان لاهم اثر كبير في تعليمه وثقافته ودعمه الى حب الطبيعة والتعلق بها . درس الرياضيات واللاهوت والفلسفه والطبيعة . وتقوم فلسفته على رفض وجود أى قانون للشيء المطلق ، أو الشيء الذى لا أول له ولا نهايه . وقد قسم الفهم البشرى الى أربع عشرة فئة هي الوحدة والكمية والجمامية والحقيقة والتحديد والسلب والعلاقة بين الموجود والمعارض وبين السبب والنتيجة والفعل ورد الفعل والامكانية والوجود والضرورة .

بنيسوف المسمي عماويل كات ، ان سى الامكان بل قد يكون من  
انصروري الرجوع الى الحدس سى اثبات النتائج الرياضيه وافرارها . وكان  
يرى أن حدسنا يمكن أن يثار وان يتكيف بالحقيقة الواقعة . وهي أسا  
توجد ضمن حدود زمانيه ومكانية ولهذا فلم يكن على نفسه من أن  
الملائكة وهم لا يعملون على الحدود الرمانيه والمكانية النى  
يجد أنفسنا مفيدين بها ، لن نعالطوا فى الواقع نى استنتاجنا  
الرياضيه ، أو أنهم لا يجدونها عسيره على افهامهم . وحاء عصر الدفه  
الجديد ففصل العلوم الرياضيه عن الحدس وباب تركيب أحاسيسنا على  
الرغم من أهميه الطبيعى بالنسبه الى ما نستعمله من خبر ووروى فى  
كتابنا منقسم العلاقه منبها مع النظريات والبراهين الرياضيه . ولاريد  
فى أن هذا التحول كان يمثل علم النفس وعلم المنطق بالنسبه الى  
رياضياتنا . وبعد من جديد آراء ليبير فى العلاقه بين المنطق والرياضيات .  
وسرع جورج بول (George Boole) الايرلندى ، وبياو (Peano) الايطالى  
وهما عالمان رياضيان بحكم مهسهما ، يعلمان على اقامة الدليل على ما بين  
الرياضيات والمنطق من ناسى متشابه وكاد فريخ وراسل أن يحقفا  
ما أراداه دانك العالمان . وكان الفكرة الجوهرية هى القدرة على التمييز  
بين ما يمكن اقامه الدليل عليه بشكل أصبل وصحيح وبين ما لا يمكن  
اثبات صحته ، فاذا خيل اليك أن فى امكان فرضيه معينة ، الوصول الى  
نظريه من النظريات ، فان فى وسعك اقامة الدليل على صحتها . أما اذا  
خيل اليك بأن هذه الفرضيه لا تؤلف نظريه فان فى وسعك أن تقيم الدليل  
على صحتها تخيلك هذا وان عجزت عن اقامة الدليل على عدم صحتها وكان  
هناك عدد من الفرضيات التى قيل ان الرياضيين أقاموا الدليل على صحتها  
وقد ثبت فيما بعد أن هذه الفرضيات كانت بعيدة كل البعد عن الصحة  
وان الدليل قد قام على زيفها . ومن الواضح أنه لو كان فى الامكان اخنراع  
وسيله للتمييز الى حد ما وبصورة آليه بين الاحكام العامه الصادقة والاحكام  
غير الصادقة ، فان هذه الوسيله تكون نافعة كل النفع لاي نظام علمى .  
ولا ريب فى أن محاوله تطبيق المنطق على الرياضيات هى الخطوة الأولى فى  
ايجاد هذا الطراز من الاوضاع فى ملكوت الرياضه .

وعثرت بعض الأنظمة العلميه وبينها الرياضيات فى القرن التاسع  
عشر على وسيلتها الصحيحه . ولعل النسبجه العظمه لهذا فى القرن  
العشرين هو ما تحقق من نجاح مدهل فى حفل العلوم ، يفوق فى الخطى  
الواسعه التى قطعها كل ما تم تحقيقه فى الفترة السى انقضت بين عصر  
الاغريق والقرن التاسع عشر . وكان طراز التطور الذى وقع من النوع  
الذى يتطلب من كل راغب فى القبض على ناصيه علم من العلوم ، أن بخص

نفسه لتدريب طويل وجلس من طراز التخصص . ويكون تركيز القوى كاملا كل الكمال ، بحيث تغدو العلوم حوائيت مفقطة في وجه غيرها من الانظمة . ولا ريب في أن هذا هو مبيع النبأين الذي حمل س . ب . س (C.P. Snow) على أن يلعبه « بالنعائين » . ولكن اسحصص واسجح الطاهري للعلوم هو الذي أنر على بعض العفول على أى حال الى درجه حملها على أن يوحد أحيرا بين ممكنات المعرفة البشريّة ، واحتمالات العلم . وكثيرا ما يجد المرء فعلا أناسا يتمرسون على الفنون ، وقد حفز بهم الرغبة في أن ينصموا الى فوافل العلم ، يلجأون الى بعض الأحاديث المؤله عن الطريقة العلمية المسعة في الأنظمة التي يتمون اليها ، وهكذا بدأنا نسمح بالطريقة العلمية في الموسيقى والرسم والنقد الأدبي والماريج والفلسفه . وقد لا أدهش مطلقا اذا ما سمعت بعض الناس يسرعون في الحديث عن الطريقه العلمية في الشعر ، ومن المحتمل أن يكون مثل هذا الحديث قد ظهر فعلا فلقد سمعنا سيلا مهممرا من الحديث عن هذه الفلسفه أو تلك ، وذلك كمحاولة لايضاح ما يعنيه هذه الطريقة العلمية بالنسبة الى كل نوع من الفروع .

وعلى المرء أن لا يخطيء في علاقه كل هذه الأمور بالأسسه . وقد سبق لي أن أوصحت أن فكرة الرجل المسعف اليوم ، ليسب الا انعداما « لرجل الموسوعة » الذي عرفته أوروبا في عصر النهضة الفكرية . فهذه الحقيقة تربط هذه الفكرة ثورا بالأسسه الاستعقاليه . وقد يقول الانسان ان جوهر الاسئنه هو الاستعاضة عن الله الخالق وبكمن امكانية ذلك في املاك الاسان للعقل ، وفي اعجاب الاسان بهذا الامتلاك ولقد عنت النفاة في عصر النهضة ، نعهد العقل والمنطق بالتعيف والرعاية ، وما كانت قوة الاحساس قد ظلت خاضعة للعقل حتى قام هبوم (Hume) (١) بدعو الى أن العقل لا يستطيع النوصيه بأى احراء للعمل ، أو بأى هدف على أنه حدير بأن يسعى المرء اليه لذاته فان علم الاخلاق، وعلم الجمالية ظلا بعبران أشياء استعقالية . وقد لعبت دروة هذا الاتجاه في اخلاقيات « كانت » الاستعقالية ، التي أقامت حدودى الاحكام الأخلاقية والجمالية على ما بوصى به العقل .

(١) ديميد هيوم ( ١٧١١ - ١٧٧٦ ) فيلسوف ومؤرخ اسكتلدى ، درس القانون في بدايه حياته ولكنه ما لبث أن عدل عنه بسبب سوء حالته الصحية . وأهم كتبه « اطروحه عن الطبيعة الشرية » و « مقالات في السياسة والأخلاق » و « مقالات فلسفية عن الفهم الترى » و « التحرى من مبادئ الاخلاق » و « مطارحات سياسية » . ومعتبر آراؤه في الفلسفه من النوع الشكى بالنسبة الى التزمتين من دوى العقائد الدينية .

والفكرة التى سطوى عليها الأسنة العغلية ، فكره عقلية أيضا ، وقد سبق لهذه العنبره ان وردت فى رأى الذى دعا اليه أرسطو والغالل بان الانسان حيوان عاقل وكذلك فى النظرية السياسية الديموقراطية التى أقامها على أساس هذا الرأى . والفكرة هه هى اسا لا نستطيع ان بصف نملكنا للعفل بالشيء العارض . ومن الصدق أن يقال ، ان حيازه المخلوقات البسرية للعفل لابد وأن يكون انفا عارضا وقد يكون سعيدا بالنسبة الى الذباب الذى يعيش على ما يعرزه الانسان . لكن هذه الحيازة تعتبر خاصة مميزة ومعرفة بالنسبة الى الانسان . ولا ريب أن هذا مايعنيه إطلاق أسماء مختلفة على العفل ، كالطافة أو الملكة أو الميل بدلا من تسميته بسلسلة من الأفعال ذات الطابع القصصى ، ولا ريب فى أن هذه هى المأساة التى عاشها هيوم . فلقد حيل اليه بأن الأشياء المادية ليست الا مجرد أفكار نطبعها الأحاسيس فينا . وخيل اليه أيضا أن كل فكرة ليست الا وجودا واضحا فى ذاته ، وأن ليست له أية علاقة بأية فكرة أخرى . ويصح لنا أن نطلق على هذا الحيال اسم فلسفه هيوم الذرية . ولم يستطع أن يحدد بالضبط ما يراه فى العفل نفسه ، وان كان ميالا الى القول بأن العفل أيضا ليس الا مجموعة من الأفكار وههنا ، أى عند هذه النقطة ، واجهه احتمالا ، اما أن ينكر وجود شيء اسمه العفل وهو ما يبدو أنه قد فعله حقا أو أن يقول بأن الأفكار نفسها هى موجودات مدركة . ويبدو أنه وقف حائرا فى الحيار بين الأمرين ، وأطاحت به حيرته الى حالة من العجز عن النطق .

وهكذا اذا لم يكن فى مكنتنا أن نقول بأن حيازتنا للعفل شيء عارض هان من واجبنا أن ننظر الى هذا العفل بعين المهابة والاجلال . وحتى اذا نظرنا اليه كنتيجة متقنة التخطيط للتطور ، فاننا سنكون فى حالة عجز عن الامتناع عن التأثر به . وقد يجد المرء نفسه متحمسا للمغامرة بالقول بأن العودة الى القصص عن الحيات المتطورة والحسنة التخطيط ، ليست الا رجوعا الى فكرة التطور نفسه . وقد لا يصفى التطور البطيء الذى يشب من شيء الى آخر كما تشب الضفدع . على الحيال أى معنى معقول . وقد لا تعنى القفزات شيئا اذا لم تترك فجوات بينها ، اذ لا معنى للفجوة على هذا الصعيد الا أن تكون علاقة ترابط غير قانونى وغير مشروع . وليس من المعقول أن يخلق التطور سواء أكان من النوع الذى يتم عن طريق الاختيار الطبعى طبقا لنظرة داروين (Darwin) (١) أم عن طريق التركيب

(١) شارل روبرت داروين ( ١٨٠٩ - ١٨٨٢ ) الفيلسوف الطبعى البريطانى المشهور ولد فى شروزبرى وقد درس فى جامعة ادنبره وكمبردج ، وقد اولع منذ حداثة بعلمى النبات والحيوان وكان يجمع الفرائش من صفره . وهو صاحب النظرية المشهورة عن تطور الانسان وتنازع البقاء ونقاء الاسد . - المغرب -

المعقد تطبيقاً لنظرية تيهارد دى شاردان وأتباعه ، عقلا من اللاعقل ، وليس  
فى وسع التطور أن يوضح جذور الحياة الواعية وأصولها .

وهناك الآن فئتان من الفصايا يجدر بالإنسان أن يعرضهما . ففي  
وسع المرء اذا ما واجهته ظاهرة الوعي ، والوعي الذاتى ، أن يتحرى عن  
نلك الأوضاع التى تعتبر كافية كفاية مادية ، أى تلك الأوضاع الواقعية.  
التي ترتبط بها الحياة الواعية ، وأعنى بها تركيب الخلايا ، أو أن يتحرى  
عن تلك الأوضاع الكافية كفاية شكلية أى الأوضاع المناسبة والتي نعبر  
أحدنا للحياة الواعية . وجميع هذه الأوضاع مجهولة كل الجمل . ويعتبر  
تحديد هذين الطرازين من الأوضاع مسئولاً عن تلك الأخطاء التى ترتكب  
باسم مذهب الطواهر اللاحقة ، وهو المذهب الذى يحاول تحديد العقل ،  
بأنه الأثر الناتج عن المادة . ويعنى هذا المذهب ، أن العقل ليس الا صورة  
من صور فعل المادة ونشاطها . وهذا هو جوهر المذهب الجديد القائل  
بحيوية المادة ، فاذا ما أردت البحث عن الأوضاع المادية للفكر . ونشأت  
العتور على أمثلة منها ، فان علماء وظائف الاعضاء ( الفيزيولوجيا ) وعلماء  
الكيمياء العضوية ، سيتحدثون اليك عن بعض الطواهر التى تتفاعل فى  
عقل الانسان عندما يفكر . ولكن ربط هذه الطواهر بالتفكير يعرضك الى  
الرفوع فى أخطاء لا منطقية . ولا ريب فى أن الخطأ الذى يمثل هنا يسببه  
الى حد كبير ذلك الذى وقع فيه وينحسب ( Wittgenstein ) فى كتابه  
« تحقيقات فلسفية » عندما عالج أحلام الانسان على أنها الوصف الحقيقى  
لما يحس به . وتتلخص زبدة معالجته لموضوع الأحلام ، فى المعادلة بين  
طاهرة الأحلام وبين سردها . وهذا يعنى أن الحلم لا يصبح حلماً فابلاً  
للملاحظة الا اذا سرد سرداً صحيحاً ويظهر من هذا ، أن الحلم لا يغدو من  
الناحية العقلية عرضة للملاحظة العامة الا عن طريق الكلام وغير الكلام من  
وجوه النشاط الادراكى . ولاريب فى أن سخافة هذا التحليل ، لا تبدو  
الا عن طريق نظريات الادراك الحسى . وتضع معظم هذه النظريات أوضاعاً  
مجسدة معينة من الادراك الحسى ، ثم تمضى دون كبير ضجة الى تمييز هذه  
الأوضاع شكلياً وتحديدتها على النحو الذى يدرکها الانسان فيه . ومن  
المحتمل الا أستطيع الابصار ، اذا لم بهاجم الضوء ناظرى ويشكل  
صورة على شبكية عيني ، ولكن انتقال الضوء من مصدره الى عيني ،  
وتشكيله الصورة على شبكيتها لا يمكن أن يكونا عن طريق فردى أو  
جماعى ، الحقيقة الباطنية لذلك الاشراق الذى يسمى الرؤية ، ولا يمكن  
لهذه الأوضاع البدنية الحسية أن تؤمن التفسير الصحيح للرؤية والوعي  
وان كانت تجعل من هذه الرؤية شيئاً يشبه الأعجوبة .

وليس ثمة من شك فى أن درجة تشبعنا بالفكرة القائلة ، بأننا  
لا نستعمل بطريق العرض والمصادفة ، هى التى تقرر المدى الذى نكون



فيه على اسعداد للدعا لصوب اعزل . وغندما يصل هذا الشميع الى منبهاه ، بلجا الى بقييم الأخلاق والسياسات والعلوم وحنى البقية على فواعد المطق وأسسسه ، وببدا المذهب انحرىبى فى عيوسا . كمستنع من البلاده حيث يحوص الناس فيه دون تبصره ، ودون أفكار ، وينظرون من الأحداث أن ببعهم وبعاثهم ، بدلا من ببند اعلاقة الجوهرية القائمة بين الأمور عن طريق ايضاح الافكار القائمة وراء هذه الأشياء . ولعد كانت هذه هى الفكرة التى نادى بها ليبينز اذ اعنقد هذا العبقرى الالمانى الذى عاش فى القرن السابع عشر ، أن لبس بمة من شىء لا يقوم برابط بينه وبين فكرة معيه . ولعد حصل اليه أن احمالات الوفوع ، والحدسا فى الطبيعة ، فد عدت مكشوفة فى العلاقات القائمة بين الفكرة القائمة وراء الأمور ولن يكون ثمة أنه معاينات فى ذلك بالسببة الى الرجل الذى ببستطيع الامساك بهذه الفكرة ، والكسف عن ارتباطها الداخلية . ويعمد المذهب التجريبي على احتمال المعاجات . وعلى اندرع بالحكمة بعد وفوع الحاد ، ولكن ليبينز ، كان يرى فى هذه المعاجات وضعا بفسيا ناجما عن الجهل والبلادة . ولاريب فى أن هذا الطراز من توفير ليبينز للعزل ، هو الذى يعودنا الى القول بأننا بعمهم الله فهما طيبا ، والى ابهام ليبينز بابه عالم رياضى ، أو فيلسوف بؤمن بالمذهب العفل أو أنه فى يومنا هذا اقتصاى من أتباع ريكاردو (Ricardo) (١) . ولا ريب فى أن هذا الطراز من توفير ليبينز هو الذى يدفعا الى أن نفرر مصائنا بأيدينا ، وأن نكتب بايدينا شهادات حسن سلوكنا وفد شهد العصر الفيكترى (٢) فى بريطانيا تحقيق هذا الكفر الاساسى بطريفة عاطفية الارضاء وكانت أمجاد الامبراطورية ، والنراء الناجم عن الصناعة والنجارة والوطنية المستشهادة التى فدمت رموز التضحية والفداء ، والآلام الشديدة التى عانتها الطبقات العاملة والاتقان المنظم لفواعد السلوك العامة ، وحتى التصميم الموزون البار لعلم الامبراطورية ( البونيون جاك ) ، كلها من الانتصارات الرائعة التى حققها الانسان الخلاق . وهكذا تحول كل شىء الى التنظيم ولا أقول الى التصنع . وأصبح فى وسع كل انسان أن يتكهن بصدق بما يكون عليه موقف السابات المتوقع فى أى ظرف من الظروف . ولم يكن من السهل على أى حال أن يصدق المرء ان كل هذا التجانس الذى بخلقه التنظيم

(١) ديفيد ريكاردو ( ١٧٧٢ - ١٨٢٣ ) عالم انجليزى اقتصاى . ولد فى لندن عن أب هولندى من أصل يهودى . واشترك مع ابيه بعد ذلك فى أعمال البورصة . وقد كرس ريكاردو الكثير من وقت فراه للدراسات العلمية . وكان أحد مؤسسي جمعية لندن الجيولوجية . وقد وضع عددا من الكتب فى الاقتصاد السياسى . وأهم كتبه « بحث فى مبادئ الاقتصاد السياسى والصرائب » .

(٢) عصر الملكة فكتوريا فى انجلترا بين عامى ١٨٧٧ و ١٩٠١ .

الرسمي ، أصل في وجوده . فمازال العهد الفيكتوري ، هذا اذا سننا المضي في بحب هذا المال حتى النهاية ، يعيش في ظل حظير من الشك ، بأنه كان عهد نفاق واصطناع . ومع ذلك فان هذا الكمال اللقائي الوجود الذي يمنله العهد الفيكتوري . ما كان ليستطيع البقاء والحلود طويلا على ضوء المعايير الاساسيه ، ذلك لأن المذهب الانساني مذهب ماضل وجم النشاط . وكل ما حدث بعد انتهاء ذلك العهد هو بحطيم هذا الكمال الصوري ، أو الصورية الكاملة المتجانسة . وهذا يعني أن الانسان حطم حلقة الكمال محولا اياه الى قطع منمرفة مهسمة . ويبرز هذا الميل الى التفتيح والتجذئة ، في عداد من الحركات التي ظهرت في أوروبا المعاصرة . ومازال الركود الآسن الذي ظهر في العهد الفيكتوري ، والذي اسنعر مذهب العودة الى التذير ، قائما في مجالات عدة . وكان التلهف على التحليل واضحا كل الوضوح في هذه المراة العابسة التي تنطق بها شفاه فوضويي دوستويفسكي (١) وكان الداء الذي استشرى في الفلسفات المختلفة الانواع ، الرمز إلعكس لفترة الركود والآسن . وليس من البضيلة في شيء أن يكثر المرء من البرثرة والحديث السطحي عن المواضيع التي يعالجها بدلا من أن يتناول هذه المواضيع بالبحث والدرس العميقين . وشرع نقاد الأدب يغرقون أنفسهم في تحليل فلسفة النقد . وأصيب علماء اللاهوت بحمي فلسفة الدين . وأصبحت فلسفة الفن موضوعا متفوقا على الفن نفسه . وحتى الفلاسفة أنفسهم أخذوا يشغلون أنفسهم في بحث « فلسفة الفلسفة » عن طريق الحوار الأفلاطوني المعروف بدلا من المضي قدما في دراسات الفلسفة نفسها ، وقد وصلوا الى الذروة في تفكيرهم الرخيص هذا الذي أطلقوا عليه أسماء مختلفة منها الايجابية المنطقية والدلالة التوكيدية وقد تخلوا عندما وصلوا الى هذه النقطة عن الفلسفة كل التخلي ، لا سيما وقد منكروا لاحتمالاتها بالسلوك الذي سلكوه ، وذلك لأنهم رأوا في الفلسفة شكلا من أشكال معاجم الاقتراحات ، التي تختلف عن معاجم الكلمات . وتحقق الجمود في الأدب في صورة العواطف الباكية التي وردت على السنة الشعراء من أمثال تنيسون . أمافي الفن فقد تحقق الجمود فيما في الفن التأثيري من ميوعة ممتعة ومن اسنرخاء يشبه ما يتراءى في الاحلام . وكانت التأثيرية في الفن تمل الدور الذي أداه

(١) مندور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي ( ١٨٢٢ - ١٨٨١ ) ، أحد كبار البارزين في الادب الروسي ومن أكبر رجال القصة في العالم في القرن التاسع عشر . ولد في موسكو من والد يعمل في الطب . أصيب بعماهات في صباه ظل يشكو منها طيلة حياته . من أهم كتبه «الجرم والعقاب» و «المجلوب» و «أخوة كرامازوف» وغيرها .

موزارت فى الموسيقى • وغدت جزئته روبرتورد (Rutherford) (١) للذرة  
أمرا يسطوى على سىء من الكهن بالعيب • وقد ألح بيكاسو فى الفن الى  
النظريه الذريه ، عندما قام بتجزئة الجسم البشرى ، تم أعاد تجميعه ثانية  
وكأنه كان يعيش فى كابوس من كوابيس امبيدوكليس (Empedocles) (٢)  
فمن مزايا التركيب أن يحل الهدهد والدعة ، اللذين لا يستطيع التحليل  
أن يخلفهما • واهتمت فى عصر التحليل الذى حلف العهد الفيكتوري جميع  
مظاهر الدعة والهدوء والرزاة • وأطل ازعاج الموسيقى العصرية فى شكل  
استغلال فاجر لما فى النشاز من مضايقة • وتخلى التصوير الأدبي الرائع  
عن موافقه ليحل محله شعر البخار وشعر « الحردة » المعدنية • وتخلى كاتبو  
السايرين عن الشمول ليحل محله ميل نامير الى الاصطفائية •

ولم يغير الوضع بالنسبة الى الرجل نفسه • فلقد قام فرويد  
(Freud) (٣) بتجزئته الى تنف وأجزاء ، مكتشفاً فيه شيئاً غير الصلصال  
الذى نفع فيه الله من روحه ليغدو بشراً سوياً وأعلن أنه لا يعدو أن يكون  
تداخلا من العناصر المنطبعة بطبائع لاذية • وتحول الدفع والتعمد فى  
نظريات فرويد النفسية الى القياس العقلى الفائم بين السبب والنتيجة •  
ولعل وجه التباين بينه وبين بوج (Jung) (٤) ، لا يقوم بصدد الطريقة

(١) اللورد ايرنست روتر فورد - ١٨٧١ - ١٩٣٧ : ولد فى براينودر فى زيلندة  
الجديدة ودرس فى جامعة كمبريدج حيث عمل فى حقل البحث العلمى ، ثم أصبح أستاذا  
لعلم الطبيعه التجريى فى الجامعة نفسها • وكان من رواد البحوث العلميه فى الفيزياء  
الذرية ، وقد تمكن فى عام ١٩٣٢ من تجزئة الذرة • وكانت له مكانة علمية بارزة •

(٢) امبيدوكليس - الفيلسوف الاغريقى ، وكان مشرعا وشاعرا وكاهنا عالما من  
كهنة صقلية • ولد حوالى عام ٤٩٠ قبل الميلاد • اشتهر بتحليله العالم الى العناصر  
الاربعة وهى النار والهواء والارض والماء مصورا النار بأنها مصدر الحياة • وأن العناصر  
الثلاثة الاخرى هى أسس المادة • وتقوم نظريته على هذا الأساس وعلى وجود عنصرين  
آخرين هما الحب والكراهية • - المغرب -

(٣) سيمون فريد - ١٨٥٦ - ١٩٣٩ • أستاذ علم الأعصاب فى جامعة فيينا  
واشتهر أمره ، بأنه رائد من رواد علم التحليل النفسى • ولد فى مدينة فرايبورج فى  
مورافيا فى السادس من مايو ودرس فى جامعة فيينا • وكانت أول نتائج دراساته ، القول  
بإمكان معالجة الجنون المعادى بالشخص والتحليل النفسيين عن طريق الإيحاء • وكان  
أول من قال بتفسير الأحلام على اعتبار أنها أعمال من العقل الباطن أثناء الليل عندما تغدو  
الإدارة مشلوله ، وتتوقف الوعية عن العمل • وكان أول من قال بأن جميع حالات  
العصاب ناجمة عن الكبت الجنسي ، وأن الشهوات الجنسية تتوالد مع الإنسان منذ  
محيته الى الحياة • لقيت نظرياته معارضة شديدة فى حياته •

(٤) كارل جوستاف يونج - ١٨٧٥ • عالم نفسى سويسرى وإخصائى فى الطب  
النفسى • ولد فى كيسويل وتعاون مع فرويد فى تطوير نظرية فرويد فى التحليل النفسى ،  
ولكنهما اختلفا فى الرأى ووقعت القطيعة بينهما ، أسس معهدا للطب النفسى  
فى زوريخ • من أهم كتبه « أسسهام فى الطب النفسى » و « الرجل المعاصر يبحث عن  
روحه » و « نفسه الدين » و « الفكر الروحى الحديث » • - المغرب -

التي يجزا فيها الإنسان الى عناصره وانما في الطريقة الى أعيد تشكيله فيها من عناصره المختلعة وقد ابتكر يونج بدلا من « لا شخصية » فرويد ، سجا يصم العفارية الدين يتقصصون الشر دائما ويعرض هذا الاحتمال من الندرين ، احتمالا مزدوجا بالنسبة الى الانسان بعد أن سمفتيه الى عناصره الاولى . وفى الامتاز اطلاق اسمى « الجوهرية » و « العلميه » على هذين الاحتمالين ، لا سيما وأبهما فى الحقيقه من احتمالات البناء ، ويتعلقان بطبيعته الانسان وجوهره . ولا ريب فى أن طريقه يونج فى التحليل هى التى أوجدت هذين الاحتمالين ، وقد تكون الوحودية من الطراز الذى ابتكره سارتر (Sartre) (١) هى التى مصت فى ايضاح هذين الاحتمالين . ونقول وجهة النظر « الجوهرية » للانسان أن هناك عنصرا دائما فى بنى البشر لا يمكن رده أو نقضه ، وهو الأساس فى البشرية كلها . ويرى وجوديو سارتر هذا العنصر الذى لا يرد فى قدرة الانسان المزعومة على العمل كلية بدون دفع أو تفكير . ويرى المرء هذا الطراز من التفكير أيضا فى كتاب « الشياطين » لدوستوفسكى . وإذا ما نظر المرء الى هذا الموضوع دون أى تحيز ، بات من حقه فى أن يشك فى امكان هذا العمل وفى أن يعتمد بأن وجودية سارتر ننطوى على أن أهم ما فى الانسان هو لا معقوليته . وينبع الحث على التعلق بهذه النظرية من الاعتماد القابل للنقض ، وهو أن الحرية لا يمكن نفيها أو اضعافها .

ولعل أهم نتيجة لهذا الايمان ، هو أن يغدو الانسان العاقل ، عبدا رقيقا لعقله ، وبذلك تغدو متابعة الاعمال المعقولة وتنفيذها مملة لأداة العبودية بدلا من أن تمثل الحرية المتنورة . ولكن اذا كانت حياره العمل جزءا من طبيعتنا . فان هذا العقل لا يستطيع استعبادنا ، إذ أن طبيعتنا أعجز من أن تستبدبنا ، لعدم وجود أية وشائج بيننا وبين هذه الطبيعة قابلة للتخطيط . فحيث لا وجود للوشائج ، لا يكون هناك أى استبعاد . ومع ذلك يتطلب وجود الاعمال العقلية شكلا من أشكال التصميم الصحيح . ويعتمد امكان التخطيط والوصول الى النتائج على ما فى التصميم من واقعية وعلى وجود أوضاع كافية للحوادث العرضية .

وتجسد النظرية السارتريه على صعيد آداب السلوك تقسافة «النظر» وهى تؤدى فى حقول السياسة والاقتصاد وغيرها من ميادين

(١) جان بول سارتر - ١٩٠٥ - روائى فرنسى وفيلسوف وكاتب مسرحى ولد في باريس من والد يعمل ضابطا في البحرية . تخرج في الجامعة في عام ١٩٢٩ . اشترك في الحرب الكونية الثانية واسره الألمان . مؤسس نظرية الوجودية ، التى انتشرت بين الشباب اليائسين بعد انتهاء الحرب . وترجمت قصصه الى مختلف اللغات من أشهر كتبه « الخطايا » و « أمدة الحرية » و « الاشتراكية والحرية » .

بسطا الرسمى الى القوصى فى أسوأ الحالات ، بينما يؤدى فى أحسن الحالات الى الفردية السياسية والاقتصادية الى عرصها جون ستيوارت مل (1806 - 1873) (١) . وقد تميل الى التقليل من قوه فبصه الحكومه على السبب . وهى تؤدى الى تسييح المعافه . والتأكيد على الفردية وعلى الطرف فى جميع مجالاها . وانى لارى سحصيا أن المعافه هى الحياة التى يسسرك السبب فى عيسها . ومن الواضح أن النظرة « الجوهريه » للاسايه التى تعرضها وجوده سارر ، لا يمدن أن سسجم مع طربى الى التمعافه ، وهى الطره التى أنا على اسنعداد للدفاع عنها . لكن هذا اسعارس يجب الا يكون مصدرا من مصادر الاله والسفاء ، اد مهما يبلغ عجز التمعافه عن العمل ، فانها على الافل تكبح جماح الفردية . لا نطر الفكرة السارترية نظره ود الى أية محاولة لكبح جماح اتفردية ومن هها لا ننق السارترية مع العمل التكاملى للتمعافه .

ولما كاتب فكرتى مجرد محاولة لاضفاء الصبغة الروحية على الطبيعة الانسانية وهى الطبيعة التى تنظر اليها وجودية سارر نظره جوهريه . فان هناك اراء جوهريه بديلة ، أقل تنافسا من نظره سارتر مع وجهة طبرى فى النقافة . ولا ريب فى أن فكرة حتمية العمل بالسبب الى الوضع الاساسى تؤلف وجهة نظر جوهريه فى الطبيعة الانسانية ولعد اخلفت الآراء الجوهريه نفسها من عصر الى عصر . ومن حفة الى أخرى . وفى وسع المرء أن يقول ان هذه الآراء هى التى طبع كل حقبة من الحقب بطابعها الخاص بها . وفى عصر ثراء المنطق الاغريقى ، عندما كانت القسوة الدافعة الى التعميم . قد اكتشفت فى عهد طاليس (Thales) (٢) ليسير على نهجها حلفاؤه ، وفى العهد الذى ننكر فيه الناس فى دلنا السيل للقواعد العملية المنزمتة ، منحولين عنها الى النظريات والادلة ، فان النشاط الجديد للعقل بات مؤثرا كل التأثير سواء من ناحية زرايه بالحدود والقبود أو من ناحية ما حققه من انصارات

---

(١) جون ستيوارت مل ( ١٨٠٦ - ١٨٧٣ ) فيلسوف بريطانى وعالم من علماء الاقتصاد كان والده جيمس مل أشهر من أرخ من الهند . درس دراسة خاصة على يد والده وأصبح موطعا فى شركة الهند . بشر بملذهب النفعية . وكان مؤسسا لجمعيةها . من أشهر مؤلفاته «مبادئ الاقتصاد السياسى» و«مشكلة الارص فى ارلده» . كان من دعاة حرية الفكر والقول .

- العرب -

(٢) طاليس ( حوالى ٦٠٠ قبل الميلاد ) فيلسوف أغريقى كان رئيسيا للحكماء السعة ولد فى ميلتس . وقد علم أن الماء هو العنصر الاساسى الذى تنبع منه كافة العناصر الاخرى . ومن الواضح أنه استمد الكثير من علوم المصريين ومن حضارة وادى الرافدين وقد عرف بأنه مكتشف الهندسة الاطلاقية التجريدية .

- العرب -

وأصبح التعريف السائغ للانسان بأنه حيوان عاقل ، وجميع التعاريف في الواقع «جوهريّة» في أركانها ، اد أنها تعرف أشياء تعتبرها حتمية لا عنى عنها . وقد أدت جميع المميزات الخاصة التي أدخلها الأغريق على سواهدهم العقلية عن الانسان ، الى مجزات رائعة في حقول العلم ، والانسيات ، وعلم الأحياء والرياضة والمنطق والفلسفة والأدب والنظريات السياسية . وكانت مجزاتهم النقية أيضا عظيمة للغاية . وقد أدى تأنيقهم في القضايا الفكرية الى الاصرار على شيء من الدقة في الصاايا العملية ، جعلت علومهم الهندسية في مكانة كبيرة . وكان هذا التأني أيضا عاملا صخما في السمو بأدوافهم في الفنون المنطورية وطل فنههم في السحت والعمارة مسيطرا على نحت أوروبا وعمارتها حتى بداية عهد الاحلال الحديث . ولما كان العقل الانساني هو الاساس في كل هذا ، اد أنه برز في كل يعرف صدر عنهم بالانسان ، فان عنايتهم كانت شديدة ، في أن ينموا أفكارهم هذه الى أكبر حد ممكن . وقد سهل عليهم ذلك أن يجعلوا من نقاشهم شعبا متكاملا كل التكامل . والعقل شيء يشترك الجميع في حيازه . وقد تم تطويره على أسس مشتركة نركز على نظرية ربوية تابعة عن تفكير عميق ، ومنسجمة بالنالي كل الانسجام مع لك الاسس لكن ثقافتهم — أى الاغريق ، واجهت هنا أكبر ما يهددها من أخطار . اذ لما كان العقل خاضعا لنظرية التطور ، فقد كان من الطبيعي بالنسبة الى أفلاطون (١) أن يفترض أن منحة العقل هي أساس المجتمع والشفافة ، وأن أصحاب العقول الكبيرة يجب أن يكونوا الاوصياء على هذه المنحة . وقد عرض ديكارت (Descartes) (٢) ، صورة بديلة عندما أصر على أن العقل ملكية صورية لا ملموسة للانسان ، ولهذا فلا يمكن أن تتباين درجاته ثباينا كبيرا . وقد أدى فشل أفلاطون في تنفيذ نظريته السياسية القائلة بديكتاتورية المثقفين ، الى الانتصار الفوري للديموقراطية الاثينية . وقد مكن هذا الانتصار أهل أثينا من انتاج تلك الظاهرة في طراز نسبي من القول ومن الوحدة التي تبدل الجهود في تحقيقها . ومع هذا فان الاعتماد على العقل كظاهرة مميزة للانسان ، ليس الا احدى الطرق التي تمكن الثقافة من أن تغدو عاملا

(١) الفيلسوف الاغريقى المشهور الذى لا يحتاج الى تعريف .

(٢) ريبه ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٠ فيلسوف فرنسي ولد في تورين ودروس عنده الآباء اليسوميين . عمل في جيش بافاريا ثم استقر في باريس ثم عاد الى الإقامة في هولندا ومات في ستوكهولم عاصمة السويد التي ارتحل اليها في آخر سنة من حياته . يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة ، اول من دعا الى الايمان بالمحسوس ليس الا وتحكيم العقل . من أشهر كتبه « مبادئ فلسفية » و«التفكير في مبادئ الفلسفة» .

تكمّل . ويبع فسل وجودية سارنر في الهسام مل هذه الثقافة مر-  
الحقيقة المجردة وهي انها نقيم طبيعة الانسان على أساس اللامعقولية .

لكن اللامعقولية لا حصص للفلسون الغيبي أو التنبئي ، ولهدا  
فلا يمكن أن تكون طبيعة التكامل . فعدد احتمالات الانعكاسات العملية  
محدودة في جميع الحالات والأوضاع . وعلى هذا الاساس يمكن التنبؤ  
بانعكاس أى رجل عاقل لأى حالة أو حافز . أما عندما يكون الانسان  
فاقد العقل فان احتمالات انعكاساته لنفس الوضع أو الحالة ، تكون غير  
محدودة . ولا يمكن الا لخيال هذا الرجل أن يحدد انعكاساته بصورة-  
أساسية ، ومن هنا تنبع نظرية سارنر الوجودية في أن الثقافة يجب  
أن تكون كابية ، وبالتالي شيئا لا يطاق . وهي نرى أن مهمة الثقافة  
تحديد فرص الانسان في أن يكون فردا . لانها تدعو الى الاندماج  
والتكامل عن طريق تنسيق مجالات الانعكاس وتحديداتها .

ولعل من أصدق الأمثلة على الآراء الجوهرية التي ولدت ثقافة-  
الاندماج والتكامل . النظرة الى الرجل على أنه العياس لكل شئ . أو  
النظرة اليه كحيوان سياسى أو كحيوان اقتصادى . وچار أرسطو (١) ،  
بين أن يعامل الانسان كحيوان عاقل أو كحيوان سياسى . وقرر أخيرا ،  
ازالة هذه الحيرة النظرية التي يعانى منها عن طريق الجمع بين النظريتين .  
أى عن طريق القول بأن الانسان من الناحية العملية ، حيوان سياسى ،  
ولكن هذا الانسان وجد نفسه مرغما بعفلائيته على البحث عن النظرية-  
السياسية الوحيدة المعقولة وهي النظرية السياسية الديمقراطية . وقد-  
سيطرت نظرية الانسان حيوان سباسبى تمام السيطرة على جميع أولئك  
المفكرين النظريين الذين جعلوا من فرضية « الحق الطبيعى » محور  
فلسفاتهم السياسية . ويعتبر لوك (Locke) (٢) وروسو (Rousseau) (٣) ،

(١) ارسطو ، الفيلسوف الاغريقى الكبير وهو أشهر من أن يعرف .

(٢) جون لوك ( ١٦٣٢ - ١٧٠٤ ) فيلسوف انجليزى مشهور . ولد في سومرست-  
درس في جامعة أوكسفورد ثم أصبح استاذا فيها ، فسكرتيرا للورد شافتسبرى . وعندما  
ولى هذا رئاسة الوزارة عين وزيرا للتجارة . وعندما سقط اللورد من الحكم ارتحل  
لوك الى مونبليه في فرنسا حيث هكف على الدرس والتعمق . وغرق بعد ذلك في  
الدوامات السياسية ليحد نفسه أخيرا لاجئا في هولنده في عام ١٦٨٣ . وضع مؤلفات  
مدة منها « رسالة عن التسامح » و « اطروحة من الفهم الانسانى » و « آراء في التربية »  
و « عقلانية المسيحية » وكلن من المعارض للثمت العقائدى .

- العرب -

(٣) جان حاك روسو ( ١٧١٢ - ١٧٧٨ ) كاتب وفيلسوف فرنسي كبير . ولد في-  
جيف من أب ساعاى . لم يتلق دراسة منظمة ولم يتعد صفوف مدرسة القرية التي  
ولد فيها . عمل مساعدا عند نحات كان يسيء معاملته كل الاساءة . فر الى سافوى =

حير مسل على هؤلاء . اما الرأى الذى سرح فى السيطرة على العرب  
والشرق على حد سواء اليوم ، فهو أن الانسان حيوان اقتصادى . وجميع  
هذه الاراء « جوهريه » الاساس ، وهى بوند نفقات بدميه مقبولة .  
ومن الموضع ان بطل النظره الاقتصاديه للانسان . مسيطرة على الغرب  
والشرق امدا طويلا .

ومع كل هذا فان النظره « الجوهريه » للانسان ليست بالنسكل  
الوحيد الممدن للرأى العادر على بؤيد الناحيه السامليه من النصفه .  
ولا يصاح هذا القول ارى من الواجب النطلع فليلا الى الطراز الاخر من  
المعدير ، وهو الطراز العلمى . فهناك أوجه مفارقة كبرى بين هذين  
الرأين . فهناك بواج تكون فيها النظره العلميه للانسان جوهريه ايضا .  
فهى جوهريه من ناحيه تافيه واحده على الاقل . وهى أنها تقول بئىء  
من الزرايه ، أن الانسان قادر - قدره أساسيه على كشف الغيب والتنبؤ .  
لكن هذا الرأى لا يعتبر « جوهريا » من الوجهه النظرية الطريفة . والمهم  
من الناحيه النظرية هو أن الانسان يحمل طبيعا للرأى الجوهري ، العدره  
الفائله بأن طبيعه الانسان لا تنغير بغيرا أساسيا فى أية ناحيه مهمه .  
ولعل هذا الرأى هو الذى برفصه الفكره العلميه عن الانسان رفضا بانا .  
وليست الفكره العلميه واحده ، ولكنها طراز من التفكير . اذ أن الحسابات  
العلميه قد بخلف أيضا فى العناصر التى يحلل الانسان بموجيها .  
ولا ريب فى أن الجامع لهذه الفكر وهو أمر فى منتهى الاهميه بالنسبه  
للثقافه ، هو القول بإمكان ببدل الطبيعه الانسانيه ، وإمكان المكهن  
بالانعكاسات البشريه بصوره كامله وكذلك بإمكان رسم مخططها .  
وليس نمه من شك أيضا فى وضوح الفوائد التى يمكن أن تستخرج من  
هذه الاحتمالات كلها . وقد أفادت صناعه الاعلان وأساليب التسويق  
الآخرى فائده عظيمه منها . ولا يمكن للمرء أيضا أن يتجاهل الاهميه  
المحتمله لها بالنسبه الى النظريات السياسيه والتطبيقات السياسيه أيضا .  
فلو أمكن على سبيل المثال تخطيط الانعكاسات الانسانيه ، لأفام هذا  
الإمكان عقبات فى طريق الديموقراطيه التى تعيش من الناحيه العقائديه  
على أساس الرضى الشعبى . ومن الواضح أن هسند النتيجه للنظرية  
العلميه للطبيعه الانسانيه ، التى تجعلها خاضعة للتحقيقات على صعيد  
الاشخصيه واللاتقديرة ، والتى تجعلها قادرة على التخطيط وتقبل

---

= حيث عاش فى رعايه «السيدة دى دارين» ، التى أدخلته مدرسه اللاهوت فى تورين .  
ومعها سافر من المدرسه تعرف الى السيدة ابينى التى باتت من أعز صديقاته . بدأ  
اسمه فى الروز عندما بلغ الساعه والثلاثين ، من أهم ماتركه كتاب « العقد الاحتمالى »  
و « رساله عن الحضاره » و « جولى - أوهلوار الجديدة » و « اميل » .  
- المشرق -



النبدل ، ترتبط ارتباطا مباشرا مع الساحة المكاملة للثقافة ، ولا سيما أن الثقافة هنا تعبر عن الحقيقة ، طريقه واحدة من طرف التعبير عن الانعكاسات المنجاسه السى يحتمها التخطيط والوجيه . ويعتمد الطريقه العلميه على التحليل وعلى السقيت به على السيطرة على الجزئيات والمعيرات المحارة . ويعرض هذه الطريقه امكان بجميع العناصر المختلفه السى يوصل اليها التحليل بمختلف الطرق والوسائل . وهى تعرض أيضا مجموعه من الحطوط العريضه للتركيب على اعتبار أن كل حط منها تعبير عن مصلحه كائنه وقد بنيت مدينه اسبارطة (الاعريهيه) مثلا النظرة العلميه للاسنان وحلفت ثقافة تسيطر عليها المصالح العسكريه أو الاستفزازيه وليس ثمة من ثقافين أكثر بيايا وبنافصا من ثقافتي ايبيا واسبارطة ، فلقد كانت احدهما حرساء بينما كانت النابيه داب جليه وضوضاء . ويعبر عن المصلحه الكامه فى التركيب فى كل ما يعبر نابيا أو ما يعبر قابلا للبدل .

ونقسم النظرتان « الجوهريه » والعلميه الثقافين اللذين جاء بهما س . بى . سنو (Snow) اذ يميل الذبن يدرسونه الانسانيات بصورة طبيعيه الى النظرة الجوهريه بينما يميل الذبن يدرسونه العلوم بصورة طبيعيه أيضا الى النظرة العلميه . ولعل السبيل الامثل للتوفيق بينهم هو أن نبحث فى هذين الطرازين من الآراء كمسكلين اسميتين لغة .

وقد يحتاج الاهتمام الى الساحة المكاملة فى الثقافة الى بعض الايضاح . فهناك أربعة أمور على الأقل تخلعها الثقافة ، ويسير كل منها الى أنها أداة من أدوات التكامل والاندماج . فالمجتمع فى حاجة الى درجه من التنظيم . والنظرة التفتيتيه له مسافضة على صعيد هذا الايضاح ، اذ لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يطلق اسم المجتمع على ثمة مجموعه من الرجال الذين لا كابت لهم . والذين يعيشون فى مجرد « تجميع » يتميز بالفقر والشقاء والوحشيه والافتقار الى كل شئ ، وأجواء الخوف والفرع . ولا يمكن ايجاد أى عقد اجتماعى أو الوصول اليه دون وجود لغة مشتركة ، ولا يمكن الوصول الى هذه اللغة المشتركة التى هى السبيل الوحيد للتواصل ، فى مجموعه بسلك كل انسان فيها سلوك من يحس بأنه مختص بنفسه ليس الا ، ولا ترتبط له مع أى قريب .

وهناك من الناحية العامة رأيان فى موضوع ما يمكن أن يشكل الاساس فى تنظيم أى مجتمع من المجتمعات . وتتلاقى هذان الرأيان على أى حال فى تباينهما ، مع النباين القائم بين النظريتين الجوهريه والعلميه . اذ يمكن اعتبار المجتمع قائما اما على نظام من الحقوق أو على نظام من الواجبات . وعندما يعتبر المجتمع قائما على الحقوق ، يصبح فى

وسع المرء أن ينوِّع مذهبها من الحقوى الطبيعية يخلق مع الفرد ، ولا يمكن فصله عنه . ويرتكز هذا الرأى فى العادة على الفلسفة أو الدين أو عليهما معا . فلهذا رأى جون لوك مثلاً ، أن الاسان اذا مزج شيئاً من «النعيم» مع الجهود التى يبذلها جسمه هو ، فانه يخلق ملكية تحصل طابع الاشتراك . ومن الواجب فهم الملكية هنا على أنها تعنى الحق الوحيد فى الافادة ، وتركز فكرة لوك على الخصائص الفردية للأنوية (أنا) . وفى وسعنا شرح هذه الخصائص بالنمرين التالى . فلو قمنا منلا بحك مؤخره رأسى ، وبحدينك أن تفعل ما فعله أنا ، فأنك تواجه أحد احتمالين . أستطيع أن أنير فى وجهها الاعراضات اللازمة ، فلو حككت مؤخره رأسك ، أمكننى أن أغالطك بأننى حككت مؤخره رأسى ، وأنك حككت مؤخره رأسك . أما اذا حككت مؤخره رأسى أنا ، فان فى وسعى الادعاء بأننى حككت رأسى ، وأنك حككت رأس اسان آخر . وهكذا أصبح الطريق ممهداً أمام لوك للقول بأن الشخص المتكلم (أنا) ، فريد فى بوعه وأن أنا تعنى «أنا» ، ليس الا ، وان خصائصها لا تتبدل ولا تنغير ، ولا يمكن للاعراب عن طريق السحول من صفة المتكلم الى الصفة المفصوله أو السافطة ، أن يؤثر على هذا الوضع فالوظائف التى يقوم بها جسدى ، حتى ولو كانت وظائف نناسلية ، هى وظائف خاصة بجسدى ولا يمكن أن يشترك فيها أحد . وكل من يقيم نظريته فى الملكية الخاصة على هذا الاساس من التمييز بشخص المتكلم ، ينفذ بلا وعى نظرية المجتمع القائم على الحقوق . ويغدو المجتمع منفكاً ، كما يغدو غير جوهرى فى هذه الحالة بالنسبة الى الوضع الانسانى القائم فى ذلك المجتمع . وتغدو مهمة الحكومة فى مثل هذا الوضع ، التوفيق الى حد كبير بين الحقوق المتعارضة والدفاع عنها . ويعنى هذا أن يبدأ مصور هذا الوضع بجون لوك وأن نمهى بجون ستبوارت ميل ، أو يبدأ بجان جاك روسو ، وننتهى بشكل من أشكال الوجودية السياسية .

أما اذا كان المجتمع يعتبر من الناحية الاخرى قائماً على مجموعة منظمة من الواجبات فان مهمة الحكومة تغدو والحالة هذه الى حد كبير ، حل التناقضات بين الواجبات اذ أن هذه الواجبات شأنها فى ذلك شأن الحقوق تثير التناقضات من نفسها . ويؤدى بناء المجتمع على أساس شبكة من الواجبات فوراً الى زوال تفتنه وتذربره . والفروق بين الواجبات والحقوق كأساس للمجتمع ، على الرغم من طبيعتها النظرية هى فى الواقع قضية عملية تتعلق بطرز المنظمات أو الانظمة التى يمكن اعتبارها مقبولة . وليست قضية الخيار بين الانظمة ، مسألة نظرية مجردة ، بل أنها تنطوى على مزيج اضافى عملى أيضاً . اذ أنها فى النهاية خيار بين الحلول العملية البديلة ، وعندما يكون حل وضع ينطوى على بعض

التعميد فائما على نظريات وأفكار عامة عن طبيعة المجتمع ، فان هذا  
الحل ، لا يفهم نفسه بين المشاكل . وعندما يعرض الحل عرضا كافيا ،  
فان هذه المشاكل نعرف بوجود عدة حلول نظرية ممكنة . ولكن الحل  
المعين الذى يقيم الدليل على نجاحه ، يعتمد على الدوكيد الذى يعطى لنواح  
بمافيه معينه . فالراى الغربى فى المجتمع مثلا ، يؤكد حقوقا معينة تعبر  
مفدمات لتنظيم المجتمع . ولكن يجب أن ينضج بأن قائمة المفدمات هذه  
قد تختلف باختلاف نوع الاساس الذى يعترض المرء اقامة المجتمع عليه .  
وعندما يحدد الواجب بأنه يهدف الى حماية الحقوق ، تصبح حقوق  
الملكية الخاصة ، أمرا أساسيا فى ذلك المجتمع . ويهتم على انظم التي  
سفن لاقامة هذا المجتمع ، أن تولى هذا الامر الاساسى كل الاعتبار  
والاهمية . أما عندما لا يحدد الواجب بأنه يهدف الى اسباب الامر بين  
الحقوق وحمايتها ، أى عندما لا تكون صيانة الحقوق هى سبب الوجود  
بالنسبة الى الواجبات . فان الوجود فى هذا المجتمع أو الحياة فيه ،  
يغدوان الامر الاساسى بالنسبة الى الوضع الانسانى وبغدو المجتمع  
بداية لا بد منها أو مقدمة للحقوق ، بدلا من أن تكون الحقوق مقدمة  
للمجتمع .

ولكن سواء أعبر المجتمع فائما على أساس الحقوق أو على أساس  
الواجبات ، فان من الواضح كل الودوح أن هناك شطرا كبيرا من حياة  
السعب ، يقوم خارج تدخل الحكومة وأعمالها أو على الاصح خارج نطاق  
العناية الحكومية . وكل ما تفعله الحكومة على صعيد حياة الأفراد هو أن  
تضع الحدود على مجالات عمل الفرد . أما بالنسبة الى منطلقات عمله  
الحر ، فان جل ما نستطيع الحكومه أن نفعله ، هو توجيه بعض  
الطاقات المعينة ، وارشادها فى مجالات العمل . وتؤدى الحكومة هذا  
الواجب فى الغالب ، فى تأكيدها صيانة فرص الاختيار هذه وايضاها  
اذ أن كل حكومة تستطيع عن طريق البرامج التعليمية مثلا تحديد فرص  
معينة أما فى الجهاز الحكومى أو فى الصناعة ، أو فى مهنة التعليم  
نفسها . ولكن لما كان تدخل الدولة المباشر ، مهما كانت هذه الدولة  
واعية وذات أهداف واضحة ، لا يستطيع أن يشمل أكثر من جزء محدود  
من أعمال الفرد الممكنة ، فان من اللازم اللازب ، أن لا يصبح العمل  
الفردى فى أى مجتمع ، متقلبا كل التقلب ، أو غريبا كل الغرابة اذا  
أراد القائمون به من الافراد ، العيش فى اطار ذلك المجتمع . ويعتمد  
امكان تدخل الدولة نفسه ، على تعاون الافراد ، وبطلب هذا التعاون  
وحدة معفولة فى الهدف بينهم . فالمعروف أن كل فرد يعتمد فى معاشه  
وحياته ، على احتمال الآخرين وتعاونهم ، ولكن كلما ضعف شعور  
الآخرين الطبيعى بأن هذا الرجل ، يعتمد فى بقائه على احتمالهم الخاص

وتعاونهم ، كلما صغفت قدرتهم على المضى بهذا التعاون وهذا الاحتمال .  
وليس الثقافة الا أداة لاطهار هذا التعاون والاحتمال بمظهر النسي .  
الطبيعي . ويعتمد نجاحها على المدى الذى يسمح لها فيه بأن تكون قادرة  
على انبات صحنها وصدفها وعلى الرغم من أنها تسمح بمناقشات ذاتية  
وداخلية المحتوى ، وعلى الرغم من أنها تنمو وتنغذى على هذه المناقشات ،  
فان مبادئ الافرار فى هذه المناقشات هى من حلول الثقافة نفسها .  
ونستطيع الثقافة عن طريق توحيد الشعب فى عقائده ومبادئه العامة ،  
أو على الأقل عن طريق التسامح مع بعض العقائد والاعمال والقيم ، أن  
تسد مع النظام ذلك الجزء الحياى الذى يعوم وراء حدود ندخل الدولة .

وتشأ ناحية ثانية للثقافة متصلة بالناحية السابقة من الطريقة  
التي نملأ فيها ذلك الجزء الحياتى الخارج عن نطاق سلطة تدخل الدولة .  
وهى نملأ ذلك الجزء بطريقة تضمن فى الوقت نفسه الاندماج فى  
المجتمع الذى يعوم فيه على أساس انعكاسات متسركة ، وأعمال  
متسركة ، ومصالح ومواف وفيه متسركة أيضا وهى تخلق القاعدة فى  
بلورة المصير المشترك وفى التعاون من أجل هذا المصير . وإذا ما نطلع  
المراء الى الغرب ، رأى أن هذا المجال للافادة من الثقافة قد تطور تطورا  
عظيما . ولعل الثقافة هى المعنية ، عندما يسمع المراء هناك واحدا يقول  
ان هذه العقيدة أو تلك سنحطم طريقة الحياه ، وأن من الواجب الحفاظ  
على هذه الطريقة والدفاع عنها مهما كان البمن الذى يقصيه هذا  
الدفاع وتطور هذه الناحية من الثقافة أيضا ، تطورا سريعا فى البلاد  
الاستراكية على شكل نداءات للضمير الاستراكي ، لمحطيم بعض المساوى  
الاجتماعية والعضاء عليها وبينها بالطبع ، الشعب والعريضة ، وقد يكون  
ما يقوله مجتمع ما عن نفسه هو عين ما يدعيه المجتمع الآخر لنفسه  
أيضا .

وهناك فائدة ثالثة للثقافة وهى ايضا احداث وابرازها .  
فالمشاكل القومية تنشأ على صعيد الاوضاع القومية . وهى تكتسب  
أهميتها منها ، وتتحوّل الى الاتجاه النغدى فقط ، فى الأفق النوراني  
النقى الذى نضفيه الثقافة السمولية عليها . ومن واجب أى حل فعال  
ودائم أن يستمد عناصره من الموارد القومية . ويحتاج المراء للمغربة  
والانتقاء والتحليل فى الاوضاع المعقدة الى فكرة أو مجموعة من الافكار  
المسيطرة . وليس الثقافة الا السجل الصحيح لهذه الافكار والاساليب  
والمواقف ، والمصدر الصادق للجهد ، الذى تفهمه الناس ، والذى  
يستطيعون مجاراته والعيش به . وللحدث نفسه أهمية تختلف باختلاف  
الاجواء الثقافية التى يقع فيها وكان المقدم على تحطيم مقعد العرش فى  
بريطانيا بلقى من العقاب فيها ، غير ما يلغاه مرتكب هذا العمل فى بلاد

الأنسانى فى القرن التاسع عشر • فالأخير يلقى عسوية الموت حنما  
ولا يمدن ايصاح العرف فى صرامة العقاب الا بان هناك خلافا فى النظر  
الى هذا المعد فى كل من المعاصين • ويؤلف التاريخ دائما الضوء الذى  
نلقىه الثقافة على الاحداث • ولا ريب فى أن قوة الثقافة المعرره هى التى  
تجعل النبوءات ممكنة فى التاريخ • وعندما نكون لسعيب من السعوب  
بفاه مسرركة ، فان الاهمية المعلقة على الاحداث نجد بعبلا كبيرا ، ويكور  
للسياسة التى نتحد لمواجهتها فرصه الصدف والتوتون • وقد تحلف  
المثل بين معاصين محلصين - وادا كان فى الامكان تمييز المثل عن الانظم  
الذى نضفى العالوية والتأثير عليها ، فعندما تشترك ثقافتان فى الاهداف  
والمثل المشتركة ، فان الانظمة التى يعبر عن هذه المثل ، قد تختلف عر  
بعضها تمام الاختلاف • وقد لا تكون العلاقة بين الانظمة والمثل متسابقة  
وعندما تكون الانظمة مؤثرة فعالة فان السبب فى تشابهها لا يتمثل فى  
أنها تعبر عن مثل معينة ودافع عنها • ويعتمد نجاح الانظمة على الأوضاع  
والمعطيات المحلية ، ولما كانت هذه الأوضاع والمعطيات تتبدل ببدلا بارزا  
فان النظريات السياسية توصى بايجاد تعديلات فى الانظمة القائمة ،  
ولا ريب فى أن الحاجة الى التبدل فى الانظمة هى فى حد ذاتها تعبير عر  
الحاجة الى الحفاظ على المثل • ولا ريب فى أن أفريقيا وآسيا قادرتان عى  
تعليم أوروبا درسا وأفهاما أن فى الامكان خدمة نفس المثل بأنظمة  
مختلفة ، وان الانظمة والحالة ههذه اصطلاحية عرفية • ويجسر هذا  
الإدراك أيضا ، عن أن النظريات السياسية بالنسبة الى تعاملها مع  
الانظمة نسبية أيضا • ويجب ألا تفتصر فى أية حالة من الاحوال ،  
مكبسة طابع السمول فى تطبيقها •

وتتلخص الناحية الرابعة من فوائد الثقافة فى السيطرة على البدر  
وليسست هذه الناحية الا ديلا أو نتيجة للناحية الثالثة السابقة ، فليس  
سمه من شك فى أن عمليات التصنيع مثلا تخلق التبدل السامى ، اذ أنه  
تؤدى الى الانفعال الى حياة المدن والى هجرة العمال الجماعية من الارياف  
الى الحواضر ، وكذلك الى تفتيت هذه العلاقات الصامتة التى تربط  
الأسر والعشائر فى الهميشة الريفية ، وهى تمبل الى الاستعاضة عن  
الاحساس بالجماعة بالشعور بالفردية ، ذلك لأن قوى الفرد فى الأوضاع  
المدنية تعرض دائما للإبهاظ فى حمل المسئوليات ، وبكون النجاح  
والتقدير فيها فردى الطابع • وتنشأ فى هذه الأوضاع مشاكل جديدة  
تتعلق بقضاء أوقات الفراغ ، وذلك بالنسبة الى البدة فى وضع هذه  
الاوراق • وتتحكم قوة الثقافة فى المدى الذى تستطيع فيه قوى التجزئة  
والتفتيت العشور على منطلقاتها الحرة والناجحة فى هذه الأوضاع • وفى  
امكاننا لبحث هذه الناحية الرابعة من نواحي الثقافة أن نفكر فى الثقافة

كنى ذى ثلاثة أوجه ، وهى الوجه المادى ويشمل أنظمة الملكية والتقنية ، والوجه التنظيمى ويشمل العادات والتقاليد وكذلك يشمل بصورة واضحة الأنظمة السياسية والاجتماعية ، وأخيرا الوجه القيمي ويصم قواعد السلوك والدين والأدب والفن الى الحد الذى تضم فيه هذه الآمال والاحكام والوجه المادى للثقافة هو الذى يتعرض اليوم الى أكثر نواحي التبدل شدة . فقد وجدت حواشى وديول الحياة الصناعية ، كالسيارات مثلا وغيرها من السلع الاستهلاكية ، قواعد ثابتة لها فى حياة المجتمعات الافريقية التى لم يجر تصنيعها بأى حال من الاحوال . وليست كماليات هذه الثقافة المادية فى افريقيا ثمرة من ممار التصنيع ، كما هى فى أى مكان آخر ، وانما هى مدمات له ، وان كانت بعض تطبيقاته الفنية كالمواصلات مثلا والى حد أقل ، الاساج ، قد انقلب الى هناك فى السنوات الماضية . ولكن من المميد النافع أن ننحى ما اذا كان هذا التمدد وذلك التبدل فى الثقافة المادية فى افريقيا قد مس ثقافتى القيم والتنظيم فيها . وهل توسعت الثقافة المادية دون أى مساس بأى من الوجهين الآخرين للثقافة ؟ واذا كانت الناحيتان الاخرتان قد شهدتا شيئا من التعديل ، أو شيئا من الفقر والعدم فى الوقت الذى توسعت فيه الناحية المادية ، ألا يكون ذلك نتيجة بعض الارتباطات الداخلية ، أو أنها مجرد ثمرة لسياسة « دع الامور تجرى كما تنبأ » . وقد نسعر نحريانا فى هذا الصدد عن العنور على الحقيقة الواقعة وهى أن الناحيتين الآخرين للثقافة قد تأثرتا تأثرا مؤلما فى افريقيا فى نفس الوقت الذى ادعت فيه الثقافة المادية للاغراءات والغوايات الغربية فلقد طرأ على النظم الاجتماعية تبدل كبير للغاية ، وأضحت الفروق الطبقة أكثر ميوعة مما كانت عليه من قبل ، وأضحت الثورة الاجتماعية أكثر قوة واندفاعا . ويبدو أن هذا كان نتيجة امتداد الثقافة المادية فى كل مكان ، ولا سيما عندما يكون هذا التمدد ثمرة التصنيع . وقد أصبحت المكانة والرتبة مرتبطتين بحيارة مهارات معينة أو بالتمتع بالحد الأدنى من الثراء . ولم تعد نصب المكانة والطبقة ، هى عين ما كانت عليه فى الماضى . فقد برزت الى السطح جماعات من التجار ، الذين أضحوا ذوى أثر كبير فى مجتمعهم عن طريق ما يستطيعون التصرف به ، بحيث لم تعد ثمة من حاجة الى البحث عن أصولهم لادراجهم فى قائمة أفراد الطبقة العالسة . وقد خلق النظام التعليمى الذى جاء مع التمدد فى الثقافة مجموعات من الافراد لم يكن فى وسع الحكم الاستعمارى الاستغناء عنهم وقد اعتبروا على الفترة التى عقب الاستقلال . على صلة بالمصادر الجديدة للسلطان . وهناك ثغرة واسعة بين هذه الجماعات وبين الجماهير السعبة التى ما زالت تعمل فى الزراعة أو فى مهن لا تحتاج الى الخبرات الفنية أو التى تحتاج الى شبه خبرة فنية ، وبزبد من اتساعها النسبى الافتقار الى

طبعه وسطي يصل بينهما . وقد باتت نتيجة هذه التطورات جماعات لا عد لها ولا حصر من الافراد الذين كانوا يعتبرون وفق التماثيل السابقة من أبناء الطبقة العمالية ، عربية على هذه الطبقة . ولا مكان لها فيها ولكن المعاييس التقليدية لم تعد والحالة هذه ميتة لا وجود لها ، بل غدت حية وحديثة أيضا ، لأن تسعين في المائة من افريقيا ، ما زالت تعيش على بحاليدها . ولا ريب في أن هذا يعتبر مقياسا للفرق بين المدن والقرى ، فالصنوعة الجديدة من الناس تحتشد في المدن ، بينما تواصل الصنوعة القديمة العيش فيما يمكن اعتباره في المعايير القومية نوعا من التجديد المؤجل في القرى . ومن الحتمي أن تزداد الفروق بين المدن والقرى في المراحل المبكرة من التصنيع . إذ أن العملية الصناعية يجب أن تكون في هذه المراحل ، انتقائية منزمتة ، ولذا تبدو عيوب الكويز الاجتماعي واضح كل الوضوح في المدن . ويتم في هذه الفترة تصريف عدد كبير من أبناء القرى ، لينتقلوا كعمال مهاجرين الى المدن . وما لم يجر تطوير المواصلات على شكل تعبيد طرق جيدة تربط القرى بالمدن ، بسرعة بالغة ، فإن القرى نفسها ستصاب بالهزال والحرمان حتى من ذلك الانعاش النسبي الذي ينشأ من حركة المرور الدائمة في المواصلات السريانية للبلاد ومن المحتمل حقا على أي حال أن يؤدي النظام التقليدي لتصنيف الناس في طبقات الى حد ما الى النلتيف من حدة الفروق والثغرات الطبقة أو الى تعديلها أو ايمانها ، وذلك بالنسبة الى الفرص الجديدة التي أتاحها الظروف المتبدلة . لكن هذا يعتمد على التعليم الثقافي أكثر من الاعتماد على أي شيء آخر . ففي وسع المرء على أي حال أن يقول ان الانظمة الطبقة التقليدية في افريقيا ، لم تترك أثرا مدمرا على العلاقات الاجتماعية كالانتر الذي خلفته في الغرب والشرق معا وسأنولى شرح هذه القضية بالتفصيل في الفصل البالى . ولذا اكتمى الآن بالقول بأن في وسع الانسان أن يتجنب عن طريق التبصر في الجمع بين الاضداد ، بعض الوغول في الشبهوات والتطرفات التي غدت مترابطة مع الشمدد غير المنتظم في الثقافة المادية في أوروبا ، وليس للصراع الطبقي في مثل هذه الاوضاع أى معنى على صعيد الثقافة الافريقية . ولم تتوافر حتى الآن الاوضاع التي يمكن اعتبارها معطيات تؤدي الى خلق هذا الصراع .

وقد يقال أن توسع الثقافة المادية قد ساعد على الحركة الاجتماعية وعلى السهولة النسبية في التنقل من طبقة الى أخرى . وهناك منطق أيضا في القول بأن النظام التقليدي في التصنيف الطبقي يسمح بانتحرك الاجتماعي . وإذا كانت الطبقات ترتبط بالسلطان والزعامات التي تفررها ، فإن النظام التقليدي الذي يقرر هذه الطبقات يصبح عرضة

للمحرك الاجتماعي . ولعل من الاصح أن يقال على أى حال أنه، على صعيد النظام التقليدى ، كانت الطبقات تعنى من ناحية التصنيف ، أوصافا معنية ولا تنطوى على أية معان خاصة من ناحية العمل والسلطان والسلطة . وفى هذه الحالة ، لم يكن النظام يسمح بأى تحرك أو انفعال من طبقة الى أخرى . فالانسان يولد منمنيا الى طبقة معينة تم ينسأ فيها ويموت فيها أيضا . وتبدو أوروبا وكأنها تسير فى هذا الطريق اليوم . فالانتماء الى الطبقة النبيلة فى أوروبا لا يبدو اليوم وكأنه يعنى أى معنى خاص من ناحية العمل أو السلطان أو السلطة . ولقد كان النظام الافريقى التقليدى يسمح حتى بانفعال العبيد الى مرتبة الزعامة ، وذلك بالنسبة الى مدى ارتباط العمل والسلطان والسلطة بالاختصاصات . أما حيث ينعدم الاختصاص فان طبقة المرء تضمن له التقدم والاسبقية ولا سيما فى الاحتمالات والمهرجانات والفضايا المماثلة . أما حيث توجد الاختصاصات كالفراشه السياسية والحكمة ، فليس ثمه أية أسبقية مرتبطة بحق الابن البكر فى الوراثة عن أبيه . وكان فى وسع أى عند يقم الدليل على واسع حكمه وغزير معرفته فى سياسة شئون مجتمعه ، أن يحل مركز الزعامة والسلطان دون الحاجة الى أية نورة أو انقلاب .

وتلقى نظام الاسرة أيضا هزات قاسية كذلك ، ولم تعد هناك فى كثير من الحالات تلك الوشائج العائلية الوثيقة التى كانت قائمة فى الماضى . وقد ضيقت المسؤوليات الآن استحابه للضغوط الاقتصادية . ولاريب فى أن النظام التقليدى للقيمة يرفض مثل هذا الطراز من الاستجابة . وعندما يسأل انسان ضمن اطار القيم التقليدية عما اذا كان جنسه للمال قد بلغ حدا يغدو فيه على استعداد لرؤية أقاربه يموتون حوعا يقع المسئول تحت الانطباع بأن هذا السؤال الذى وجه اليه لا يعدو أن يكون قضية بيانية مجردة . لكن المستوى الجديد للحياة النابع من الزيادة فى الاستهلاك الناتج عن التمدد فى الثقافة المادية لا يسمح بأن تنقلب كل وجبة طعام الى وليمة تطعم فيها أفواه لا عد لها ولا حصر . وهكذا تعرضت قيمة ثمينة من القيم لخطر التهلكة والزوال . وأصبح مغرضا الى التفتيت والتدبر ، بالنسبة الى ما لحق بالالتزامات المترابطة مع هذه القيمة . وأخذت الاسرة تنحدر باستمرار الى الحيز الضيق الذى يشمل ربهما وزوجته وأطفاله لبس الا .

ولحق الصعف أيضا بنظام الزعامة القبلية . فلقد حلت الدولة محل القبيلة فى أفريقيا كوحدة اجتماعية . وباتت أراضى أية دولة أوسع بكثير من أراضى أية قبيلة من القبائل . ولا ريب فى أن هذا التبدل يؤدى بالطبع الى التأثير على نظام المشيخة القبلية . ولم يعد شيوخ المشايخ ، زعماء مستقلين ذوى سيادة ، اذ أنهم يجلدون أنفسهم مرغمين على التراط ضمن



أطار المجالس الاقليمية مع غيرهم من جيرانهم السيويح . ولا ريب في ان هذا الرابط ، هو في حد ذاته احساس بالوحدة القومية . ويسير معه جنباً الى جنب ، وعلى الصعيد المعادى اسفال مسمر من ولاء المواطنين من سلطان الى آخر بين السيويح . وكانت الحركات العمالية وحدها هي التي أصعبت وبصورة فعالة ، السلطان الذي كان السيح القليدي يسمح به على ابناء فيلته . وأدى بوفعه عن أن يكون صاحب السيادة، وعن أن يكون صاحب الحول والطول ومصدر القرارات السياسية على أي حال ، ار يوفف أفراد سعيه بسرعة عن النطلع اليه طلباً للتوجيه والارشاد وتحول الى شخصية اجتماعية أكثر منه شخصية سياسية ، ولم يعد حتى لمظاهر النبالة التي كانت تمت اليه في الماضي أي وجود في هذا الوضع الخفيض الذي آل اليه . ولم تعد للشيوخ في هذه الايام حتى مكانة المواطن الممنار وعندما يطل فجر التصنيع اطلالة شاملة على أفريقيا ، لن يبعي في وسع أية قبيلة ، أو لن يسمح لها أيضاً بتأمين العدد الضخم من العمال الذي تتطلبه عمليات التصنيع . فمن الضروري القضاء على جزء من السلطات التقليدية التي يتمتع بها الشيوخ من ذوي ما يشبه السيادة ، وذلك لتحرير العدد اللازم من العمال لمشاريع التصنيع الضخمة ويسود الميل في الجماعات الضخمة من الناس الى اضعاف أساس النجمعات القبلية والشيوخ ، أما في الجماعات الأصغر ، فإن الميل يتجه الى تحويل هذه الجماعات الى تجمعات أصغر وأقل تأثيراً على شكل نواد وغيرها من الجمعيات . ولما كان قسط كبير من الثقافة في افريقيا في الوقت نفسه مترابطة مع التجمعات القبلية ، فإن الثقافة سرعان ما تجد نفسها مضطرة الى التمسك بقانون البقاء ، والى ابتكار أنظمة جديدة تضم بعض النواحي الأكثر قدماً . والتي تتضمنها الثقافة في طباتها ولا ريب في أن هذا الوضع هو اختبار للقيم نفسها .

وما زال وجه القيم للثقافة قادراً كل العدة على فرض عيوبه ومحطورات على الوجهين المادي والتنظيمي للثقافة . ولقد أوضح نمام الايضاح أن لكل مرحلة من مراحل حياة الانسان ، صورتها الخاصة بها، وأن هذه الصورة تحدد ما يجب أن يكون عليه الانسان ، كما تحدد ما يصلح له . وعندما تكون الفكرة عن الانسان الذي نجرى اختبارنا عليه ، هي أن الانسان حيوان اقتصادي لا تعود هناك حاجة أو مرر ، في الهبوط بالمصالح الانسانية الاخرى الى مرتبة المصلحة الانفساد . ولكن مع هذا ، تظل الرغبة في التطور ، وفي ارضاء المصلحة الاقتصادية جزءاً من وجه القيمة لثقافة الشعب الذي ينتمي اليه هذا الانسان . أما عندما لا ينظر الى الانسان كحيوان اقتصادي قبل كل شيء ، فإن هذه الرغبة تصبح جزءاً لا يتجزأ من وجه القيمة للثقافة . والمذهب الشائع

فى الغرب اليوم وفى أجزاء كبيرة من الشرق أيضا ، هو أن الاسـسان  
حيوان اقتصادى ، ولكن الغرب والشرق ، يقفان موقف التناقض فى أنظمتها  
المنافسة لعلسفة هذا المذهب الاقتصادى الذى يقيم الثقافة على ضوء ما  
يمرض أن هذا التعريف ينادى به ويشجعه . وتثمر المساهدات العقلية  
فى الغرب نظريات رأسمالية بينما تتمر فى الشرق نظريات ماركسية .  
ويقف كل طرف على استعداد للدفاع عن مطابقة منسـاهدته العقلية  
للحقيقة ، وعن مذهب الاقتصادى الخاص به ، وعن رأيه فى طريقة  
تطبيقه بصورة خاصة .

وفى الامكان العصور على هذا الترابط بين الوجوه السـلالة للمنافه  
فى كل مكان . وفى وسع المرء أن يشرح هذا الرباط على النحو السالى .  
عندما سـسعير احدى السـعافات بعض السـاليبها فى التطبيق الصاعى  
وينظيماها من ثقافة أخرى . فان فى وسع المرء أن ينوقع ، أنه بالنسبه  
الى أهمية هذه الاستعارات والاقتباسات فى قالبها الجديد ، فان فى  
الامكان السيطرة عليها ومزجها بعناصر ثقافية أخرى . حتى ولو كانت  
هذه العناصر بحمل شكل الاسرار التى يباح بها على موائد السـاى . وقد  
يحدث حتما أن تكون هذه السلع المستعارة محاطة فى أماكنها الاصلية  
بمثل وموافف وشائج وأعراف انسانية ، تتمثل فى تصاميم العمارة  
والبناء ، والتعويضات وطرز السيطرة على العمال وأساليب هذه  
السيطرة . والعلاقات بين أصحاب الاعمال ومديريها وبين المستخدمين ،  
وموافف العمال من العمل ، وأن تتكرر كل هذه فى الوضع الجديد .  
وحتى لو صح هذا تماما ، فان المسـعمرين يحسون أيضا بالألم الحدى  
من رؤية أنظمتهم وطرائقهم قد زالت لتجل محلها هذه الانظمة والطرائق  
الجديدة . وقد يعزى هذا أحيانا الى الرأى الخاطئ رغم طبيعته بأن  
الانظمة الجديدة لا تستطيع أن تحقق نفس الاهداف التى كتب عنها  
الكثير ، أو لان مسـعيريها لا تحفزهم اليها نفس الدوافع والمثل العقائدية .  
ولكن على الرغم مما فى هذا الرأى من خطف وخطأ أحيانا ، فان الفرصة  
فى الصلحة متسـاحة له من الحقيقة المجردة ، وهى أنه رأى طبيعى .  
ولا ربب فى أن بروز هذا الاحتمال ، هو ثمرة للتأثير التفجـرى الهدام  
الذى تركه الثقافة المادية على وجه القيم فى الثقافة وقد يؤدى أيضا  
احتمال تشسع بعض النظم والطرائق المعنية بالعناصر الثقافية التى تمت  
الى السـعب الذى استعيرت منه واقتبست ، الى تعذر تأثيرها تأثيرا كافيا فى  
عملية نقل بسـبطة محردة ، كزرع هذه النظم والطرائق المقتبسة من أرض  
أخرى ، وقد يصبح من الضرورى فى بعض الحالات ، القيام بعملية على  
شكل نطعيم كامل وتعتمد السهولة التى تتم فيها عملية التطعيم فى ثقافة

جديدة على مدى غرابة الثقافة هذه عن الثقافة التي نقل الطعم منها وذلك على صعيد بواحي القيم فيها .

واجد نفسى قادرا بعد رسم هذه الصورة السريعة للقرى الادماجية الموجودة فى البساتين ، على العوده الى اسدلين احنلعي فى البطره الى الانسان فعلى الرغم من وجود مفرين من أمثال سارر فى العرب فان النظرة السائدة فيه ، والسى تلى فبولا اكبر ابيوم ، هى البطره العلميه وهى النى نفى بأن كل ما يعمده الانسان من اساحيه اسطريه لا يمكن ان يبر الهندسه أو الاسنراب ، اذ أن فى الامدن بوفه على اسس علميه صحيحه ، ونظهر هذه النظرة بوصوح فى معالجه بعض الاسار ، كالمعرفه الفائله بأن الديموقراطيه ظاهره اجتماعيه مجردة ، وهى المسكره التى عالجهها كتاب حديث عنوانه « الرجل السياسى » لمؤلفه مارتن ليبسميت . وقد سبق لى أن أشرت فى هذا الكتاب الى أن التحليل العلمى للانسان يعرض صوراً محتلفه وبديله للتركيب الاسمانى ، نعرض فيه كل صورة من هذه الصور لسيطرة مصلحه متسلطه معينه . والشئ الوحيد الذى لا يستطيع التحليل العلمى أن يجاريه ، هى الطافه الظاهره التى يملكها الخيار أو القرار على الرغبات الكامنه ، ونسير كل صورة من صور التركيب جنباً الى جنب مع ثقافه تناسبها وتعتبر جزءاً ممماً لها . فالتركيب الفائم على أساس الافتراض بأن الانسان حيوان اقتصادى ، يسير جنباً الى جنب مع الثقافه التى نملك نزعات ملحوظه نحو الاستهلاك ونحو النظرة الماديه الى الامور. ولعل هذه الثقيفه نضع الترفى والقرب فى صف واحد ، على الرغم من الهمهمات الصعيفه أو المحمومه التى تصدر عن الغرب فى غالب الاحايين عن وجود الله والروح ، دون ان تحمل هذه الهمهمات الا نادراً طابع الجد فى القول . ولقد قيل ان الغرب يفضى أوقاته فى حى التحليل المجسونه ، دون أن يقطع شوطاً بعيداً فى اعادة تركيب العناصر التى يتألف منها الانسان . واذا ما قورن هذا التركيب المقبول كليه للانسان بالدولة الفردوسيه التى صورت بريطانيا العهد الفيكتورى فيها ، فان الاعمال الراهنه النى يغرق الرجل الاقتصادى نفسه فيها تعكس تصميمها على التمتع بالطيبات الموجوده فى هذا العالم . مع انتظار ما نأتى به الآخرة من طيبات أخرى ، ويختلف الشرق عن الغرب تمام الاختلاف فى نظرتة الى الفردوس . وقد نكون صورة هذا الفردوس متشابهة عند الفريقين ، لكن الخلاف يتمثل فى أر الشرق يرى أنه يقيم الآن صورة طبق الاصل عن هذا الفردوس . فى بلاده لارضاء شعوبه .

ولكن ترى ماذا يتحتم على افريقيا التى لا تنتمى الى الغرب ولا الى الشرق أن تفعل ؟ فقصد يكون من الجنون المطبق على أقل تقدير ، ومن

البراحى الى حد كبير أن تكفى بتقليد الشرق أو الغرب تقليدا أعمى ، وأن نغدو مجرد نقطة على البوصلة تتجه الى الشمس فى عبادتها وانباع سيرها ، فى طرق ودروب ، لا تدع الثقافات الافريقية على حالها ، ودون أن تهتم بما هو غالب على هاتين الثقافتين الاجنبيتين من صور ، أو دون أن تكلف نفسها عناء نفهم ما فى هاتين الثقافتين من حيل وخفايا ومراسيس عقلية أيضا • ولا يؤدي هذا الوضع الا الى حالات من النقيض العنيف والمنقطع ، كما حدث فى ستغافورة تماما حيث غدت الحكومة فريسة سهلة للمال لمخالب الحملات الصليبية الخلقية الرجعية والداعمة الى التزمّت فى التطهر ( السورتانية ) • وهما تمثل معضلة من معضلات السياسة •

فلقد جرت فرة صياح الاستقلال فى افريقيا المستقلة حديثا فى ذيلها اجراءات معية لاعادة تنقيف الشعوب الافريقية • كان من حس طالع هذه الشعوب أنها لم تكمل ولم تستوف أعراصها • وكانت هذه الفترة نفسها عهد تجمد فى الابر والعالية للثقافات الامريقية • بل عهد نفتيت بفاى ، واعداد فى الهدف لان المصادر الحديدية المربية للسلطات ، ومنايع البت والفرار ، باتت مبتوتة الصلة بالثقافات المحلية • وقد عى هذا الوضع فى المناطق التى لم تكن فيها القوى الجديدة قريبة من الثقافات المحلبة ، شيئا من العداء الخفى لها ، وباتت الهوة بين حياه المدن وحياة الارياف كبيرة كاملة ، وكان وجود هذه الهوة عاملا كافيا فى منع عملية اعادة التنقيف من الاستثمار والوسع • ولكن يجب أن يضيف الى هذا حقيقه أخرى ، وهى أن عملية اعادة التنقيف لم تكن تهدف الى خير افريقيا • واما كانت موجهة لتحقيق أهداف أوروبا وحاجاتها • فالمفوقون الافريقيون الذين نجحوا فى حياتهم نجاحا شخسيا ، كانوا موجهين بوجهها كاملا الى الحد الذى ربطوا فيه أنفسهم بالثقافة الجديد والغريبة عنهم • وكثيرا ما يعبر المرء على جمعيات نسوية أشبه ما تكون بأعشاش الغربان نحظر لوائحهها الداخلية وأنظمنهها على السيدات الافريقيات التحدث بلغاتهن الافريقية وارثاء الملابس الافريقية التقليدية • وكامت النظرة الى الخلاص والى الرقى تتمثل فى جهد دائب وان لم يكتمل لسر العادات والارباء الاوربية بين الافريقين ، وكان هذا كله نمرة القرب من الثقافة الاوربية الجديدة • وكان هذا أقل غرابة على أى حال وأقل ضررا وأذى ، فى أماكن كسـمال نيجيريا حيث عملت العفائد الاسلامية العميقة على الابقاء على الظواهر الارسنقراطية المنمزة • وهو

موقف فهمه المستعمرون البريطانيون في أفريقيا في القرن التاسع عشر .  
واستساغوا وجوده (١)

ومن الاهمية بمكان كبير عما أن تؤكد الطبيعة التقليدية لافريقيا .  
ومن واجبا أن نحسب أن سعين في المائة من افريقيا المسفلة . تعيس  
على نعاليدها ولم تسترك هذه الاغلبية الكبيرة في فترة ضياع الاستقلال ،  
في ثقافة تحمل مكانه ايجابية ينساء في تخطيط السياسات أو في  
بطبيعتها . ولهذا فقد عجزت هذه الاغلبية الكبيرة عن الشعور بأنها مستركة  
فيما يدور حولها من أحداث . ولهذا فعندما تحولت الزعامه الى الافارقة  
كان من السهل على ما يحسون به من مساعر عميقة من الضياع ومن خيبة  
الامل ، أن يطفو على السطح ، وأن تظهر بارزة للعيان . وبات من الطبيعي  
أن تتوالى الاسئلة عن هذا الرجل الابيض الذي «يرشدنا عما يجب أن نفعله،  
وما يجب ألا نفعله ، ومن أن نخدمه أو لا نخدمه ، وعصا هو حير لنا  
أو شر لنا » ترى هل هذا الابيض واحد منا ؟ وقد جاء هذا الطراز من  
النساؤل في فترات من القلق الاجتماعي والسياسي المنقطع ، حتى في  
وقت مبكر . أي مند مستهل القرن التاسع عشر ولقد طغى الشعور  
القومي على افريقيا في الوقت الذي عمت فيه المشاعر القومية  
أوروبا . لم تكن الحركة القومية في افريقيا ، كما ينوهم الكثيرون من  
الاوروبيين حتى الآن ، هبة مستحدثة من الهبات التي أنعم القرن  
العشرون عليها بها . ولا ريب في أن هذا الطراز من التفكير أو من  
الوهم . ليس الا سبيجة الفشل في ادراك حقيقة ما حدث ، أو في تميز  
الانسان لم وجه الضربة اليه . فقد نقبل القول بأن المرء قد لا يرى  
الضربة توجه اليه . أما الفشل في تمييز موجهها ، حتى بعد أن يتلقى  
الانسان الضربة نفسها ، فأمر يفضح وجود نقص في التقدير الصحيح  
عند المضروب . وظهرت استعادة الاستقلال السياسي بسرعة كشرط  
أساسي من شروط إعادة توطيد اقدام الثقافة الواضحة في مفاهيمها ،  
والتي نشأ الافارقة على تعلمها ورؤيتها مطبقة . وما الثقافة الا أداة ذلك  
الاندماج المشطور الذي يعتبر أساسا في التدرج القومي ، وكانت الظاهرة  
الطبيعية الكبرى التي طبعت القرن العشرين بطابعها في افريقيا هي  
ظهور عدد كبير من الاحزاب السياسية العظيمة حقا . ولعل ظهور حزب  
مؤتمر الشعب وهو الحزب الحاكم في غانا ، وهو أول تعبير قوي صادق

(١) أعتقد أن الحقيقة قد حاست المؤلف تماما ما تكل متعمق في دراسته الاسلام  
يدرك بعض الادراك انه دين ديموقراطي . لا استقراطي كما يقول المؤلف فلا فصل لاسنان  
على آخر الا بالتقوى ، ولا سلطان لأحد وانما الامر شورى . وإذا كانت بعض مظاهر  
الطبقية قد دخلت ، فاما كان دخولها ثمرة العادات والتقاليد ولا شأن لاصول الاسلام  
بها .  
- العرب -

عن اعتبار الحفاظ على الاستقلال السياسي شرطا أساسيا لا غنى عنه  
لا لسف الوجود نفسه ، وبلورة ثقافته اسسـعـب الدايه لتسلم مع  
عمليات التحول القومي . ويدون التنسابة فى الافاا النفاية ، العروة  
الوي التي بوجد السعب ، حنى عنلدا يسير التآخى السياسى على  
خطوط من الاصول العريفة البشرية ، أو الاصول سبه العريفة فعندما  
تنوحد الجماعات المنسابة عرفيا ، او المتعاربة أصلا . فى تنظيم سياسى  
منسرك ، يصبح نسابه الاهداف قوة تدعو الى التماسك ، وان لم يصبح  
قوة حاسمة تمام الجسم . وكثيرا ما يسمع المرء بين الفينة والفينة أن  
الكفاح ضد السيطرة الاجنبية هو وحده الذى يوحد بين الحركات الوطنية  
والقومية فى افريقيا . وان هذه الوحدة تبعا لذلك ، موقوتة محدودة .  
ويؤدى هذا القول بفرد الدور الذى يؤديه الكفاح ضد الحكم الاجنبى ،  
بالمرء الى توقع نسوب المنازعات بين الاحزاب السياسية الافريقية حالما  
يتحقق الاستقلال . ولكن هذا التوقع ، لم يقع فعلا وبصورة عامة  
فلم تتحطم الوحدة فى الاحزاب الوطنية الصادفة فى أفريقيا . ولم  
تتهشم كما لم تتحطم فى الهند بعد حصولها على الاستقلال وعلى المرء أن  
يستدير باهتمامه الى العناصر المجزأة التى تقوم فى الثقافات المتلاصقة  
فى وجودها . ففي الكونغو مثلا ، حيث يملك أفراد قبيلة البالوبا  
فلسفة واضحة جلية ، قادرة على أن تحفظ ثقافتهم قوية متماسكة فى  
وجه الجماعات التى تحيط بهم ، أدت هذه القبيلة دورا يعتبر على الرغم  
من انفصاليته بالنسبة الى الكونغو ، وحدونا بالنسبة الى القبيلة نفسها .  
وهناك رباط واضح بين المناطق ذات الثقافات الاقليمية وبين الحكومات  
المحلية أو الاقليمية .

وأود هنا أن أصور الثقافة على أنها البيان الساحر الآخذ بمجامع  
القلوب الذى يروج للاهداف السياسية ، وانى لأشك فى أن هذه الصورة  
كانت من اكتشافات حزب المحافظين فى بريطانيا ، ومن المحتمل أن تكون  
الاداة الرئيسية التى استخدمها هذا الحزب فى كبح جماح حزب العمال  
ومنع من الانتشار . ويملك حزب العمال هذا على صعيد النسبة العددية  
للسكان فى بريطانيا اليوم ، أكبر التأييد عند جماهير الشعب . ويبدو  
أن شطرا كبيرا من هذا التأييد يضطد بهذه الصورة نفسها بينما يتولى  
المحافظون مقود الحكم والسلطان ، ويستخدمونه كمصدر من مصادر  
زحفهم الاقتصادى . اذ فى وسع كل انسان أن يجدد سلفا المكان الذى  
تقف الى جانبه عواطف حزب العمال المعارض فى أى نزاع صناعى فى  
البلاد . ويوجد حزب العمال نفسه مضورا على شكل عقائدية جماعية ،  
ترسمها الحملات الضخمة على الثقافة المادية التى تشنها الصحافة  
والتلفزة والوكالات الاعلانية بشىء من الحرية والانطلاق على الحزب بتشجيع

من المحافظين • وفى وسع حواضر عناية حزب العمال بالنقافة اليوم ، أن بدون محاولة اصفاء توجيهه أو لون جديد على الاغرافى الراهن فى النقافة الجماعية ، بحيث لا ينظر الى مسجرات النقافة على أنها مجرد الافتراع لا يصلح حزب المحافظين الى الحكم ومحاولة اسخلاق النمار من حكومته •

ولما كانت غالبية السكان فى بلادنا الأفريقية لا تزال تقليدية فى اوضاعها وحياتها فان ساستنا ورجال دولنا يجدون أمامهم سبيلا واصحا للحيسار بين طريقتين • اما أن يطلوا غرباء عن شعوبهم تماما كما كانت الحكومة الاسنعمارية السابقة غريبة عن هذه الشعوب ، وأن يكملوا عملية اعادة التعريف التى شرع الاستعمار فيها ، وأن يستعوضوا عن النقافات الأفريقية التقليدية بنقافة فعالة جديدة لا نملك لها جذورا فى قارتنا ، أو أن يعرصوا المشاكل ، ويحددوا المل والأهداف القومية نحديدا معيها على ضوء النقافات الأفريقية ومعاييرها • وهى النقافات التى كانت ولا تزال سائدة بصورة فعالة وقوية •

وتكون البلاد المسقطه حديثا من الساحية المعافية • منوعة بالغايات المهنسة وفى أمس الحاجة الى رنق الخيوط النقافية المقطعة • وقد تكون المشاكل الكامنة فى عمليه روى هذه الخيوط واحدة بالنسبة الى جميع الدول التى اسنقلت حديثا • ولكن تحديد العملية حديثا خاصا بالنسبة الى كل بلد من هذه البلاد يجب أن بجواب مع الميول والنزعات النقافية • ومن الواجب وفاء بأعراض الحماسة فى عمليات اعادة البناء النابعة عن التصميم والارادة بعميق بعض الصور التعافية المعنية ونشرها وستعتمد أساليب التعليم التعافى نفسه ، بما فى صمها طريقة المناقسة الحرة ، وعلى المستوى والمدى اللذين يصل اليهما وعى هذه الشفافة التى اسنلت من غمدها لتنتشر وبع •

وقد أقر ساسة أفريقيا ورجال الحكم فيها ، فى خطيهم العلنية وتصريحاتهم بالصلة المائمة بين النقافات الأفريقية وعمليات اعادة البناء • وهم يبدون فى انصرافهم الى ابراز الشخصية الأفريقية وكأنهم يعتنقون الرأى القائل بأن المبادئ الموجهة لمسئبل أفريقيا ستكون تلك التى أبنت تجارب أفريقيا وثقافتها صحتها • وهم ينظرون الى التقدم وأهدافه والى بعض طرائقه وسيلة أيضا ، على صعيد الصورة التى يرسمونها للشخصية الأفريقية ، ومن هنا يتضح أن ثقافات الشعوب الأفريقية نفسها ، هى التى ستقرر أيا من أوجه الحضارتين الغربية والشرق أوسطية ، هى التى سيحافظ عليها ، وأيا منها سيتعرض للتعديل والتبلور ، وأيا منها سيهمل وي طرح جانبا • ولا تكون هذه المجالات الاختيارية عرضة الطابع أو مفتقرة الى المبرر والسبب ، بل انها تكون حتما وبوضوح مرتكزة ارتكازا صريحا الى تلك التلورات الصامتة التى تقوم شرايين وجودها فى

راث الشعب نفسه . ويطلب الاعتراف بصحة الشخصية الأفريقية تلك المجموعة المركبة من الأفكار والمواقف التي تملك خاصية التسابه والبرور حتى في اسعافات الأفريقية المختلفة في بل ما عداها من أوجه ، العسور فوراً على الجسم الصالح من هذه الأفكار والمواقف المتشابهة والبارزة لا يوا، ما يقترحه من هذه الحصارا العربية عسا ، وأن يجد عن طريق التشخيص والمواجهة بوضوح ما بعده وصسوح ، ما نحن في حاجة الى اقراصه واقتباسه وامكان دمج ما نعيشه في نفاضا وكذلك أن نعر حقا على ما قد لا يضرنا لو نبذناه من أجراء نفاطنا الخاصة .

ولا يرغب المرء في الوقت نفسه ، أن يكون نفاطات افريقية التقليدية متمزعة وصيقة في افافها بحيث تعرض القيود على مستقبلنا . ولعل ابر ما يضيف الأهمية على نفاطنا التقليدية هي الحقيقة الواقعة . وهي ان نفاطنا عصرية الطابع أيضا . ولكن الى جانب هذه النفاطات تقوم الان بعض العناصر الغربية النفاذية التي هضمناها . وبعض العناصر التي ل بهضمها ، وكذلك بعض العناصر الثقافية الشرق أوسطية ، المرباطة مع الدين الاسلامي، الذي وجد في العارة الأفريقية أرضا خصبة كل الخصوبة والنقطة المهمة في الثقافة ، التي جعلناها محور حديثي حتى الآن هو أنها منبع التضامن ، ومصدر التوحيد بين المذاهب الميكانيكية المعقدة ، وبين الرموز والشعارات وعفائد التكامل الاجتماعي ، والمتشرك لشيء واحد، أو بكلمة أخرى ، هي الوجود الحي للأمة نفسها . وتتطلب عمليات البناء القومي الا تقف مشاعر الولاء الشديدة الضيق ، كالأولاءات القبلية مثلا ، موقفا عدائيا شديدا من هذه العمليات والعناصر الثقافية التي سبق لي ذكرها قائمة في جميع البلاد الأفريقية ، ويجب أن يحسب حسابها في أية عملية تركيب جديدة . واذا كان الله هو الذي خلق الانسان فانه لم يخلق معه وفي نفس الوقت النفاذة الخاصة به . فالنفاذة ليست خاصة عضوية حياتية تولد مع الانسان . وانما هي من خلق الانسان نفسه . وتعتمد محتوياتها على جميع الصعدان وفي جميع الأوقات على الميول العفلة وغيرها من الأوضاع السائدة .

وقد جرت المحاولات منذ أمد ما لتصوير افريقيا على أنها أرض خام، أو لوحة بيضاء صالحة لانطباع أية نفاطات عليها . ويقال ان جميع الشعوب السوداء ، مدينة بتنظيماتها الادارية وأديانها والكثير من ثقافتها المادية الى مصادر لا زنجية ، وغالبا ما تكون مصادر مصرية قديمة . وقد بدأ بعض علماء الأحاس البشرية دراساتهم من هذه الفرضية على اعتبار انها مقدمة في الوقت الذي يجب أن تعبر نتيجة لا مقدمة ، ولهذا فقد وجدوا كل ما يبرر لهم انهاهم في دراسة التاريخ الافريقي . ويبدو أن هذا الانهماك يركز على رأيين يحملهما بعضهم . وأول هذين الرأيين



قت الدى قامت فيه القارات الأخرى بصاعه التاريخ وبلورته ،  
 يقيا لا ترال مقلعة فى شكل من أشكال الحمأة التى لا تاريخ  
 لم بدخل التاريخ الا منذ عهد قريب . ولقد أقحم عليها تاريخها  
 ما الرأى المانى فهو ان افريقيا الأصلية ، افريقيا التى يعيش  
 الغاب ، قريبة للعانة من اطييعه المجردة حتى ان الانسان يرى  
 : الانسانية فى طفولها ، ويطلق علماء الأخناس البشرية الآن  
 لنظام الدى يصعوبه اسم العلم ، مع أن فرص التحربة غير  
 م مطلقا . أما اذا اصرص المرء أن بمة تاريخا متسركا للآراء  
 ، فيها بى الانسان قاطبه فانه فى وصعه القارة الافريقية أمام  
 لأخرى التى ارتفت عاليا شجرة تاريخ الفكر والآراء، يجد بدلا  
 ، التجربة ، أو نوعا من السمن النباتى « المرجرين » بدلا من  
 قد لا تكون ثمة ضرورة للقول بأن علماء الأجناس الاكسر دقه  
 لا يرسون بهذا الوصع ولا يسهمون فيه ويعتبر علم الأحناس  
 عند الشعوب التى لا تملك تراثا من التاريخ المكتوب ، اذ أنه  
 اريخ ما قبل الكتابة ويكشف عن خباياه . أما ما يقوم به علم  
 'جتماعى فهو أن يحلل النقافة ويضع عناصرها الى جانب بعضها  
 و فيها العناصر المهمة ، على درجة من الأهمية حقا . ويستطيع  
 من العناية والاهتمام أن يوصح النبدلات الداخلية التى تطرا  
 ، ولكنه لا يستطيع أن يضمن نتيجة تاريخية بالنسبة الى  
 نقافة المعنية نفسها . فالنتائج الساريخة بحاجة الى الأدلة  
 'نباتها وإقامة الدليل عليها .

ما ضرب المرء مثلا بمؤلف السيده مايروفيتش عن قبائل الأكان  
 سح له على الفور ، انها لم تحد ضرورة للاتيان بأية أدلة تاريخيه  
 حتى لو اعبر المرء مؤلفها صرنا من صروب التاريخ الخيالى  
 بان شعوره بالسحط على هذا المؤلف يستمر ويبقى .

قاربت المؤلفة بين أفكار الأكان عن حق الملوك الالهى وأنظمهم  
 سياسية والاجتماعية النى ربطونها بملك الافكار وبين الواحى  
 فى عهود مصر القديمة المختلفة ، وتذرعت بهذه المقارنة ، ثم  
 أن الأكابين يرجعون أفكارهم وأنظمتهم ، وحى تظيماتهم  
 الكثير من نفاقتهم المادية الى المصريين القدماء . وقد يكون هذه  
 وطريفة ، ولكنها تعتم على كل ما يهم الدليل على صحتها  
 ، التاريخية . وهى لا تحاول محاولة حدية أن تقيم الدليل  
 مة على أن الأكابين القدامى ، قد عاشوا فى يوم ما فى مصر  
 فى مناطق عرف بصورة ثابتة ، أنها كانت فى الماضى واقعة  
 المصريين القدامى . وإذا ما أخذ المرء مؤلفها على صعد التاريخ

الخيالي المتكهنى فإنه يرى أن ما انطوى عليه من حديث عن الأفكار والأنظمة هو من قبيل التمار الفكرية لا من قبيل الحدس والتخمين . ولا ريب في أن هذه الأفكار كانت مهمة لقدامى المصريين بقدر أهميتها لسياسة البوتوكيميين ونظام حكمهم . وقد لا تكون من المعلومات العامة للمصريين القدامى بقدر أكثر مما كانت للأكانيين . فلقد دفنت هذه الأفكار والأنظمة في الحقيقة في أسرار الكتابات الهيروغليفية التي كان الكهنة يتولون حراستها والحفاظ عليها . وليس نمة من سك في أن أى شعب تمكن من الوصول الى هذه الأفكار المخبوءة بكل ما فيها من تفصيل ، على السجو الذى ذكره المؤلفة ، لابد وأن يكون قد اقتبس أيضا من الكتابة ، اذا لم يكن قد توصل اليه من قبل . ومن هنا يجوز لنا ابداء الاسف لأن المؤلفة لم تحاول أبدا ايضاح السبب في جهل الأكانيين لنظام الكتابة وطريقها . ويمكن مقارنة الاقتباس المزعومة هنا بما يشعر به الغربيون من دين الحضارة القديمة واضحا في اللغات الغربية ، واقتبس الغرب أيضا الدينية والنظريات الاجتماعية والسياسية والتنظيم . ولكن في وسع المرء أن يلاحظ بأن الغرب لم يعجز عن اقتباس كل ما يرافى تلك المفاهيم من قضايا أخرى . فلقد اقتبس طريقة الكتابة ، ويبدو الأثر اللغوى لذلك الحضارة القديمة واضحا في اللغات الغربية ، واقتبس الغرب أيضا المفاهيم الفنية وطرق التنفيذ الفنى كما اقتبس التقويم أيضا . ويوجد المرء في افريقيا اليوم ، حيث تقل طبيعة الانحراس والاقتباس في أوروبا عن طبيعة المنبسطات التى ذكرناها السيدة مايروفيتش ، بالنسبة الى الأكانيين والمصريين القدامى ان هذه المنبسطات وقد وقعت بما يسمى « بسلام بريطانيا » أو « بسلام غاليسيا » ، وتسير الأفكار الدينية والفن جنبا الى جنب اذ يتحتم على المرء أن يصور معبد الباشيون ، وأن يضع مخططا للطقوس الدينية التى تجرى فيه . وليس هذه القضايا من النوع الذى لا صلة له بأية قضايا أخرى . ولهذا فعندما تقول المؤلفة بصدد التقويم أنها لا تضع كتابها لتتحدث عن تأثير قدامى المصريين بصورة عامة ، وعندما تقول عن الفن ، بأنها تتفق مع رأى القائل بأن الفن الأكاني يملك صفاته الخاصة المميزة فإن المرء ليشعر بأشد الدهشة من رأى الذى سبق لها أن توصلت اليه (١) .

(١) لم أستطع التثبت من المصادر التى رحمت اليها من الموقف الذى يجب أن نقفه من هذا النقاش بين مؤلف هذا الكتاب وبين ساب مايروفيتش أو كتاب هومبرغر ، ولكن الشيء الواضح هو أن المؤلف يتهم المؤلفتين المذكورتين بالخروج على الحقيقة التاريخية دون أن يحاول هو بدوره اثبات اتهامه بالادلة العلمية التاريخية وبالطريقة العلمية أيضا ، وأنى لأترك تقرير هذه الحقيقة الى علماء التاريخ ، وان كانت بعض الحقائق التاريخية تؤكد أن آثار حضارة المصريين القدامى قد انتشرت في جميع ما يحيط بها من بلاد في الشرق والعرب والجنوب وقد ثبت أيضا بصورة تاريخية قاطعة أن القوافل =

واذا صح أن نفاه الأكابيين مقتبسه تمام الافتباس من نقافة المصريين العداى فان وسع المرء أن يوقع ببعاء لذلك العنور على عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة فى لغة الآكان . وهنا نجد أن السيدة المؤلفة ، قد استندت بقوة الى آل هومبرغر من أن جميع اللغات الافريقية الزنجية مسمدة بناء على عناصر مشتركة كثيرة ، من أصل مصرى قديم ، ولكن الصفات أو العناصر التى تسرك فيها اللغات الزنجية الافريقية قليلة للغاية . والحديث عن العناصر الكبيرة المشتركة بين هذه اللغات وبينها وبين اللغة المصرية القديمة أشبه ما يكون بنحطيم أضعف قوانين الحيال وبسات الافكار ، ولكن السيدة هومبرغر على الرغم من اعتبارها حجة عند مايروفيتس ، تكتب بشكل أقل نباهة وحرصا من تلميذتها . وبينما حاولت التلميذة فى الواقع أن تضع فرضية توصلت اليها بعد الكثير من الاطناب والشرح العميقين . وسببتها الى جميع الشعوب السوداء ، نرى أن الأخرى التى اعبرتها حجة فى هذا الموضوع مبالاة الى الخلط والمزج . فلقد تأثرت بسوع « القول » من المائىة المحدودة الطهر ، وخلصت دون أى تعب أو صحة الى القول بأنها تمت الى أصل « درايدى » ولاحظت تكرار العقد المزمارية فى هذا الحيوان وقالت أنه لابد وان يكون قد أتى من السند فى الشمال الغربى للهند . ولم تكسر فية أثمة بالتبدلات الصوتية التى تعتبر دائما عقدا فى كل تصنيف لغوى .

وكان ما فعله جان - هانيز جاهن فى كتابه « مونتو » هو عكس ما فعلته مايروفيتس فى كتابها تماما . ولكن بينما يستطيع المرء أن يقول ان مؤلفها يعنقر الى الوعى الكامل ، فان فى وسعه أن يقول ان مؤلف هذا الكتاب لا يتجاوز مطلقا مع البحث العميق ، ولعل خير ما يمكن اطلاقه عليه ، هو انه كتاب صحفى . ولعل رأيه فى الثقافة الافريقية هو مزيج من دماثة سنيفور (١) الغربية ومن أى شىء يمكن للساسة الافريقيين وغيرهم من أرباب النفوذ ، أن يؤثروا الايمان به بالنسبة الى ماضيهم ، اذ أن جاهن يقول ، ان ما يؤمنون به مؤرر وفعال ، ولذا يجب أن يكون صادقا وصحيحا ، وهو يقول هذا دون أن يحاول اقامة الدليل على صحته ، مكتفيا بأن مجرد ايمانهم به يكسبه صفة الصدق ، واذا شئنا الصراحة

= كانت تنشر من مصر باتجاه الشرق والجنوب وأن هجراب واسعة قد حدثت من وادى النيل الى افريقيا العربية وأن هذه الهجراب قد حملت قائل عربية الاصل الى تلك البقاع كما حملت الابل من الشرق الى الصحارى الافريقية ويتبين من هذا أن المؤلف كان معالبا فى محاولته انكار كل صلة بين حضارة المصريين القدامى وبين قبائل الآكان فى غانا .  
« العرب »

(١) سنيور هو رئيس جمهورية السعال وهو من ارق الشعراء فى اللغة الفرنسية ويتمتع بثقافة ممتازة .  
- العرب -

فلما ان مؤلف جاهل يحمل طابع العطف والتأييد الظاهرين ، لكنه أكره هذين المؤلفين خبنا وضررا • فهو يعرض عندما يتحدث عن الأدب الافريقي ارداءه لواقع النفاة الافريقيه التقليديه كحقيقة تاريخية ، وهو يحشد نماذج من الشعر يجمع فيها بين الغب والسمن ، دون أن يعلق عليها ، ودون أن يقبم أى دليل على وجود الأدب الافريقى •

وأعتقد أن هناك طرازا من النفاة الافريقية وأن هذا الطرار « حوهري » فى ايجائه والهامه • وبجد النظرة الجوهرية للاسنان التى تكمن وراء هذا الطرار السعير عن نفسها فى الفن ، وفى قواعد السلوك والاحلاف ، والقاليد الدنية والادبيه • وكذلك فى تقائيد السمع الاجتماعيه • والمجمع الافريقى عملاى من هذه الماحيه ، فالمبادئ الموحهه للعبور على حلول المشاكل الاساسيه مواضعه دائما بكل ما فيها من وصوح وجراء • وليس اهتماما بمفاننا بمنحصر فى السواحى التاريخيه أو الأثرية • واما هو متجه نحو الغد والمسقبل ، فهو يعسا على حل المشكله التى تواحننا ، لا فى كيف كان الافريقيون ؟ بل فى كيف يمكن لنا أن سستغل مواردنا الاساسيه الراههه بأحسن السسل ؟ وهى موارد تقليديه الى حد كبير ، ويوفر هذا التوكيد لطورير التعليم النفاى الافريقى ، النتائج الطيبه لا من الناحيه النظرية فقط بل ومن الماحيه العمليه ايضا •

ويتطلب تطوير التعليم النفاى على أى حال جهدا هائلا وواسع الانتشار ولا ريب فى أن هذا الجهد سيوجه الى بلورة نفاطنا فى شكل فصيح وبطريقة بليغه نستطيع أن نواجه فيها تحديات العالم الحديث •

وفد هبط الانجذاب الثقافى الذى حتم التركيز على ثقافتنا حتى الى مستوى مدارسنا الأوليه • فالأساطير السعبيه التى كانت تنلى على مسامع أطفالنا مأخوذه من أساطير الشعوب الأخرى لا من شعوبنا ، ولا يمكننا قط أن ندعى أن مسمويات السلوك المقبول والمثل الممكنه والمطامع التى يعرضها هذه الاساطير ، هو مما بخصنا وحننا دون غيرنا •

ولعد أوصحت فى السابق أن النفاات مرتبطة ببطرة جوهرية أو علميه للطبيعة الانسبائيه ، وانى لأعتقد أن ثقافتنا مرتبطة بالنظرة الجوهرية ، وسبق لى أن بينت أن الاحداث ذات الاهميه الضخمه تقع ضمن اطار ثقافه معينه وتستمد اهميتها من الثقافه التى تجد نفسها فيها ، ويببدو وجه القيمه من الثقافه وكأنه الوجه المسيطر ، اذ ان التقدم الثقافى نطلب الانتقاء والرفض ، وهذان يعنيان الخضوع للقيم ، وعندما يقتبس شعب من شعب آخر ، يعدو الثقافه شيئا صحيحا باننا ، اذ أن الاسان

كثيرا ما يفتبس بعض التوافه ، مع ما هو فى حاجة حقيقية اليه ، ولقد حاولت أيضا ان اؤكد العمل الادماجى للثقافة ولا ريب فى ان هذا الوجه من الثقافة كاف لاثارة اهتمام الافريعيين بثقافتهم ، ولكن يجب التأكيد على أبة حال ، بأن هذا الاهتمام ليس تاريخيا أو أنريا فقط ، مع أنه يتعلق بالناحيتين أيضا ، ومن الواجب توجيهه على أية حال نحو المستقبل، اذ انه يساعد فى حل المشكلة المتعلقة بخير السبل التى ننبعها للافادة من مواردنا الانسانية الراهنة ، لا المعلقة بما كنا عليه قبل عدة قرون .

ولا ريب فى أن هذا التوكيد لا يضمن توفير النتائج الطيبة لتطوير التعليم الثقافى الافريقى من الساحة النظرية فحسب بل ومن الناحية العملية ايضا .

## نموذج المجتمع الأفريقي

« أوجه الشبه بين الثقافات - طراز الثقافة الأفريقية - ناحيتها الفلسفية - ناحيتها الغيبية - نظرتها الى الانسان والمجتمع - نظريتها فى الحكم - جهازها القضائى - تنظيمها العسكرى - أدبها - سننها الاخلاقية - خوارقها - النظم والنظريات » .

تمر السمات على الرغم من اسنمرارها على حالها ، عبر مراحل وصور متعدده وملاحقة . ولكل ثقافة منها بواحي أساسية عدة ، تملك كل ناحية منها الطاقة على أن تصبح منغلبة على الثقافة نفسها . ويفرر الشوكه الذى يضى فى أى وصف من الأوقات بسدة على ناحية من بواحي هذه الثقافة ، الصورة التى تظهر فيها ، بينما تظل النواحي الأخرى فى حالة من الكبت الدمى الرفيق . ولعل الطاقة عند الثقافات على البقاء على ما هى عليه رغم مرورها فى عدة مراحل أو صور ، هى التى تمكن الباحث من البحث بشكل ما فى وجود هذه الثقافة نفسها . ويكون هذا البحث صحيحا بطريقته الخاصة وإن كان لا يعكس مطلقا أية مرحلة معينة من الثقافة . وتمثل الطاقة على عرض هذه الثقافة بهذه الطريقة فى القدرة على عرض تركيبها ، وعرض المدى الذى تستطيع كل صورة من صورها أن تظهر فيها . وكثيرا ما تهمل المعارك التى تدور عن الثقافة فى الحقيقة لتتحول الى مجرد منافسات لتأييد هذه الصورة أو تلك من صورها . وهكذا يصبح فى وسع الانسان أن يقول إن أف . آر . ليفز ( F.R. Leavis ) ، يود لو ساد الخط المتطهر ( البيوريتانى ) على الثقافة البريطانية فى هذا الوقت ليصبح بحدنا من بحدونها . ولو أصبح العنصر المنطهر هو الغالب على الثقافة البريطانية . لبات فى مكنة الانسان أن يقول عنها أنها دخلت فى المرحلة المتطهرة أو أنها تحمل صورتها ووفرة الخطوط التى تحدد فى إمكان تحقيق المراحل والصور ، موحدة فى كل آن وحين وهناك احتمال صريح دائم ، فى أن يتحول أى خط من هذه الخطوط الى صورة غالبية ، والى بحث منهجى عن الثقافة نفسها . ونسبه هذه الخطوط أرجل الحشرة المتعددة الارجل موجودة دائما هناك . ولكن الامساك بالحشرة ، يتم دائما عن طريق رجل غير الرجل التى أمسكت بها المرة السابقة .

وسأحاول فى هذا الفصل أن أعرض ما أعتقد أنه المدى النموذجى

الافريقية . والظاهرة الأساسية في الطراز الذي سمى اليه السقافة  
 « هي النظرة العالمية . التي يمكن أن تنسب اليها جميع المفاهيم  
 وببعضها بالطبع المفاهيم اللاهوتية والحلقة والدينية والتنظيم  
 ي . ولهذا فأننا اعتزم شرح هذه النظرة العالمية ، واضاح الطريقة  
 بنق منها جميع الصور الرئيسيه الاخرى للمجتمع الافريقي التقليدي  
 ، هذه الغاية أو بر اخسار مجمع أفريقي واحد لكون متالا  
 ب الاخرى . وهو مجمع الآكان في عانا .

بمل الآكان في عانا نلى سكان البلاد البالغ تعدادهم ستة ملايين  
 المليون من الناس . ويقيم معظمهم في منطقة « الانسانى » والى  
 منها « اكسيم » والى الغرب من أكرا . وهم يتحدثون  
 ه من اللغات التي نمت الى أسرهم واحده للنشأه المابل بينها . وان  
 بعبر لهجات متعدده في لعه واحده .

في مقدمي لفكره هذا المنال او السمودح لا اعذر مطلما الايحاء بأن  
 ، الافريقية كلها أو حتى معظمها ، سترك في مجموعة مسابهة من  
 أوحتي في مجموعة منشأهه من التفاصيل . فلكل ثقافة من الثقافات  
 ما الخاصة بها وهذه الشواهد أو الأدلة هي التي نوصح أننا من البيانات  
 العامة الموجودة في الثقافة نفسها معقول ، وأنها غير معقول .  
 بل هذه البيانات النقيمية العامة على القانون وفواعد الاخلاق  
 م الاجتماعي . ويظهر اليها عادة وبصورة سائعه ، وكأنها عاجزة عن  
 دليل غير الذائع وغير المنشر ، وبصل المرء ضمن اطار الفواعد التي دعا  
 ب (Kant) والتي نعوم فيها المبادئ القياسية أو المعيارية على  
 أحكام العقل ان عاجلا وان آحلا الى مبادئ عملية يفترض أن العقل  
 ، يفرضها على نفسه . أما في المجالات الاخرى فان هذه البيانات  
 العامة ، لا تصبح معقولة أو صالحة الا من ناحية علاقتها  
 ت الفردية .

من السهل بالطبع على أي ثقافتين أن تسنركا في نفس القيم العامة  
 لي الرغم من هذا الاشتراك فان النظم التي تعبر عن هذه القيم تظل  
 بين مكان وآخر . وبظل كل من الثقافتين محتفظة بعدد من الظواهر  
 التي لا ترتبط ارتباطا مباشرا بأي من القيم العامة . وبصح لنا  
 ، على هذا القطاع الثقافي الذي يضم الظواهر اللامرتبطة بأية قيم  
 بنه اسم «الاسلوبيات الثقافية» . ومن هنا يقال ان «الاسلوبيات»  
 ، مختلفة بين ثقافتين تشتركان في نفس الإبحاء والالهام . ويتضح  
 أيضا أن « الاسلوبيات » تشمل تلك الامور التي تخضع للذوق  
 اس ولا ريب في أن المثل الواهي الشائع بأنه «لا خلاف على الذوق»

يمكن أن يعبر أيضا دلبلا على أن الأدواق مرحيب أنها أسلوبيات للثقاف لا ترتبط ارتباطا مباشرا مع قيمها العامة السامية . ومع ذلك فإن الادواق تعبر نفسها لتستخدم كطرائق اصافبة لتأييد أية صورة أو مرحلة من صو الثقافة ومراحلها .

ولقد سبق لى أن أوضحت أن الاملة على الطرر المستابيه من الثقاف قد تختلف . ولكن المرء يتوقع أيضا وجود أوجه شبه بينها . ولكن هذ الاوجه ليست على أى حال من النوع الذى ينتظر الانسان أن يلقاه به الجمل التى تعبر فى اللغات المخلفة عن نفس الفكرة . وفى وسع البعافد التى تمت الى نفس الطرار أن تكون فى صور أو فى أوساط ومراح مختلفة . فقد نختلف أسلوبياتها، ويختلف تعاء، وعلى نحو أوضح أنظمتها ومن هنا يكون الفكير بأوجه السبه بين الثقافات التى تسمى الى نفس الطراز على صعيد أوجه النسب العائليه . فها يمكن للثقافة الواحدة أن تتشابه بشكل ملحوظ مع عدد من الثقافات المخلفة التى تسمى الى نفس الطراز ، وأن يكون هذا الشبه بطرق مختلفة ، تماما كما تقوم أوجه شـ بين أفراد الاسرة الواحدة المختلفين تمام الاختلاف .

ولعل هذا هو الذى يبرر الطريقة الجوهرية فى معالجة ثقافة واحد تعامل على أساس أنها النموذج للطراز الذى تنتمى اليه تلك الثقافات وأعتة أن من غير المستحب أن يحاول عرض « خطة » الطراز كلها .

وقد فكر الاكائى كثيرا بالعالم لا العالم الذى يعيش هو فى وسطه بل العالم الذى يؤلف هو جزءا منه . ولم يتخذ الاكائى قط موقف « الظاهريه » من العالم فالعالم بالنسبة اليه شىء عيى ولا علمى . ولغو هذا الرأى تمام الفهم من الضرورى أن نفكر بأن « العصرية » نألف « اغنيال الافكار ومن تضييى المجالات التى يستطيع فيها مفهوم العلافا بين الافكار ، تقرير طبيعة العالم ومحتواه . وقد اعبر هذا ممكنا الآن فى أوروبا فى حقل الفكر والعمل ليس غير . أما فى الحقول الأخرى ، فلا يعتب المالم فى أوروبا أكثر من شىء ادراكى ، ولعل من أسس البحث العلمى من القول بأن الذى خلق العالم لم يكن « فيلسوفا عقلانيا » .

لكن العالم يعبر من وجهة النظر العينية للاكائى فكرة فلسفى عقلانية وتتخذ العلاقات بين الافكار لحمتها وسداها من العلاقات بين معطيا الطبيعية ومركباتها . وتقضى هذه النظرية وعلى هذا النحو بأن تكون الغيبيا الحقن نظاما اسنفراثيا . ومن هنا تكون الاخلاق والسياسات والطب كد أمور تنبثق من الغيبيات . ومن هنا يغدو العلم بما فيه من تجرربيات شـ زائعا من أسكال السلادة .



وأدى تقدم العلم والتقنية في أوروبا الى دبول مجالات الاحلاق كاحدى معطيات الغيبية واحطاطها وبات المرء يشهد الاخلاق وقد تبلورت لتذعن للطب ويرى العلاقه بين افكر والعمل وقد انسحبت لتخلي مكانها للعلافة بين المسبب والنتيجة ، عن طريق الحوافز ، والمقدمات الكامنة من أيام الطفولة . وباب الامون والخطاه يتنكرون سحرية مهم في أشكال المرضى ودوى العاهات ، أما بالنسبة الى الاناس فلم يدن هناك تقريبا أى فرق بين الخطأ والخطيئة ، أو بين الخطأ والاسم ، اد أنهما يحملان اسما واحدا هو ايون (Ebon) ويلقى هذا الاسم نفس الصورة الناتمة على المعبين وهى صورة الشرالتي تسجل الاخطاء والخطايا، ويفابل الخطيئة فى السمل الانسانى اسم التناقض فى الفكر الاساسى ولما كانت المحالفة أو السافض تسمل الفكر ، يصبح من اللامعقول . أن يعابل الخطايا أو الآنام بالعقاب السديد ولما كانت الغيبيات هى النى نلظ الاخلاق والسياسات والطب ونظريات التنظيم الاجتماعى وغير ذلك ، فان نتائج أى خطأ يعبر فى عرف الغيبيات حظيرة أيضا ولعل هذا المفهوم هو الذى يشرح صرامه العقوبات التى فرصمها شريعة الاكايين . والتى طهرت بمظهر الوحشية والبربرية وكل ما يفعله تقدم العلم هو انسنة الاخلاق والسياسات . ونصبح الاخلاق مركزة على ذلك التركيب الذى يوائم الناس فى أوصاعهم الراهنة ، أو على اجماع الرأى العام الانسانى . وهنا لا بد وأن يشأ شىء من الجماعة ومن النظرية الطبيعية ، لقواعد الاخلاق فى المجمع . أما السياسات فتصبح مؤكدة للانظمة دون أية اشارة الا بقدر ضئيل ونادر الى المثل التى تقوم عليها هذه الانظمة . وتطهر هذه الحقائق فى المناقشات الراهنة التى تدور بين الاروبيين والامريكيين حول الاخلاقيات والسياسات . فمن المعروف من الناحية الاولى أن القول بطبيعة شىء يعنى امنداحه حقا والتوصية به فعلا وأن هناك وصفا طبيعيا ومقصودا قد تولد لاضفاء نعت « الطيبة » عليه . ويعال من الناحية الأخرى أيضا أن جميع المثل السامية يمكن تحقيقها ، تضم أنظمة محدودة معينة تهدف الى تحقيق تلك المثل بطريقة مقبولة وطيبة . وتحدد آنذاك قصية تطبى هذه المثل عن طريق ربطها بقضية تقبلها وما فيها من جودة وحدارة بالنسبة الى الأنظمة التى تحدددها . ويؤدى تحديد هاتين القضيتين الى الكثير من الخلاف والمشاكل ، اذ أن صلاح هذه الخطوة هو موضع السك والتساؤل حقا . وحتى الخلافات فى الدين والادب والفلسفة هى فى النهاية والى حد ما ، واحدة اذ أنها تماثل فى مظاهرها الاساسية ، الفرق بين الطبيعة وما وراء الطبيعة . وفى وسعنا أن نرى فى الفلسفة علمنة أو دنونه ( نسبة الى الدنيا ) لهذا الفرق . وهذا يعنى أن الفلسفة تبحث فى هذا الفرق بدون أية اشارة الى تلك الصارية من التوصيات التى نرفعها المثل

العليا ويدعو اليها ويغدو الفرق على هذا الاساس حامدا بل ووحسيا ويصل الخلاف في الفلسفة مرحلته الحاسمه عندما يصبح الفن مطابقا مع الواقع ، وعندما يغدو ما وراء الطبيعة مطابقا مع الطبيعة نفسها ، والمثل مع الحقائق المجردة ، والأساطير مع التاريخ وبعمم هذا التوسيع في أى سرد نزع من ما بوصف بالسئ الموضوعى ليس الا التوفيق أو البطابق بين مجموعة من الآراء الذاتية أو العاطفيه أو في ذلك السرد الواقعي الذى يصف الامور على النحو الذى تظهر به أو تبدو فيه الاوضاع العادية المألوفه ، وهنا يقوم التواسج بافرط بين المظهر والمخبر أو الواقع . وينحول الواقع الى مظهر يبدو في أحسن حالاته أما التاريخ فيسحول الى طراز من الاساطير بالمدر الذى يسمح فيه للتخيلات الخلاقة أن تلعب دورا فيه . وهذا هو الرأى الذى نادى به ترغفور - تروبر . أما الاساطير في المينولوجيا المقارنه فتعالج على أنها تاريخ في جوهرها . وينحول المثل الى حقائق ، تحاج الى النظر اليها بعناية ، أما الذين لا يسركون في هذه المثل فيسمون عميانا أو منحرفين صالين . وينحول الفن الى واقع عميق ، ويصبح الفنان من طراز العلماء الذين يستخدمون أجهزة عدة ويتحدثون بلغات مختلفة . وتصبح الفنون والاساطير والمثل كلها صادقة ، وكذلك الحال بالنسبة الى الحقائق والتاريخ والعلم . أما بالنسبة الى الاخلاقيات ، والى ما يود الناس قوله ، فان نميل صوت النسب بأنه من صوت الله عن طريق الفلسفة القائلة بأن «الصدبرز حسنه الضد» نغلب الى القول بأن صوت الله هو من صوت السبع . وهذا يعود الله واحدا من الناس . وكل هذا بمره فرعية من ثمار العلم والتقنية .

وعلى الرغم من أن العقل الآكانى كان ينظر الى العالم كسئ غيبى لو ما وراء الطبيعة ، فانه لم يكن يقبل حل المساكل حلا عيبيا ، أو حلا يهوم وراء الطبيعة ومن هنا يصبح من الخطل القول بأن الآكانى كان يقتدر الى العلم والتقنية . لكن قوى هذا يجب ألا يفهم على أنه محاولة طموحة للقول بأن الآكانى كان يجمع بين الناحيتين أى الغيبية والعلمية . فلقد كانت للآكانى مساريح في الحدبد والصلب وقد اكتشف الادوات الحديدية والقولاذية كما دلت بعض الاكتشافات الاثريه على وجود بعض مواقع أفران الحدبد والصلب . وكانت لديهم بعض الادوات النحاسية التى يبدو أن بعضها مسورد على أى حال . وقد عرفوا كذلك بعض أدوات الزينة المصنوعة من الاحجار الكريمة كما أن فنهم وحذقهم فى صياغة الذهب والمجوهرات انارا اعجاب زائريهم من قدامى الاوروبيين . واذا ما استثنينا على سبيل الاحتمال الطب الوقائى ، فان الطب لم يكن أيضا بالنسبة اليهم قضية تحليل للمفاهيم . ولم يكن عمل الغيبيات هنا يبدو فى شكل التشخيص أو التحليل أو وضع الوصفات الطبية فكل هذه الامور كانت تتم بأساليب وطرق طبيعية . وتطورت المعالجة بالعقاقير النباتية

« الاعساب » الى درجة عاثيه جدا من الكفاية . وما زال هذا الطراز من العلاج حتى يومنا هذا الوسيلة الممكنة بالنسبة الى قسم كبير من السكان . وعندما تم حل مشاكل النسخيص والحلبيل ووضع الوصفات الطبية . ظلت هناك مشكلة قائمة اعترف بها ، وهى مشكلة الصلة المحددة بين الظروف ، وهى الصلة التى تؤلف بالنسبة الى المريض المعن ، مرضه وعائلته . وقد نعمدت هذه الحالة الى درجة الاشكال عن طريق اعتبارها حالة فريدة من نوعها ، أى عن طريق التفكير بأن الفرد المصاب ، عنصر دائم لا متغير بالنسبة الى وضع المرض نفسه . وعندما يصبح الفرد ، ونصبح الظروف المتصلة به ، متغيرة لا ثابتة بالنسبة الى وضع المرض نفسه ، يغدو هناك كل ما يبرر التجربة من الناحية النظرية ، ونكتسب الحالة الفردية قيمة علمية من قيم حب المعرفة ، بدلا من العناية القدسية ، ويصبح المسرح ممهدا لظهور نظرية طبيعية عن المرض . ولا يغدو للعرايس فى هذه الحالة كرمز عن العرفان بالجميل أبة ضرورة . وعلى الرغم من أن الاكانيين كانوا يوصون بتليديا بتجيب الربط بين الظروف التى تؤلف الحالة المرضية وعلى الرغم من الاجراءات الوقائية الخاصة والعامة ، ومن التغذية والسرب المنظمين اللذين نسبر بهما نصائح الحذر والحيلة ، فان بفردية المريض ، التى تعرضها وجهة النظر العيبية خلقت فبهم احساسا باحتمال التدخل السماوى . ومن هنا كان من الضرورى للمصلحة الاسانية أن تقدم القرايين وأن تعام الصلوات طلبا لاسمرار الحالة الصحية السليمة أو استعادتها .

ولهذا الرأى وجهة نظر واحدة وهى التحديد الذى سطوى عليه عملية مفهوم الاحداث العارضة ولم يكن نمة نكران لامكان تكرار هذه الاحداث العارضة . ويعترف العالم بالاحداث العارضة كشيء علمى وكشيء عيبى أيضا . فهى فى التجسيد العلمى لها تنطوى على ارتباطات ووسائج ، لم يعرف بعد أى قانون ينظمها . أما فى التجسيد العيبى ، فابها ننضمن ارتباطات ووسائج تعتبر مفاهيم عناصرها غير مترابطة أو منصلة ببعضها . وعلى الرغم من أن الترابط فى الرأى الاول يمكن أن يمت عن طريق الادلة الاختبارية وأحيانا الاحصائية ، فانه فى الرأى الثانى لا يمكن أن بسبت الا عن طريق تحليل المفاهيم .

ولم تكن الآلهة فى مفهوم الاكانيين شيئا من اختراع الكهنة أو الكاهنات ومن الخطأ البالغ أن يظن المرء هنا أن الطبيعة قد نرعت الى الروحانيات فليس للطبيعة هنا أية أهمية كبيرة فى حكم الواقع ، ولا شك فى أن التعبير عن النظرة الغيبية على صعيد نزوع الطبيعة الى الروحانيات ، هو تسويه كلى للنظرة نفسها ، اذ أنها محاولة للتعبير عنها على صعيد وضع يقف موقف

التعارض الجدرى معها ، وذلك لأن الطبيعة كانت فى رأى الاكانيين - واد شئت فسمها ما وراء الطبيعة - أمرا روحيا قبل كل شئ آخر .

وتحمل الروح فى عيبيات الاكانيين المزللة الاولى . ونقوم الارواح فى طبقات مسلسللة اذ أن المزايا التى يطلق عليها اسم المزايا الاخلاقية ، كالادراك والسحابة والفصائل وهلم جرا ، هى الصفات الأولية للأرواح . وهناك بالطبع فرق بين الصفات والمزايا ، فالاولى كامنة وقريبة من الوصف بينما الثانية نزوعية الطابع وفريبة من التمجيد والتقدير . وكثيرا ما يقال بأن الصفات طسعة ، وأن المزايا خلقية ، لكن التمييز ليس فى الحفينة والواقع ألا يميز قائم على التحليل لا نتيجة الوجود أو الفطرة اذ أن بعض الصور المنعقدة بشئ ما قد تكون صفات فى وقت من الاوقات ، وقد تغدو مزايا فى وقت آخر . فوجود الهدف مثلا كاف فى غالب الاحايين لنحويل الصفات الى مزايا ، وهكذا تغدو صفات العولاد مزايا له ، اذا كانت تخدم عرصا معينيا بالذات . فالهدف يجعل الصفات أو الحصال، خاضعة لعمليات التقييم المبينة على الصلاح والمناسبة ، وبذلك يحولها الى مزايا . وقد لا يوجد هذا التمييز الا فى اللغات التى يكون فيها معنى الوجود الطبيعى قويا كل القوة . ويختلف اجرائية التمييز وطاقته على التنفيذ فى وجهة النظر الغيبية اختلافا عكسيا مع سيطرة الغيبيات وتغلبها . لكن هناك على أى حال فى وجهة النظر هذه ، صفات وخصالا ، لم تتحول الى مزايا . أى صفات تحمل طابع الصفات لا بالنسبة الى هدف محدود معين ، أو غاية متحولة بل بالنسبة الى حقيقتها اذا شئنا الدقة ، اما كفايات فى حد ذاتها ، أو بالنسبة الى صلاحها صلاحا كاملا لغايات ثابتة وغير متحولة . واذا شئنا الاختصار قلنا ان كل صفة قد تصبح ميزة أو مزية ، ولكن هناك مزايا لم تكن فى يوم من الايام صفات أو خصالا ونصل من كل هذا الى نقطة واحدة وهى أن فى غيبيات الاكانيين ، ذاتيات معينة تتحول صفاتها الى مزايا وان هذه الذاتيات تقدم على الفور تسلسلا طبقيا من المخلوقات وتقرر كذلك أوضاع الامور فى هذا التسلسل الطبقي ، وفق ما تملكه من صفات ومن مزايا وتنتمى الالاحياء الى الطبقات الدنيا من هذا التسلسل أما الكائنات المتعلقة بالارواح ، وبينها الجسم الانسانى بالطبع فتتنتمى الى الفئات الوسطى لكن الارواح وبينها بالطبع أرواح الناس فتمت الى الطبقات العليا . ويعرض هذا التجاور فى التنظيم الذى تحتل فيه المخلوقات الحية مكانة فى التسلسل الطبقي ، مشاكل فورية بالنسبة الى الدين وفى وسعنا الآن أن نتقل الى بحب هذه الساحة .

## الناحية الغيبية :

كانت دولة الاكانيين دولة مقدسة من حيث أن النظرة اليها تقوم في وجودها في عالم يسكنه الاحياء ، كما تسكنه الارواح والالهة التي يدين لها الناس بعروض محددة ، تؤدي وفق طقوس مناسبة ، ويكون الناس معها في حالات من التعامل المستمر على أساس القرابة والنسب . وكانت «القرابة الروحية» هي العصب الحساس في أواصر القربى بين الاكانيين، وفي الامكان استخدامها لايضاح ارتباطاتهم الزوجية أيضا . فالانسان بالنسبة اليهم روح غير مغلقة ، وليس بالجسد الحى ، كما يقول شعر الخليفة في العهد القديم ، وكانت مستلزمات القرابة الروحية تنفوق عندهم على مستلزمات القرابة الحياتية وواجباتها ، ولم يكن التسلسل الناسلي عندهم الا تعبيرا عن هذا التسلسل في القرابة ، مع ما يصاحبه من واجبات والتزامات . أما طريقة هذا التعبير فسأوضحها اصاحا كافا عندما أصل بحديثي الى البحث في الاسرة الاكانية .

وكانوا يرون أن الأحياء هم في حوهرهم من الأرواح حتى وإن كانت مغلقة في أحساد من اللحم والعظم فترة من الزمن . وتنطوي هذه النظرة على بعض النتائج بالنسبة الى الدين . فقد يقال عن الدولة نفسها أنها دينية لأنها مؤلفة على الغالب من الناس أى من الارواح ، أو لان عبادة الناس تغدو محدودة لانهم هم أنفسهم من الارواح . ولا تتاح أحسن فرص الوجود للعبادة الا عندما ينظر الى الانسان نفسه على أنه فصيلة مادية من الكائنات لا الارواح . أما عندما ينظر الى الرجل كشريك في طبيعة الشيء الذى يعبد ، فان الدرجة الفعلية لعبادته هو أن تكون أقل شأنًا منها عندما ينظر اليه نظرة مخالفة لذلك تماما . وإذا أمكننا حما أن نجد بونا بين عبارتي «العبادة» و«الخدمة» ، فان فى وسعنا أن نقول ، ان الاكانيين لم يعرفوا معنى العبادة أبدا . فالعبادة مفهوم لم يكن له وجود فطري فكر الاكانيين . وكان غيابها عند الاكانيين أكثر كمالا من غيابها حتى عند قدماء الاغريق الذين عبدوا طبيعة « الوقوف باننصاب » وذلك لان الارقاء وحدهم هم الذين كانوا يحنون طهورهم . يضاف الى هذا أن نظرية الاكانيين عن القدر ، كانت أكثر شمولًا من نظريتهم في حوهر عبادة الانسان المشوشة . فكل انسان روح من الارواح أوفدت الى العالم الطبيعي والمنظور ، لاداء رسالة معينة . ولم تكن وجهة النظر هذه ناتجة عن التفكير في الفروق اللامتكافئة بين الناس ، مع أن فى وسع المرء أن يقول وأن يناقش بأن عدم التكافؤ بين الناس قد غدا مدهشا الى الحد الذى بات يوحى فيه بالقدرية ، لكن نظرية الأكان الى القضاء والقدر تنسجم كل الانسجام مع فكرتهم في المجتمع المتناسك والكلى الاندماح ، الذى يعيش فيه الناس كاحزاء من آلة لا يمكن

فصلهم عنها . فلكل مهم مكانه المحصص له فى هذه الآلة ، حيب يؤدى عمله لتحقيق الانسجام الشامل ولخدمه المصلحة العامة . ولعل من الاقرب للصحة بالنسبة الى الاكانيين أن تنعت الدولة نفسها بأنها شئ دينى . ولم يكن هؤلاء الناس يفكرون فى العالم على أساس افراض غيرة لا يمكن سدها بين عالمين . العالم الرمنى ، والعالم اللارمنى ، وعلى أساس افراض أن العالم الثانى خير من الاول وأكبر أهميه ، أو على صعيد تلك الفكرة الشئ تقول بشئ من الوجود خارج نطاق المتعبدين الذين يهدفون اليه ، والى تنبت طرازا معيننا من الاحساس بسمل الشعور بالاحلال وازدراء الذات وهما خاصتان تتضمنهما مواقف العبادة . ولما كنا جميعا من مواد العبادة ، فليس ثمة من ظاهرية أو عمق كافيين لاستثماره العبادة والدين على هذا الصعيد . فحن كيشر ، أى كظواهر عارضة ، مديون بوجودنا الى الله ، لكننا كالارواح ، أى فى جوهرنا غير مخلوقين ولهذا السبب وحده ، كان يقال عنا ، اننا حتى كبشر ، لسنا خلقنا لله وانما رسلا له .

وفد احتل الله نفسه محلا بارزا فى تفكير الآكان . وقد سمع دا « يعدد كبير من الاسماء ، لا ريب فى أن أحدها وهو « اونيامى Nyamu » يمثل الاسم الاكثر أهمية . ولم يحاول الا فله من الكتاب ، بينهم بالطبع ويستزمان وراترى وأخيرا مايبروفيتش أن يصوروا « اونيامى » أو « نيامى » كما يسمونه أحيانا على أنه من الاله السماء وذلك بسبب اسماءات لقوية مزعومة . فلقد خيل اليهم أن اسم « نيامى » منشتق من اسم « نيام » أو « اونيام » وهناك حقا فعل « نيام » فى لغة الآكان ، ويستعمل عادة مع الساحرات . وهو يستخدم على هذا النحو ليسر الى حركاتهن السريعه والواقعة هنا وهناك ، أثناء أدائهن أعمالهن السحرية . لكن هذا الفعل لا يمكن أن يكون الكلمة التى اشنق منها اسم الكائن الاعظم . وهناك أيضا اسم وصفة تسمى الى نفس الأصل . وهى كلمة « أونيام » التى تعنى الهيبة والجلال والمجد . لكن هذه المعسانى لبسب الاكنانات من المعروف أنها تستعمل فى اللاهوت الاكانى ، عن الله . ولكن من الجور كل الجور ، الاصرار على أنها تسمد أصلها من الشمس . وليس اله المسبحين أو اله المسلمين بأحق من اله الاكانيين فى أن يكون من آلهة السماء ، اد أن نفس هذه الكنايات تستعمل لتمجيدها . وقد شجع القعبه اللغوى كريبستولرغى معجمه الانكليزى - الاكانى العظيم فكرة نعت اله الاكانيين بأنه من الاله السماء وذلك عند بحثه فى كلمة « اونيام » فهو يخمن هنا بأن « اونيام » هى الكلمة الاكانية التى تعنى السماء . وهو يلجأ الى عقد مقارنة بين كلمة « نيام » وبين الكلمة الاصلية « ديو » فى اللغات السنسكرتية . وهنا يسمح لنفسه بأن تضلل اللغات السنسكرتية التى يفترض أنها تنسبه

الى حد كبير دون أن يجد سببا يبرر به منطقه ، لغه الاكان المختلفة عنها كل الاختلاف في استنفاها للكلمة الله • وكل ما بفعله والحالة هذه ، في عين الواقع هو أن يعثر على اسم لمستقر الله وداره دون أن يجد اسما لله اذ أن كريسنولر نفسه يسمح بأن تكون اسماء الله الأخرى ذات أصل مشتق من « أونيام » واخيرا لابعى كلمة « أونيام » نفسها السماء مطلقا ، وانما نسمعل مجازا للسكنية عن السماء ، كما أن كلمة « السماء » الأكليرييه نفسها (Heaven) ستعمل احيانا للسكنية بها عن الله دون ان يعنيه فعلا • ولم يستخدم كريسنولر نفسه في ترجمته للكتاب المقدس الى لغة الآكان ، مرة واحدة كلمة « أونيام » ليعنى بها السماء وانما يستخدم دائما الكلمة الاكانيه الصحيحة السى تعنيها وهى اوسور أما فى (Osor) معجمة فيستعمل الكلمة الاكاتبه الصحيحه والدقيقه للسماء وهى « ابوم » Ewim ، السى تعنى مناطق الشمس •

وأنا لا أصدق أيضا فى الحقيقة أن أويام تعنى « الشيء المسرف » • فلو عنت « الشيء المشرق » حما لكان ما تعنيه هو الشمس طبعاً • وبدلك ينحتم الربط بين الله وبين تجليات رمانبة موقوته ، أو الوصل ، وهذا هو الهدف الأبعد بيته وبين مستقر مسرف • لكن أيا من هذه الافتراضات لا وجود له عند الاكانيين اذ أنهم يرون من الناحية الأولى ، ان ما يعنيه « أونيام » شئ غير منظور ولدا لا يمكن أن يكون له تجليات وليس أدل على صحة هذا من أن الاكانيين لا يقيمون لهذا الشئ صوراً أو تماثيل أو أضرحة • يضاف الى هذا أنهم لا ينظرون الى الله كشئ محدد له اسمه يعيش فى السماء ، وانما يكتفون بالايان المجرد بأنه هناك فى العلا ، فى مكان ما • وهناك أسطوره أكانيه عن موقع الملكوت الأعلى لا ريب فى أنها تربطه وان لم تحدد تماماً بالسماء فهم ينظرون الى السماء ، كشئ أو كمادة ، ويرون فيها انها سقف العالم ، أو على الأصح ارضى الملكوت الأعلى • وتقول هذه الاسطورة ، انه فى وقت ما ، فى عابر الازمنة ، وكان أسلافنا فيه لا يزالون صغاراً للغابة ، عاش الله ، على مقربة منا • ولكن امرأه عجوزاً ، راحت فى يوم ما وكانت تدق الموز لتعد وجبة طعام لها بالمدق والهاون ، نصيب الملكوت الأعلى بمدقها • وهنا انفجر الاله قائلًا لها « لم فعلت ذلك معى ؟ » اننى اعترزم الرحيل الى العلا بسبب ما فعلت » وصدق الله وعده ، كما يفعل دائماً وارتمى بنفسه الى العلا • وتمضى الاسطورة فتعرض على مسامعنا قصة تنسب الى حد كبير قصة « برج بابل » ، وان اختلفت عنها فى نهايتها الاكثر فجعية • فلقد دمت العجوز على ما فعلته • وحزنت على ان الله ، قد نأى بنفسه عن الناس فطلبت الى جميع أولادها ، أن يجمعوا كل ما يمكن جمعه من « هاونات » وان يضعوها بعضها فوق بعض ليصلوا الى الله فى اعاليه • ونفذ الاولاد وصية أمهم تنفيذا صادقا ولكنهم وجدوا فى

النهاية ان « هاونا » واحدا ينقصهم لتحقيق الوصية وفكرت العجسور طويلا . ويبدو انها كانت الا ان قد اصبحت بمس من الجنون فعادت تقول لأولادها ٠٠٠٠ « حسنا يا أولاد ، ارفعوا الهاون الادنى من مكانه وضعوه فوق الجميع ، لتصلوا الى الله أخيرا » . واطاع الاولاد أمر أمهم نانية وفعلوا ما طلبته . ولكن الهاونات كلها ابهارت الآن مدحرجة على الأرض . ففتلت جميع الأولاد ، حقا انها قصة رائعة ، ولكنها لانحدد بأى حال من الاحوال أن مسنفر الله فائم في السماء ، وان كانت تربط بين السماء وهذا المستقر .

ولو كانت كلمة « اونيام » هي حقا الاسم الرئيسى لله ، لنحتتم عليها أن تعبر عن معنى لا هوتى بارز ، فمن نعضية (نمو الاعضاء على التسالى) ، الآلهة الكثيرة الصغرى التى يزعم الاكانيون انها الدرب الموصل الى جود الله وكرمه ، ورعايته السخية ، أرى نفسى ميلا الى الاعتقاد ، بأن الاشتقاق الصحيح والأصلح لكلمة « اونيام » أو « نيام » هو من كلمة « نيا » التى تعنى العطاء أو « أونيا » التى تعنى الحياة السعيدة الطالع و « مى » التى تعنى القناعة والرصى . ويؤيد صحة هذا الاشتقاق كما يبدو اكنار الاكانيين واصرارهم على التوسل الى الآلهة الصغرى طلبا لجميع اشكال العون والنصرة ، لا سيما وانهم يرون فى هذه الآلهة الصغرى جنودا أو مساعدين للكائن الاعظم بل وتعبير عن عظيم قدرته وجلال شأنه .

وقد ضل بعض الكتاب الذين تأثروا ودهشوا من مفهوم الاكان عن الكائن الاعظم وعن تمثيله الاله الصحيح لهم الطريق ، فزعموا أن هذا المفهوم مستورد من أوروبا . ولكن « راترى » الارب رفض فى كتاباته هذه الفكرة رفضا قاطعا . فاسم « اونيام » يحتل مكانا كبيرا فى أحاديث الاكانيين وتفكيرهم ، وهو يظهر بوضوح فى الخطب التى تلقى منذ الأزل على جماهير الاكانيين فى احتفالات دق الطبول التقليدية ، كما أنه معروف تمام المعرفة فى أعماق الغابات والادغال التى لم تطأها قط أقسام المبشرين الاوروبيين . ولو كان هذا المفهوم مستوردا أوروبا لكان مدى الذبوع والانتشار المفترض وجوده لتفسير هذا التسلسل لكلمة « اونيام » على أقوال الاكانيين وتفكيرهم ، أقرب الى الحيال منه الى الحقيقة التى لاتصدق ، يضاف الى هذا أن الاكانيين يؤمنون حقا بأن علم الله فورى وإيحائى وفطرى ويظهر هذا الايمان بوضوح فى الحكمة التى تتردد على ألسنتهم دائما « ليس فى وسع أحد أن يعلم الاله حتى ولو كان طفلا » .

وقد أبرزت صفات الله ابرازا كاملا ، فى الأسماء الفرعية الأخرى التى تطلق عليه ، والتى يحتل اسم « اونيان كوبون » أو « نيان كوبون » مقدمتها ويقال ان هذه الكلمة تعنى عادة الرجل الذى « يحمل أعباء الآخرين دون أن يطأى ظهره » . والفكرة هى أن هذه الكلمة مشتقة من « نيا »



التي تعنى « واحدا » و « نكو » التي تعنى وحده و « مبون » التي تعنى « لا يسجنى » لكن راترى يقول ان هذه الكلمة كانت معروفة عند « الأكيمين » وهم أفراد جماعة متفرعة عن « الاكاسين » ، وابها كانت تلعط على هذا النحو « أوتيامى - نكو بون » وتعنى الاله العظيم الواحد . وهناك رواية ثالثة سطوى على شئ من الغرابة . وهى تقول ان الاسفاق الصحيح لهذه الكلمة تابع من كلمات « أوبان » وتعنى الاشراق « وكورد » وتعنى المدنية و « بون » وتعنى العظيمة وبذلك يصبح معناها « المندسة السماوية العظيمة » . ولا ريب فى أن طريقة التعليم وهى طريقة سقوية تدور وكابها بصفى على شيوع كلمه « أونيامى - نكو - بون » الكثير من الأهمية . وتوحى هذه الطريقة بأن هذه الكلمة ، هى الأصل الذى استقت منه كلمة « أونيان كوبون » . ولا يكون المعنى المقصود على هذا النحو ، من الكلمة الأخيرة ، هو عين المعنى الذى تحمله الكلمة الأولى . وهناك اسم آخر من أسماء الله الثابوية وهو « توويريدوامبون Twereduampon » أو « بوويريامبون » المعروف عند الفانتيس ، وهم جماعة أخرى ساحلية متفرعة عن الاكان ، ويؤيد هذا الاسم فى انتشاره ، المذهب الذى ذهبنا اليه قبل قليل . ويقال ان هذه الكلمة مشتقة من ثلاث كلمات وهى « تووير » وتعنى لا تعتمد و « درا » وتعنى الشجرة ، و « امبتون » وتعنى لا تمنحى . ومن هذا يبدو أن فكرة الله الذى يستطيع الاسان الاتكال عليه بأمان واطمئنان واضحة وصرحة فى هذا الاسم الثانوى من أسمائه . وهما أيضا يكون الشكل الأكثر صراحة ووضوحا ، هى المعنى القديم للكلمات التى استقت منها الاسم . وادا صح الآن ، ان هذا الاسم ، أكر وصوحا فى نعت الله ، بالكائن الذى يعتمد عليه ويركن اليه ، فان من غير المعقول بالنسبة الى الاشتقاق المتعددة والمختلفة التى نسبت الى كلمة « نيان كوبون » ان يكون هذا الاسم أيضا معبرا عن نفس الصفة . وانى لأجد نفسى منجذبا الى معنى « الاله العظيم العرد » ويطلق عليه أيضا اسم « أوتمو » التى تعنى الأقوى حقا وحقيقة « واسم أودومانكوما » ويعنى « الخالق المبتكر » و « أونيان كوبون قوامى » ويعنى « أونيان كوبون » صاحب يوم السبت و « بوريبور » ويعنى « صانع كل شئ » . والله عند الاكانيين غير منظور ، ولكنه موجود فى كل مكان ويمكن الوصول اليه مباشرة . ويقول الاكانيون انك اذا أردت البوح بشئ الى الله أو التحدث اليه، فعلك أن تحمل الريح الرسالة .

ولقد فيل دائما على لسان الكتاب الأوروبيين ان الاكانيين يعتقدون أن « نيامى » أو الله ، لا يهتم بالأخلاق مطلقا . وانى لأرى أن هذه الفكرة لا تنبعث الا عن جهل الأوروبيين المطبق . فالاكاسيون يرون أن الله « أونيامى » حم الاهتمام بالعدالة ، ولذا اطلقوا اسمين مختلفين على شيئين

مختلفين ، حرصا منهم على ألا يكون هناك أى اجحاف • فאלله عندهم رمز الحب ، وهم يرون أنه يعنى المعنى على العجزة والضعفاء • وفى وسعنا مقارنة هذا القول بأن الله يعنى بالحيوانات التى لا ذنب لها • وهو على أى حال وفى الوقت نفسه نائب سرمدى لا يغير ، وإن كان بخصص للقوانين التى وضعها بنفسه • وهو الفصاء والقدر ، وهناك موقف الاكانيين من الله ، بأعباس القول المأثور عندهم بأن الأرض واسعة فسيحة ، ولكن الله هو رئيسها ، وهو الذى يواصل عملية حلعه باستمرار وأرليه •

وفكرة التعصية عند الآلهة ( نمو الأعضاء بالنسالة ) ، وهى الفكرة السائدة عند الاكانيين فى الحقبه ، فكرة وسواسيه بالنسبة الى الاكانيين أنفسهم وليست الآلهة الصغرى ، الا وسائل مصنعة يعبر بها « أونيام » الكائن الأعظم عن جوده وكرمه ويقسم الكهنة من هذه الآلهة وسيطا بين الانسان والله على اعتبار انهم يؤلفون جزءا من فضائل الله وسلطانه ، يعب بهم الى الناس ليضمن لهم السرعة فى نعمته عليهم عن طريق الوساطة الخالصة التى يؤديها الكهنة الذين يؤدون فى الوفاء نفسه دور السدنة • ولو عاد المرء بفكره الى قديس المسيحية ورجال الدين فيها فيلا لا استطاع تكوين فكرة سرية عن الدور الاصطناعى الرائف الذى يملئه الآلهة الصغيره عند الاكانيين • فالشفاعة التى يقوم بها القديسون عند المسيحيين هى عين الشفاعة فى معناها التى تقوم بها الآلهة المعبودة الصغيره • وقد عصف أرنور راموس (Arthur Ramos) وباسم (Bastide) هذه المفاربه بالفعل عند مناقشتهما موضوع الوساطة الدينية فى أمريكا الجنوبية • وليس لاله الصارى يوم راحة أو يوم عيد الا يوم « أحد الثالوث المقدس » على الغالب • وليس لاونيام ، اله الأكان أيضا « أى يوم عيد » • أما الأعياد فهى من نصيب صغار الآلهة وتكون الآلهة فى الطقوس الدينية ذليلة مستعبدة ، اذ عندما يتم اداء الطقس على النحو الصحيح ، لا يبقى أمام منلمي الطقس الا مجال ضيق للاختيار • ولبست الطقوس الا مجموعة من التمرينات القريبة من السحر • وهكذا يبدو اقامه عدد من الآلهة الصغيره ، مجرد محاولة للوقوف من نجدة الله وغونه ، وكذلك للتأبير على هذا الغوث ولهذا السبب وحده ليست هناك أية طقوس لعبادة « نيامى » ، وقد يكون من الكفر أو الالحاد ، أن يجعل المرء من نفسه كاهلا له ، وهو الرجل الذى يدعى لنفسه صفة الاتصال الشخصى به ، والذى يعرف كل طقوسه السحرية الخاصة • ولهذا السبب وحده أيضا ، ليس نملة لبامى مذبح أو هيكل ، ولذا فان الاتصال به لكل راغب يكون عن طريق السجدت الى الرياح •

وقد تمكن الكهنة عن طريق ادعائهم الاتصال الشخصى بالآلهة الصغيره وعن طريقها بصورة لا مباشرة مع الله « الكائن الأعظم » من

التحول الى العرافة والتكهن بالغيب ومن هنا اتسع نفوذ الكهنة من محيط الدين المجرد ، الى المحيط الاجتماعى أيضا . ولم تكن صفة العلمية لكل شئ ، ساملة كل التمول للناس فى كل حين ولهذا باب الناس يلجئون الى الكهنة لاستشارتهم على اعبارهم مصدرا لا مضب ولا يخيب ، من مصادر المعرفة . وراح الناس يلجئون اليهم كما يلجأ المرء الى الموسوعات أو الى دوائر المحققين الجنائى . ودائرة التحقيق الجنائى هذه منظمة علمانية دينوية ، وننضح علمانها من أسلوبها الواضح والمعروف فى العمل . أما عداسة الكاهن فتتضح أيضا فى طريفته المعروفة فى العمل وهى الادلاء بدلوه فى بئر المعرفة الشاملة أو العلمية بكل شئ التى هى صفة من صفات الله أو دوما نكوما . لكن طريقة العمل الديوية الحقة التى يمارسها الكاهن على أى حال لا نعمل علمانية ان لم نعمل انمارا عن طريقة دائرة التحقيق الجنائى . فهو بنظم كتساب يسقطون له الاخبار ويتلفون الشائعات ، ويفومون بالمحربات اللازمة . كما يحتفظ فعلا بمملقات ضخمة كاملة .

وكانت صغار الآلهة دائما مرتبطة ببؤره ، يمكن استدعاؤها اليه دائما عند الحاجة واستجابة للرغبة ويقول الكهنة أن الاله الكائن الأعظم هو الذى يوفدها فى سرعة كلمح البرق . ويسنطع الكاهن اذا كان دقيق الانبهاء الى حد كاف ، ان يمسك بهذه اللوحة من لمح العظمة الالهية ، وان يعتقلها فى قمقم الى أن يجهز لها البؤرة المناسبة لها . والتى تكون فى الغالب اما فى الحجر أو الخشب . شريطة أن يكون مقبولة لديها . وبعد أن تتم هذه العملية يصبح الاله الصغير وسيطا بين الانسان والله . ولا تحمل هذه البؤرة فى حد ذاتها صفة القداسة ، ولكنها تغدو كذلك فى الفترات التى ينفذ الى داخلها فيها الاله الصغير سواء أكان مستدعى للدخول اليها أم غير مستدعى . ويزعم الكاهن بالطبع انه قادر على استدعائه الى بؤرته ويعلم المعبود الصغير عن وصوله اليها عن طريق حسد الكاهن الذى يصاب بنوبة من نوبات الرجفة . ويكون الكاهن عادة من النساء وان كان هناك كهان من الرجال . وستغرق عملية التدريب فى السامة فترة تتراوح بين السنين والثلاث سنوات .

ويبدو مافى هذه الطقوس من افساد خرافى ووساوس للعلاقة بين الانسان والله بوضوح كاف من علم اللاهوت المتعلق بالله نفسه . فالقول بأن الكاهن هو الانسان الناطق لله ( أونيجان كوبون كيامى ) كمر صارخ ولايضاح هذه النقطة أرى أن من واجب المرء أن يدرس ما يعنيه القول الاكائى الماثور وهو أن طرق الناس وسبلهم مختلفة لا يحتل الواحد منها مكان الآخر ويرتبط هذا القول بوجهات نظر الاكائين فى القضاء

والقدر . فالسائد على الاعفاد هو ان هناك ناحيه فى الاسان يدعى «أوكر»  
وتعنى حرفيا « الرسالة » وان هذه الناحية تمثل القدر الذى رسمه  
الله له . وتقدم كل روح انسانية عند وفاه صاحبها الحساب الى يمامى ،  
وقد يسمح لها بالعودة ثانية الى عالم الأجساد الفانية ، أو تجبس فى  
« سامانادزى » حيث تظل أرواح الموتى حائمة هائمة ، وهناك دليل آخر  
يقوم على صحة القول بأن العلافه بين كل اسان وربّه مباشره وخاصة ،  
وهذا الدليل هو المثل السائر القائل ، بأن لا شهود هناك عندما تطلب  
روح الاسان السماح من الله ، ليتحول الى اسان من لحم ودم ، وكذلك  
القول المشهور بعدم وجود معر أو دروب جانبية من قضاء الله وقدره ، أو  
القول بأن الانسان العاقل لا يحاول مطلقا تحوير الكلمات التى قالها له  
الله من قبل أو القول بأنه اذا لم يكن الله قد حدد موعد موت الانسان ،  
وحاول انسان آخر ان يقتله ، فان ذلك الرجل لا يموت أو بمعنى « لا يموت  
المراء الا اذا جاء أجله » وكذلك القول بأن الله اذا ملاء كأس اسان بالخمر ،  
وجاء انسان فان آخر فعمر بها وصب محتوياتها على الأرض فان الله  
يعود فيملؤها لصاحبها مرة ثانية ولا ريب فى أن هذه الأقوال كلها توضح  
تمام الايضاح مافى الحياة من قدرية ووحشة . ويبدو اللجوء الى الكهنة ،  
والى معبوداتهم الصغيرة كمحاولة للتفريج عما تبعته هذه القدرية والوحشة  
فى الحياة فى النفوس من عم وكآبة ولا ريب فى أن هذا التفيت الروحي  
يقف موقف التباين المباشر مع التنظيم الاجتماعى للاكانيين . وسأناول  
شرح هذا فى المكان المخصص له فى هذا الكتاب .

وقد تعرض الله لنوعين من محاولات الافادة والنفع . فعلى الامكان  
بالطبع توجيه الابنهالات مباشرة اليه . وكان الناس يرون فى استجابته  
لهذه الابنهالات ما يرضيهم ارضاء كاملا . ولكل بيت من البيوت عمود ذو  
فرعين على شكل الشوكة يسمى « نيامى دوا » . وعلى الشوكة يقام قدر أو  
حفنة تضم رأس فأس من الحجر لا يستعمل أبدا كفأس ، وانما يسود  
الاعتقاد بأن البرق هو الذى زرعها فى الأرض وتضم الحفنة بعض الماء  
الذى يحيط بأعشاب معينة وترش قاعه الدار كما يرش الناس أنفسهم  
بهذا الماء كل صباح كفرض من فروض الصلاة طلبا لحماية الله ورعايته .  
وتعتبر هذه الحفنة رمزا على الاقرار بالركون الى الله . وبالإضافة الى دور  
الله فى القضاء والقدر فقد استخدمه الاكانيون أيضا لتفسير المواجهات الحارقة  
والطافات الخاصة ولهذا فهناك قول مأثور بأن المراء لا يستطيع أن يلحق  
ابن الحداد طريقة السكب والصباغة ولكن الله يستطيع أن يلحقه ذلك .  
وهم يقولون أيضا أن الله اذا كان لم يمنح الطائر الخطاف شيئا فقد حباه  
على الأقل بالسرعة فى الحركة والالتفاف . وهناك حالات عدة ومختلفة يلجأ

فيها الاكانيون لله • ولكنهم ياشدونه دائما العون والمساعدة في حفلات  
تنصيب الرعاء العمليين وفي الاستهالات التقليدية في احتفالات قرع  
الطول الرسمية •

### نظريتهم في الانسان والمجتمع :

قد يرغب المرء في أن يعرض سؤاين هنا، أولهما : ما اذا كانت  
اجراءات علم النفس العامه مطبقة في افريقيا. وثانيهما : ماذا كانت النتائج  
التي توصل اليها علماء النفس الذين درسوا المجتمعات الأوربية تستطيع  
الصمود في افريقيا دون أن تنعرض لكبح جديد ، أو أن يعرض سؤالا  
آخر وهو هل تكون النفس الافريقية مختلفه تمام الاختلاف، ولا ينطبق عليها  
اكتشافات علماء النفس الأوربيين الذين بنوها على دراساتهم في أوروبا ؟  
وقد يرغب المرء في أن يعرض سؤالا آخر بالطبع ، وهو ماذا كان للافريقيين  
نظريات تحليلية خاصة بنفسيته • فالمعروف أنه لابد للطريقة التي يحلل  
فيها أى شعب من الشعب نفسه الى صور ، من أن تؤثر على التفسيرات  
التي يعطيها هذا الشعب للسلوك البشرى • ولا بد لهذا التحليل وذلك  
التفسير معا من أن يؤثر على الطريقة التي يبنى فيها المجتمع ويساس •  
فرويد مثلا مسئول الى حد كبير عن الميل المتزايد الى النظر الى بعض  
الجانحين والخطاة على أنهم مرضى ، عن طريق وصفه للنفس البشرية •

ولم يخل الاكانيون بدورهم من مثل هذا الوصف • ولقد كما وا يميزون  
في الكائن البشرى شيئا آخر بالاضافة الى جسده يطلقون عليه اسم «أوكر  
Okra » وهذا الشيء هو الروح الموجهة للانسان ، وهي التي تحمل  
فصاءه وفدرة وتنقلهما ، وهي الروح التي تستأذن قبل خليقة الانسان  
من الله ، في أن نحل فيه • وهذه الروح هي التي يؤدي فراقها للجسم  
الى موت الانسان ، مسجلة بذلك استكمال قدره والوصول الى نهايته •  
وتعود هذه الروح الى الله ، لتبرر له وجودها الأرضى • وتحتل هذه  
الفكرة مكانة بارزة عند الاكانيين حتى ان هناك قولا مأثورا عندهم يعنى أن  
جميع الناس هم عيال الله وان ليس هناك من انسان هو ابن الأرض الذى  
يوجد عليها • والانسان وحده هو الذى يملك مثل هذه الروح ، القادرة  
على الظهور على الأرض مرة اثر أخرى في أجساد مختلفة ، وهي بدورها  
العامل الفعال في رسم الهوية الشخصية للانسان • ولعل هذه النظرية  
هى التي نسجها الاكانيين على الحديث عن النفس الحقيقية للانسان •

وتعبر الروح بوصفها العضاء والقدر ، اسمها لاشارات حسن الطالع  
ونذر سوء الطالع • وهى اشارات ونذر يعتقد ان الانسان يستحقها وانها  
تمثل شيئا محتوما لا مناص منه ، ومناسبا تمام المناسبة • وعندما ينزل

حسن الطالع أو سوءه بالانسان . يقال عنه أن روحه الموجهة هى التى أنزلت به ما يستحقه . وفى الغالب على الاعتقاد ان روح الانسان الموجهة يمكن أن تستجوب على أيدي الكهنة ، حتى قبل ولادة الانسان أى وهو فى رحم أمه . ولا ريب فى أن هذا القول أيضا محاولة الحادية لتقصي وربما لتحويل ما أفره الله من قبل . ولا ريب فى ان باطنية الاكان سحب أن يحكم عليها فى النهاية على أنها شئ من الخرافات .

وفد أبرز الاكانبون أيضا بالاضافة الى الروح الموجهة ، شيئا آخر فى الانسان اطلعوا عليه اسم « سانسوم » . ولقد اعتبروا الروح شيئا « آليا » فى أعماله ، حتى وهو يوجه النصائح عما هو خير وعما هو شر . ولا تنبع بصائحه أو ننسأ من اهتمام خاص بل من الكشف الحنمى عن القضاء والقدر المعين له . وفى وسع هذه الروح أمام الخطر والحالة هذه أن تكون الوسيلة فى خلاص صاحبها لمنع الموت من الوفوع مبكرا . أما القول بان الانسان بموت فى الوقت المحدد له ، فيغدو على ضوء ذلك وادا شئنا الدقة شيئا لا معنى له فى معاهيم الاكان .

ويطلق الاكانبون على قضاء الانسان وقدره اسم نكرابا Nkrabea وكان القضاء كثيرا ما يبدو للانسان على شكل حمل ثقيل ، اذ على الرغم من أن القضاء كان الأساس فى هويته الشخصية فان الانسان الحى لم يكن يربط نفسه بعمره . وكان يقال على الانسان الذى لا يأتى له قضاؤه بحسن الطالع ان له « أوكرابى » أو قضاء اسود ، وكان يقال أيضا أن الرجل صاحب الطالع الفرمزى ، يأكل دائما الثوت والنمار الطيبة ويرتدى الملابس المطرزة . أما اذا كان قضاء الانسان اسود على سبيل المقارنة فان هذا يعنى المقت والكراهية . ولم يكن فى وسعه أن يستأنف أو يستندى لتحسين قضائه ، اذ أن المشاكل تلاحفه وتنابعه بحنا عنه .

ويبدو أن « السانسوم Sunsum » كاتب مادة روحية تعتبر مسئولة عن « السوبان » التى تعنى الشخصية والعنصرية والمزاج والكيف وتكون « السانسوم » معنوية فى عملها لا آلية ، كما أنها قابلة للتهذيب والتشفيق . وبينما تكون الروح « الاكرا » هى العامل الذى يمكن الانسان من التنفس وتكون بالتالى مصدر حياته فان « السانسوم » ليست كذلك وكان يظن بأنها تستطيع أن تغادر الجسم أثناء نومه . وهى تمثل الشخص النامى الذى يترادى فى الاحلام كشخصية مسرحية . فالانسوم بالنسبة الى الانسان هو الروح التى يمكن للسحر أن يهاجمها ويوصف كأساس للخلق أو الشخصية ، بأنه قوى أو شرير ، أو طيب . ويمكن للمرء عن طريقه أن يصبح ساحرا ، أو ساحرة اذا كان المرء انثى .

وأبرز الاكانبون أيضا عبارة « نورو Ntoro » ويكون هذا المسمى

ورابيا ، بينما لا تكون الروح « أو كرا » أو « الساسوم » كذلك • ولا يخرج هذا الشيء من جسم الانسان عند موته كما تفعل الروح ، بل ينتقل منه الى أطفاله فان لم يستطيع انتقل منه عن طريق أخيه الى أولاده أو بناته . ويحل «نتورو» الوالد محل «نتورو» الوالد حتى سن البلوغ أو الرشد . وليس للبلوغ عند الاكانيين سن معين ولكنه يعرف ويميز بظهور التعرفى الوجه مع عزارته ويبدأ « ساسوم » الطفل عمله عند البلوغ • ولكن «نتورو» الأب لا يتوقف كلية عن العمل لهذا السبب • وينسب الاكانيون فى ايضاحهم الخصائص الموروثة كل شيء الى « نتورو » الوالد ، كما ينظرون اليه على أنه مجموعة من الخصائص بل طراز فرد قائم بذاته من الشخصية • وهم برون أيضا أن تعاون « نتورو » الوالد مع دم الأم على شكل قرابة • هو الذى يشكل الجنين ثم يصوغه على شكل انسان •

وأبرز الكانيون أخيرا « الموجبا » Mogya وهو طراز من العوامل الروحية وبات أساسا للعشيرة أو ما يسمونها « ابوسوا Abusua » والإناث وحدهن هن اللاتى يمنحن هذا الشيء والموجبا هذه هى التى تتحول عند موت الانسان الى سبحة « سامان Saman » ويحتفظ الشبح بهسكله البدنى • وقد تتاح له فرصة التجسيد • على الرغم من أن هذه الفرصة لا يمكن أن نتاح الا عن طريق امرأة من نفس العشيرة ولا يستطيع حتى التجسيد نفسه ، نمكين الانسان من تغيير العشيرة التى ينتمى اليها •

ويبدو من نظرية الاكانيين عن الانسان ان الشخصية والخلق الانسانيين كانا يعتبران مرتكزين على مجموعة من العوامل والتأثيرات ومنها الروح الموجهة « أو كرا » التى لاتصلح للتهذيب أو التنقيف والتى لانحرف عن جادة الحق « والسانسوم » القابلة للتهذيب عن طريق الترائع والسنين الادبية وعن طريقى نظام العقاب والثواب التى تؤلف قاعدة المسئولية الشخصية والمعنوية « النتورو » التى يرئها الولد عن أبيه والتى تتصل الى حد كبير بوصف عدد من الاجراءات المعينة وتجذب اجراءات أخرى ، مبلورة الخلق عن طريق عمليات التحريم الدينية ، وأخيرا « الموجا » التى تضمن أن يكون الانسان مسئولا عن عقله وأن يكون انسانا حقا ولكن العوامل الروحية كانت تحتل فى نظرية الاكان عن الانسان دورا أساسيا •

وكان يظن أن الانسان بعد موته يظل قائما فى شكل الروح التى تعود الى مملكة الأرواح ، وفى شكل « الموجبا » التى تتحول الى شبح « سامان » يحمل نفس المعالم البدنية التى كانت فى الرجل المتوفى • ولا ريب فى أن هذه « الموجبا » المتحولة الى « شبح » هى المعنية فيما يسمى خطأ بعبادة الاسلاف •

وابرز آكانيون أيضا ثلاثة أنواع مما يسمونه « نسامانفو Nsamanfo

فهناك أولا السامانبا Samanpa أو السبج الطيب . وكانت صعة الطيبة تطلق على السبج اذا لم تل وفاة الانسان صاحبه سلسلة من النكبات العامة المتسيرة الى سوء الطالع كوقوع وفيات أخرى في أسرته أو في المجتمع الذي كان يعيش فيه أو اذا توقفت بعد الوفاة سلسلة سابقة من نائبات الموت كانت تحل بالأسرة قبلها وتكون هذه الاشباح عادة حيية وتختفى وراء الزوايا ، عندما ترى انسانا حيا .

وكان هناك أيضا « السامان - بوين - توين Saman-Twen-Twen وهو السبج الذي لا يمكن دفعه أبدا . وكان ميل هذا الشبح يظهر عادة على فترات ويراه الاحياء حول الاماكن التي كان يؤمها صاحبه . وتعجز هذه الأشباح عن الذهاب الى عالم الأرواح التي ننتمي اليه . وتظل تحوم حول الزوايا المعنمة أو في الباحات الخلفية للمنازل . وتستمر هذه الأشباح في الهيمان حول الأرض كعقاب موفوت أو ازل لها . وهي لانملك قدرة على عمل الشر ، وتكتفى باحداث الخدوش ليس الا .

واخيرا كان هناك « الوفو Tofo » وهو سبج الانسان الذي لفي حتفة على نحو عنيف ومات ميتة قاسية . ونظرا لسوء طالع هذا الانسان فان طقوسا خاصة تحمل طابع الاستنكار ، تجري له عند دفنه . ولا تستطع هذه الأشباح ان تظل على وفاق مع الاشباح الطيبة ، ولذا تظل هائمة على وجهها وقد صبغت نفسها بالطين الابيض وارتدت ثيابا بيضاء . وهي على النقيض من الاشباح الطيبة كثيرة الجراه واستفزازيه في تصرفاتها .

وكان ينسب الى الأرواح انها تحمل رائحة معينة يقال انها تسببه رائحة النونوم Nonom وهو نبات يحمل رائحة عطرية معينة تشبه رائحة العبير ويكون السبج ، عندما يرى ، مرنديا حللا بيضاء دائما وهو لا يحمل مطلقا طابع الود والصدقة ، ولذا يحذر المرء دائما من أنه اذا لفي شبحا ومد اليه هذا السبج يده لمصافحته فان عليه أن يسحب يده بعيدا فوراً عن يد السبج . لكن السبج الطيب ينهال عادة بالدعوات الصالحات لليتيم الذي خلفه صاحبه السبج . وللأشباح بظائر هائل للناس من حواس وعواطف ، وبينها الجوع والظمأ والغضب وكثيرا ما تتطفل بسىء من عدم الكياسة على الموائد فتأكل غير مدعوة ، ويظهر أثر ذلك على المائدة اذ يختفى عنها صحاف الطعام بسرعة هائلة مما يدل على نشاطها في الأكل وفي الشرب أيضا . ويلجأ الناس لمنع الاشباح من النهام طعامهم وشراهم الى اسقاط كسرة من الخبز على الأرض يطرد سقوطها الأشباح عن المائدة . وترفع المقاعد الجالية أو تقلب رأسا على عقب في غالب الاحايين لمنع الأشباح الضانة والمنهوكة من القعود عليها، واذا محاول انسان الجلوس على مفعد



يحتله احد الاشباح قبل ان ينهض عنه فانه يحس على الفور بالام شديدة  
فى خصره .

ونسكن الأسباح الى حد كبير فى عالم الأرواح ويقف الاكانيون من  
هذا العالم موقفا يجمع بين الاجلال وبين النطور . ولعل أصدق وصف لهذا  
الموقف هو قولهم : انه لو لم يكن فى عالم الأرواح من سوء سوى الاسم  
الذى يحمله لكما هذا سوءا وعلى الانسان ان يذهب بنفسه الى ذلك العالم ،  
اذ أن الرسائل لا تقبل ولا تحمل منه . ولا يستطيع المرء أن يذهب اليه  
أيضا أنى شاء وإن يعود منه متى أراد ولو كان «أورفيوس Orpheus (١)  
اكانيا ، لما عرف طريقا آخر له الى العالم السفلى سوى الموت . وهناك نظام  
اجتماعى كامل بسيوخته ورعاياه يسود عالم الأرواح . ولكن لا يعرف على  
وجه التحقيق اين يوجد هذا العالم . يقول بعضهم انه يقوم تحت الارض  
وبقول البعض الآخر انه هناك عاليا فى السماء . ولكن سواء كان هنا أو  
هناك ، فان هناك طريقا بينه وبين القبر ، انى كان هذا القبر . وهذا العالم  
فسيح الأرجاء ويضطر المسافر اليه ، الى ارتقاء الجبال صعودا فيها ، وهبوط  
الوهاد وتكون الطريق الى عالم الأرواح بالنسبة الى الرجل الذى يموت  
ميتة طبيعية هادئة ، مظلمة وقائمة . أما الرجل الذى يموت ميتة عنيفة  
فانه يسقط بعض الصلصال الابيض منه على الطريق التى يسير فيها .  
وهذا هو السبب الذى يجعل الطريق اللبنية ( المجرة ) فى السماء بيضاء  
اللون . وهناك فى الوقت نفسه اتصال بين الأرواح والناس . والصعوبة  
الكبرى فى الذهاب الى عالم أرواح ليست ملاحية ، وانما تتعلق بالحلول  
وتناسخ الأرواح . اذ لما كانت السماء تحيط بنا ، فان التحدث الى الله  
يتم عن طريق التحدث الى الرياح وتكون أرواح الجدود والاسلاف فى عين  
الطريقة فى تناول الدعوة فى كل حين . وفى الامكان اسنداعاؤها حسب  
الحاجة عن طريق طقوس من الابتهاالات الخافتة التى لا يرفع الصوت  
فيها .

(١) اورفيوس : من أبطال الاساطير الاغريقية واشهر شعراء اليونان المنائيين فى  
مصر ما قبل هومر . عاش فى ترافيا . قدم اليه الاله اولو قيثارا . عزف عليه أعذب  
الالحن التى لم يطرب لها الناس وحدهم بل طربت لها الانهار والصخور التى اطاعت  
أوامره . بنى نعروس من عرائس الاحراش تدعى يوريديس التى ماتت متأثرة من عضة  
نمران ، وهم اورفوس باعادتها من العالم السفلى الذى مصت اليه بعد موتها فهبط الى  
ذلك العالم حيث أخذ يعزف على قيثارته مستجديا عطف الاله بلوتو الذى سمح له  
بالدخول وحمل زوجته على كتفه دون أن ينظر اليها حتى يصل الى العالم العلوى ، ولما  
خالف الشرط ونظر خلفه ، احتفت يوريديس أمام ناظره وراح يهيم فى العانان مزدريا  
حب نساء ترائيا اللائى صبون له ففطعته اربا اربا ثارا لتنويهن الحريجه ولكن عرائس  
الشعر والموسيقى جعلن هذه الارب ودفعنها عند سفح الاولب بينما نزل كبير الالهة  
» زيوس « قيثارته الى النجوم .

— العرب —

ويستدعى الاسراف فيما يسمى بعبادة الاسلاف ليفدوا النجدة والنعون الى ذرارهم ، الذين يلفونهم بكل مظاهر الجلة والاحترام في هذه المناسبات . وأساس هذا الاجلال مزدوج ، فالشق الاول منه هو أن هؤلاء الجدد هم أسلافنا أو الكبار منا وهم على الاساس يستحقون اجلالا والثاني انهم في وضعهم الروحي أكثر تبصرة منا ، اد انهم على اتصال دائم بجواهر الامور وأصولها ويكون الاحتفال بعبادة الاسلاف أيضا فرصة لتذكيرهم ، وشكلا من أشكال التلاحم العائلي . ولا يمكن للاسرة الاكانية الا أن تنمو ، ولا نستطيع أن نتقلص أو تصغر . وذلك لان الاسلاف يؤلفون جزءا دائما منها . ولكن لما كانوا لم يعودوا يمتنون الى نسق الاقائيم الثلاثة للاحياء فمن الواجب العثور على دروب للتشاور ، معهم والوصول اليهم . وتخلق هذه الضرورة الحاجة الى الطقوس . وليست طقوس عبادة الجدد أو الأسلاف طقوسا دينية للعبادة ، وانما هي مجرد أساليب مبتكرة للانصال . وليس تمة من احساس بالصفة الذاتية أو سلبية الذات عند الاحياء اناء ادائهم هذه الطقوس . ولا تكون السلالات التي ينتمي اليها هؤلاء الاسلاف مبتكرات سياسية وان كان هؤلاء الاسلاف يعدون انفسهم للاستعمال في صياغة المطالب السياسية وتبويبها . وهم في حد ذاتهم مقدمات للنرنبيات السياسية . ولعل هذا هو السبب حقا في امكان ادراجهم في البرهنة على هذه المطالب والادعاءات ودوام التسلسل العائلي هو في حد ذاته أيضا أسلوب للحفاظ على الونائق العائلية .

وتكون السلالة مجموعة منعقدة شكلية ورسمية كل الرسمية ، وهي كاملة كل الكمال في اعرافها ومحظوراتها ، ورموزها وسخصيتها . وترمز الشخصية الى درجة رفيعة من الاندماج والتكامل والنظيم . ويوجد الدليل على هذه الحقيقة في البيانات التي يقول ان هذا أو ذاك ليس من الخلق أو الشخصية لا جزئيا ولا كليا . ولا تكون للامة أية شخصية الا اذا كانت هذه الشخصية منظمة تنظيما عاليا في مواقعها وفي استجاباتها . ولما كانت السلالة بالنسبة الى هذه الاهداف نظاما مغلقا ، فانها تكون صاحبة شخصية ، يمكن أن يطلق عليها في الحقيقة اسم « شخصية مجموعة » وقد لا تكون فكرة الشخصية المجموعة بعيدة عن المتناول وقد يرجع شأنها بسرعة الى الجنان أو الجحيم وذلك بسبب التنسيق القائم في مفاهيمها . لكن الطبيعة الوراثية « للنورو » والموجيا تضفي على أى حال وحدة اضافية على السلالات القائمة عن طريق الامهات ، وتعزز الشخصية المجموعة أيضا . وتضفي العلاقات المترابطة لعدد من السلالات في المجتمع بطريقة معينة شيئا من التشكيل الرسمي على المجتمع الاوسع أيضا وتخلق الأساس لشخصية المجتمع وشخصية المجتمع هذه زبدة نظرية الاكانيين في شؤون الدولة . فهم يجسمون الدولة تجسيما كاملا . ويعطونها الأولوية على كل

فرد • ويصدق هذا أيضا بالنسبة إلى العشيرة أو ما يسمونها « أبوسوا » Abusua وتنفوق الدولة « أومان Oman » في معرض المصارنة على العشيرة • وتفرض الغرامة التي يخلقها التنظيم العشيري أولا وقبل كل شيء واجبات على أعضائها • وبهذه الصورة يصبح المجتمع الاكائي قائما على الواجبات لا على الحقوق • أما الواجبات فطفوسية وبشرية في آن واحد • ونبت اقداما على الصعبد الانساني • ولا يفسد من مسئولية العضو في العشيرة نجاه سعادة الأعضاء الآخرين وخيرهم ، تشجع الكسالى، والجمفى من الآخرين ولا معنى هذه المسئولية ، مطلما أن يخرج المرء على اجماع العشيرة وان يهرع الى مساعدة المحتاجين ، الحمقى • وهناك مجموعة من الأقوال المأثورة التي تؤكد هذه النقطة • فعندما يكون المرء فى حاجة فانه يلتقط الجوز أو اللوز من كومة الماذورات هذا ما يقوله أحد هذه الاقوال وهو لا يفيد كبير فائدة فى استخلاص صورة عن ابناء العشيرة • وهم بينها لون بوجودهم على شخص واحد • وهناك أقوال أخرى نسير على هذا المنوال ..

**عندما تكون فى حاجة ، فانك تأكل جند الماعز .....**

**: تحليل الحاجة الاشراف الى عبيد الله •**

**: الفكر يشبه الجنون •**

وتتخذ مسئولية عشيرتك شكلا فعالا ، عندما تغدو غربيا فى قرية من اقربى ، أو عندما تغدو معدما ذا خصاصة ، أو تتراكم عليك الديون • • دون جريرة منك ، فتصبح قريبا من لحدك • وهناك قول يؤكد الحاجة الى التضامن والدوام عندما يعلن أن العشيرة أسبه ما تكون بشجرة مزهوة تمثل ايناعها فى مجموعات وعناقيد ، وهناك قول آخر بأن شجرة العائلة لايمكن تشذيبها أو قطعها •

وعلى الرغم من أن العشائر ، هى أساس الدولة فانها لم تكن متساوية من ناحية الأهمية • فهناك عشيرة واحدة أو فئة خاصة من العشائر ، يختار منها الحكام دائما ، هذا اذا افرضنا التكافؤ فى سائر الامور الاخرى • ويقول الاكائيون ان جميع العشائر متساوية ، وأن هذا التساوى يسعدنا • ولكننا نتطلع على أى حال الى الجوازات التي تخرج انزبت • ولا ريب فى أن اقامة سلم طبقى عشائرى يعد ابتسكارا تماسكيا فى بناء الدولة اذ أن هذا السلم أقام الأساس للقيادة أو السلطة للحكم فأضعف بذلك من احتمالات الصراع على السلطان من النوع الذى يهدد بالتجزئة • بينما حافظ فى الوقت نفسه على طرز من ديمقراطية القيادة عن طريق الانتخابات •

واتجه تعليم الشباب كله اتجاها جماعيا • فالدولة تجسّد فى

هذا التعليم على أنها تضم عددا من الاسلاف المبجلين . وعكست في تجسيد منظور ببيان العالم الروحي ، الذى تظل على اتصال دائم به . ومن هنا كاتب الدولة والحالة هذه بناء دينيا . وقد وجه تعليم الشباب توجيهها يضمن العناية بهذا البنيان الدينى ويتمد من ازره . وهناك قول من الوعظ والتحذير ينص على انه عندما شرع الدولة فى الانهيار ففى الامكان العنور على سبب هذا الانهيار فى البيت . وهناك قول آخر يؤكد وجوب استكمال امتصاص الفرد فى الدولة وينص على انه عندما تتزع الدولة والشعب فى الشجار ، ويشج الواحد منهما رأس الآخر ، فان آثار هذا التسج تظل فى مكانها لا تمحى ، ولا ريب فى أن هذا القول يضمن اطلاقية حق الدولة فى طاعة الافراد . لكن حق الدولة هذا لا يحمل طابعا استبداديا أو طوعيا وانما يقوم على التفكير ، وعلى الاقرار العام باهميتها . مع المبل كل الميل الى تحقيق الخير العام .

وكيرا مايجهز بالراى القائل بأن الانسجام بين المجتمعات الافريقية يعرض حدودا ضيقة على حرية الفرد وحوافزه وانه قد يؤدى ايضا الى الكثير من الخور وضعف العزيمة ، لكن فى هذا القول فهما خاطئا ، ولا ريب ، فمن الواجب فى كل دولة خلق الاجهزة اللازمة للحفاظ على الأمن العام ونوطيد دعائم الانسجام العام والحيوية والكفاية . وهناك فى الدولة الحديثة منظمات قانونية للحفاظ على الامن والاستقرار ، كما ان هناك مجموعات من المنظمات المهنية وتبته المهنية تقوم بوضع قواعد اضافية للسلوك . كمنظمات الصحفيين والمحامين والاطباء ولاعبى كرة المضرب ( التنس ) وهلم جرا . وهناك أيضا نواد وراى عام يقران ساسلة من الاجراءات التى تضمن الانسجام عن طريق الافكار المتعلقة بما يجب ألا يفعله الناس ، وما يحق لهم أن يفعلوه . أما فى المجتمعات التى لا تكون منظمة على هذا النحو فان الاهداف التى تسعى اليها هذه الهيئات ، وما تزال مشروعة ومرغوبا فيها . ويفدو التطوير الواسع النطاق لروح الجماعة ، الطريق الأفضل لتحقيق هذه الاهداف . وقد نمت هذه الروح فعلا فى مجتمع الاكانيين عن طريق التعليم والراى العام . وعندما تظهر تلك الهيئات والنوادي التى أشرنا اليها الى حيز الوجود فان الافراد يغدون متحررين من الالتزامات المباشرة الصالحة تجاه مجتمعهم . ويعبرون عن التزاماتهم هذه بصورة مباشرة عن طريق الولاء لهذه الهيئات والنوادي . فالالتزامات مازالت على حالها ، وكل ماتغير فيها هو منظرها . ولكن لما كانت هذه الالتزامات قد غدت الآن أضيق تركيزا ، فان الفرد يحصل على شعور من التحرر ومن المبادرة والقدرة على الخلق ، ولقد كان تقسيم دولة الاكان الى عشائر فى

طريقة أيضا لتخفيف الابعاء التي تعرضها الدولة على  
في وسع الافراد أن يركزوا عنايتهم على العشيرة بدلا من  
سؤليتهم المباشرة عن العالم . وكانت العشيرة وسيلة لاختفاء  
بة على روح الجماعة .

، هذه الفائدة من العشيرة قد مالت بصورة حتمية لانها  
امات الافراد نحوها الى التزامات روحية ومعنوية الى  
ة الفرد في التعبير والعمل ، في أكثر من مجرد ولاء اجتماعي  
ولاء مهني الى منظمة . وكانت العقوبات التي تفرض بالنسبة  
عدم الولاء ، صارمة كما هو منتظر تماما . وكان ينظر الى  
في البنين المجتمعى ، كخطر بهدد تركيب المجتمع الذي  
' الموتى من الاسلاف . وهكذا كان عدم الولاء للعشيرة  
عض الحالات المعينة وكأنه يحمل طابع انتهاك حرمة  
 . أما عدم الولاء للنادى أو للمؤسسة المهنية ، فلا يعرض  
بب التحديد في التوجيه الى أكثر من عقوبة الطرد أو  
عتذار . فالمجتمع هنا لا يمكن الفرد من الشعور بالتهديد  
يتسهر المجتمع هنا بمثل هذا التهديد من جراء عدم الولاء

إذا كانت العشيرة قد حددت حرية التعبير والعمل ، وحددت  
الأحاسيس عند أعضائها ، فعليها ألا نسننح من ذلك أن  
فاشلا أو معرضا للحصر والاختناق . ولم يعمل الحظر الذي  
التعبير عن بعض الآراء الخطرة والمليحة ، عمله الا بحضور  
سيرة واسلافها وقد تدمر أساتذة المدارس من الصعوبة اتى  
، حمل الاطفال الافريقيين على التعبير عن آراء معينة في  
ولا يرجع السبب في هذا الى أى افتقار في الافكار المحدودة  
لاصلية والخلافة وانما الى العجز عن طريق التنشئة عن  
نين ، وهم يمثلون هنا الاساندة معهم في أعمالهم . ولا تقف  
شاء التي يكتبها الأطفال انفسهم موقف التوازن والتطابق مع  
ى يلقونها ، ويمتد هذا الموقف من المدارس الاولى الى  
 . وهناك قول مشهور عند الاكانيين يضع كلمات المسنين في  
اويد والرقى . فالمسنون هم مستودع الحكمة الشعبية ،  
كديهم أو مخالفتهم بسهولة . ويقوم برير هذا الموقف في  
راقعة وهى أن حكمة افريقيا كانت دائما من الطراز العملى .  
الخلاف العملى بين من يتعلمون وبين من يعرفون ، في المسائل  
يت لا يكون للاخطاء من نتائج جذرية أكثر من تلك التي  
اضاعة الوقت والجهد خلافا لا منطقيا وتافها ، ولكنه يكون

في الوقت نفسه تمرينا نافعا ، وعندما يكون المسنون محتلين مراكز عالية في السلم الاجتماعي لا يمكن للخلافات العامة مع الناس الاقل سنا والاحفض مكانة الا أن تؤدي الى خسارة في المهابة وفي مانحمله مراكزهم من قدرة على التأثير . وقد يكون الحكمة التي مثلوها كافية لمطالب العشرة واحياجاتها ومطالب الدولة واحتياجاتها في الوقت الذي عاشوه في الماضي ولكنها لم تعد كافية اليوم . ولذا فقد بات الخلاف معهم في هذا العصر الجدد من البحث والاستقصاء أمرا معقولا .

وكانت القيود على العمل ، لا يفرض عادة الا في حالتين : حالة اختيار الزوجة ، وحاله اختيار الطريق الذي سيسلكه المرء في حياته لتأمين معاشه . ففي حالات الزواج ، تبرز جميع الافكار والاعراف المتعلقة بالتسلسل العنصري ، وتتخذ صفة العمل . ويكون الزواج عند العشائر من الاباعد الا بالنسبة الى الملوك الذين يستنون من هذه القاعدة لاسباب معينة ومن الطريف أن السبب في الاستثناء هو عين السبب الذي أدى الى وضع القاعدة العامة . أما بالنسبة الى ما كان يفرض من قيود على حرية اختيار العمل الحبانى . فهذا سوء متوقع في مجتمع لا يتوافر فيه وبشكل بارز الفوائض في السلع والشاء . وكان اقتصاد المجتمع الاكائى مجرد اقنصاد قوتى . لا فائض فيه الا القليل . وفي مثل هذه المجتمعات كالمجتمع الاكائى . تكون الفرص قليلة ونادرة وكان ارباب الفكر الذين لا عمل آخر لهم يجدون أنفسهم مرغبين على الاعتماد كلية على رعاية الملوك والكبراء ولما كانت طوابع الفرد مرتبطة كل الارتباط ، مع طوائع أسرته فان اختيار الفرد للعمل الذي يعتاش منه . يقدوا أمرا مندمجا مع كيان الاسرة اذ لما كان تراء الفرد يعتبر مصدر عون مادى للأسرة في أوقات الشدة ، ولما كان عوزه بفرض التزامات القوئ على الاسرة ، فان اختبار مصدر الرزق بالنسبة للفرد يقدو مرتبطا براء الاسرة ومشاعرها . ولم يكن هذا الاختيار ينطلع الى الاكتفاء الذاتى فحسب . بل كان يهدف أيضا الى الوفاء بالالتزامات العائلية . ومع نزايذ الفرص واتساعها ، أصبح فى وسع عدد أكبر من أفراد الاسرة أن يكدوا ويكدحوا لا لخيرهم فحسب بل ولخير أسرهم أيضا . وكلما ازداد عدد هؤلاء القادزين ، كلما قل خطر دعوتهم الى مد يد العون ، وكلما زادت فرصهم فى التحرر والاعتناق .

واعتمدت قواعد التفبيلية فى الفن والادب والتقنية أكثر ما اعتمدت على الفهم الفردى ، لا على الحاجة الاجتماعية .

والسبب الذى يشرح ظاهرة الزواج من الاباعد عند العشيرة وظاهرة الزواج من الاقارب عند الشيوخ ، هو عين السبب الذى يفسر

الحق في الوراثة والتسلسل . ولا يمكن فهم حق الوراثة دون فهم نظرية الملكية فلقد عرف الاكانون نظامي الملكية الفردية والملكية العامة . وافرأ بهما . وكان ادراكهم في الحقيفة لآثار الملكية انفرادية ونتائجها كبراً . وكانت الارض هي الشيء المهم الذي يمتلك مشاعياً أو بصورة عامة . فهي ملك مشترك للعشيرة كلها بصورة مستديمة من احيائها وامواتها ، ولا يمكن خروجها من هذه الملكية لا ككل ولا على أجزاء . ولم يكن نظام الملكية القائم على المزارعة ، يتضمن أى حرية في التصرف بالارض وليس في انكلترا أى شكل من أشكال الملكية المطلقة للارض ، اذ ان المالك النهائي لها هو الملك ممثلاً الدولة . ولعل اقوى اشكال الملكية المتاح في انكلترا لرعايا الملكة ، هو حق الحيابة المطلق المستند الى الايجارة الاسمية . واذا مانظرنا الى هذا الحق نظرة عملية بالنسبة الى أهدافه العملية ، بين لنا أنه لا يعدو ان يكون ملكة مطلقة . أما عند الاكانيين فكان التطبيق العملي ، معادلاً للنظرية في انكلترا . فالارض في عهدة العرش أو عهدة مقعد الشيخ القبلى . وهما يقومان على رعايتها وصاية عن الشعب ، ولم يكن حتى للشيخ نفسه حق التملك المطلق للارض المصنعة في فئتي « اراضى الادارة » و « اراضى العرس » ويستغل الصنف الثانى من الارض شخصياً من قبل الشيخ الحاكم طيلة الفترة التى يظل فيها شيخاً ويقتضى السماح بالتدخل في هذه الارض موافقة شخصية من الشيخ . أما اراضى الادارة اتساعة للعرش أو لمقعد الشيخ ، فهي الملكيات الخاضعة لسلطة الشيخ وصلاحياته وهي في الوقت نفسه المناطق الارضية التى يملكها رعاياه . وكان النظام السياسى الاكانى يفصل بين الارض والسكان ليقم على اساس هذا الفصل نظام الحكم فى البلاد ، وتقوم محكمة الشيخ وتحت اشرافها بتوزيع الاراضى الادارية أو اراضى الدولة ، نوزيعاً متكافئاً بقصد المزارعة والتصرف . وكان هذا النظام يعم افريقيا كلها ، ولم يتعرض لبعض التعديلات الا نتيجة لبعض الاحداث التاريخية كما وقع فى اوغندة مثلاً ، حيث ادخلت أنظمة تفصيلية مسهبة يمكن ايساحها على ضوء العناصر الاقطاعية التى ادخلها الفزاة الاجانب .

وأدت ندرة الملكيات الخاصة التى تحول موضوع تعيين الوراثة الى قضية شكلية . وكانت الأولويات فى الميراث تصنف على النسب .  
التالى نـ

- ١ - الاخ الاكبر من الام نفسها .
- ٢ - الابن الاكبر للاخت الكبرى .
- ٣ - الحفيد عن طريق البنت .

٤ - فرع آخر من الاسرة نفسها .

٥ - العبد « الرقيق » .

وعلى الرغم من أن تسلسل الورانة كان شكليا ، فان احتياجات الوصاية ، جعلت من اعتبارات المصلحة . أمرا لازما فالوارث كمورته لا يملك من حقوق الملكية الا انتصرف فيها . ولذا ففي الامكان بخطيه دون أية ضجة اذا لم يكن صالحا لهذا التصرف . وكان يطلب أن تتوافر في الوارث مؤهلات شكلية وغير شكلية ، أى الطاقة والقدرة . وكانت العاهات أو العيوب البدنية بالاضافة الى العجز ، سببا يدعو الى إثارة الابن الاكبر للاخت الكبرى على الاح الاكبر من الأم نفسها . وكان الرقيق يفضل أحيانا على الاعضاء الاحياء من الاسرة نفسها . وهناك مبدأ قانوني يطبق فى المنازعات على الارث وهو يقول بكلمات عدة . ان أبناء الاخوة والاخوات لا يرتون طالما أن هناك أخوة من أم واحدة .

وهناك بالطبع سبب لهذا الترتيب فى الارث فالمرأة فى عرف الاكانيين هى مصدر العائلة . ولهذا كان أبناء الاسرة والعشيرة يحددون بالنسبة الى القرابة عن طريق النساء . فالأم هى التى تلد الطفل . وهو أقرب فى الظاهر الى أمه من أبيه . فهى التى تحمله فى رحمها وهى التى نرضعه من دمه . وهى التى تقضى على ولدها « الموجيا » وهو العامل الروحى الذى يقرر شكل الطفل . وهناك قول مأثور بأن أم طفلك هى قريبتك . وكانت حيازة الملكة وسيلة اقناع لتحديد الورثة بأولئك الذين يرجعون فى ظاهرة « الموجيا » الى مصدر مشترك . وكان التزاوج بالنسبة الى الملوك أو كبسار الشيوخ ينحصر فى العشيرة نفسها ، للحفاظ على نبالة العشيرة ولتقرير صحة نسب الملك تقريرا كاملا .

ولم يكن خط الورثة بعيدا عن طراز التنظيم الاجتماعى فعندما يفقدو التنظيم وجودا قائما بذاته . أو شيئا فى حد ذاته لا يرجع فى مسورته الى غيبيات الاولين فان المجتمع يساس على أساس اقتصادى محض . وعندما تغدو المهام الاقتصادية للذكر فعالة الى حد معين فان خط الورثة يتحول الى ناحية الآباء بدلا من الامهات . أما عندما تكون المرأة هى التى تتولى تصريف هذه المهام ، فسواء أكان المجتمع يعود فى أموره الى غيبيات الأسلاف أم لا يعود فانه يظل مرتبطا بأواصر السلالة عن طريق النساء . وفى مجتمع الاكان ذى الطابع التقليدى الصرف . كانت الام هى المسئولة عن أداء الالتزامات الاقتصادية للطفل مسئولة كاملة تقريبا . ولهذا كانت ارتباطات الاطفال بأمهاتهم



نعتبر بدورها ، من النوع الذى لا يقصم عراه ه وهناك قول مأثور بأن على الطفل اذا ما وقعت أمه فى معرة ألا يحاول النخل عنها بحنا عن أم جديدة .

وكانت بربية الطفل عملا يقتضى من الام الانهماك كل الانهماك والكب على تنشئته . وقد مكنت حكمة الاكانيين وتجاربهم من تأمير رصيد ضخيم لهم فى هذا الميدان . وكانوا يفرسون الفضائل فى أطفالهم عن طريق التمرين العملى أكثر من الفهم النظرى .

وهناك كما يتوقع المرء عدة أقوال مأثورة وحكم تنطوى على هذه الفكرة . وادد هنا ان ادرج بعض هذه الاقوال أ

« لا ينسأ الطفل الذى يريد له أهله النجاح فى حياته ، دائما على فراش لين من الورق »

« حد السكين التى لا تأمير لها ، هى التى تنطلق حرة من يدي الطفل » .

« اذا حاول الطفل التمارض وادعى الموت ، فعليك أن تتظاهر بدفنه » .

« اذا اقترب الطفل سح سيئات ه فان نتائج خمس منها تترد عليه » .

« اذا أصر الطفل على الامساك بالفحم المحترق بيده ، فعليك أن نمسح له المجال ليفعل ذلك . وعندما تحترق يده ، لا تجد نفسك مضطرا الى تشجيعه على القاء النار من يديه » .

ولنصائح المسنين قوة وتأثير أكثر من الرقى والتعاويد . وفى وسع المرء أن يستخلص من هذه الحكم والامال الشعبية السابقة ان الاكانيين كانوا يؤمنون ايمانا عميقا بانضباط الاطفال ، وكانوا يمنحون لكبر السن الحق كل الحق فى ارشاد السباب وتوجيههم . وكانوا يؤثرون الحكمة دائما على السلطة والفرض ، وهذا أمر يظهر بوضوح فى أنظمة الارث عندهم . وكانوا يقولون ان الحكيم العاقل ، يولد قبل أن يولد السبد المطاع . وعلى الرغم من ان الاكانيين تسفوا بالحكمة كل التسف ، فان موقفهم من الحمقى ، لم يكن قاسيا أو صلبا ، وانما ينطوى على السخرية والزراية الخفيفة . ونظرتهم الى الحكمة نظرة عملية ، فالاحمق هو الذى يخسر دائما فى مجالات العمل ه ولا يكتفى بالتدليل على عجزه فى ميدان النظريات . وها انا ادرج بعض الامثال والاقوال المأثورة عن الحمقى ..

يقول الاكانيون .. « يقول الاحمق دائما ، ان المعنى صديقي لا أنا » . وهم يعنون في قولهم هذا مايسير به الاحمق من فلب ، ومن نهرب من المسئولية ، ومن عجز عن الافادة من شئ ، لا يدفع الى فمه دفعا . أما الحكيم العاقل ، فيشتفع كما يفترض كل انسان ، من كل شئ .

فهم يقولون .. « عندما تتلو منلا على مسامع أحمق ، فعليك أن نشرح له مايعنيه » .

وهم يقولون أيضا .. « الاحمق فقط هو الذى يحتاج الى من يفسر له المثل » .

ولا ريب في أن هذا القول .. يعنى تماما ما يعنیه المثل اللاتينى المشهور .. « الحكم تكفيه الاشارة » .

ويتحدث الاكانيون عن عدم تبصر الاحمق فيقولون .. « عندما يبعثر الاحمق ذهبه .... يكتفى بأن يقول .... ان الخلل أصاب ميزانه » .

ولما كان الاحمق لا يقوم بأعماله مفتوح الاعين وعن بصيرة ، فهم يقولون .. « الاحمق هو من يبيع له الناس « الطماطم » التى يملكها » وأعرب الاكانيون عن مقتهم للآراء العلمية الاكاديمية الصرف في قولهم ...

« الحكمة لبست كالمال ، فهى لا تقيد ولا تخفى »

ويؤدى الافتراض بأن الحكيم ينتفع من كل وضع من الاوضاع الى تفسير حرفى واقعى للحياة . وهم تمهيدا لهذا الاحتمال يقولون بتىء من الفلظة والجفاف ..

« عندما يتعامل حكيمان عاقلان مع بعضهما تختفى العواطف في تعاملهما » ..

وهم يقولون في المعنى نفسه ..

« يستخلص الحكيم العاقل ثمانية جنيئات من الاحمق ببئس واحد » .

ولكن هذا الطراز من التعامل لا يطرى كثيرا ، ولذلك فهم يوجهون التحذير التالى ..

« عندما تحتال على احمق ، يكتفى العاقل بالتفرج عليك » .

وتسهل ألوان الحكمة الاكانية العملية والخيالية ، وهى تعكس صور الحكمة الافريقية عامة على المجتمعات الافريقية بصورة فورية مهمة تعصير هذه المجتمعات واعادة بنائها على أسس حديثة . والحاجة الى الاعمار واعادة البناء ، هى فى حد ذاتها مهمة عملية . وتؤلف مشاكلها، الموضوع الذى سأطرقه فى الفصل الاخير من هذا الكتاب ، وأرى أن اكتمى هنا بالقول ، بأن مواقف الاكانيين المتعلقة بالحياة هى فى واقع الامر مواقف عصريه وناضجة كل النضوج . فلقد كانت روح الجماعة قوبة كل القوة على الصعدان الخفضة المعنية من الانماء الاقتصادى، وتوحي طبيعتها السلبية مبدئيا ، بعدم التدخل فى شئون هذا الانماء . ويتطلب الاعداد للنهوض بافريقيا اقتصاديا الكثير من الآلام والتضحيات التى تقتضى اعادة النظر فى مواقف الافريقين بصورة عامة من الفقر والثراء . وهنا يجد الانسان نفسه مضطرا مرة ثانية الى العودة الى الأمثال والاقوال السائرة ، للكشف عن المبادئ التى ننطوى عليها هذه المواقف ، وعن الاحكام التى يمكن صدورها فى قضايا الاقتصاد المالية . وهنا أدرج بعض الامثال ذات الصلة بالموضوع.. اذ يقولون..

« فى حالات المسغبة والعوز الشديد ، يعيش الانسان فى الغابات كما تعيش الحيوانات » .

« الخصاصة يدفع المرء الى البحث عن « الجوز » فى أكوام القاذورات » .

« بحيل الفاقة التبريف الى عبد »

« الفقر هو الجنون »

ولا ريب فى أن هذه الامثال توضح الحدود التى يستطيع الفقر أن يدفع بالانسان اليها . ويظهر تشبيه الفقر بالجنون ، حكمة بالغة واستشفافا مهما لذلك المظهر من مظاهر اللامسئولية التى يخلقها الفقر فى بعض الأمزجة . لكن الاكانيين لم يكسبوا على أى حال ذلك الانطلاق من الطاقات الخلاقة التى يستطيع الفقر أيضا دفعها واستفزارها . وقد أظهر الاكانيون فى اعترافهم بما يصحب هذه الطاقات من فسوسة ووخشية ، ما يميزون به من انسانية أساسية . ولقد سبق لهم أن قالوا .. « لو لم نعرف أوروبا الفقر لما ترك الرجل الأبيض أهله ليعيش فى بلاد الرجل الأسود » . وبحس هذا القول النقيب ، عن أن الروح التى غلبت على بعض الاكانيين فى الدفاع عن أنفسهم ضد محاولات الاوروبيين استيطان اراضيهم أو انتزاعها لم تكن ناجمة دائما عن التعقيدات الغريبة التى يربطون بها اراضيهم الى أفكارهم . وهكذا تحقق لهم بسرعة فهم العلاقة القائمة بين

الحاجات الاقتصادية والخوافز الى فظائع الاستعمار . وقد اكتشف وجه الشبه القائم بين الففر والجنون في أقوال محدودة ، عن المزاح الذى يسيطر على الرجل الفقير ، كالقول المأثور ..

« ليس للفاقة من أصدقاء »

وتحليل الفاقة الانسان في المجتمعات السعبيه الصحيحه ، اما الى اله أو الى وحتس كاسر .. كما يقول المثل ..

« لا يفضب الرجل الفقير أبدا » ..

ولا ينجم هذا الموقف عن أن الرجل الفقير لا يستفر ، فالفقير وقوة الشخصية ضدان لايجمعان أبدا .. وقد نواترت أمثال عدة أخرى ، عن حطة مكانة الفاقة ، نجتزىء منها مايلى :

« لا يتناقل الناس أقوال الفقراء المأثوره »

« يفصل في قضية الرجل الفقير في جلسة قصيرة »

« عندما يرندى الفقير قلادة من أرق أنواع الحرير ، يقال بئنه يرتدى حجاما من الاحجمة التى تعلق في رقاب الاغنام » .

« .. انا في حاجة ، أرجو أن نعمل شيئا لى » .. هذه هى الطريقة التى نقلب الناس فيها عبيدا » .

ويظهر الاكائيون في القول الاخير مدى احترامهم للاستقلال الشخصى ، ولا ريب في أن هذا الاحترام كان مرتبطا بالمسؤولية السلبية والاشتراكية التى تحملها العشيرة بالنسبة الى عنايتها بأفرادها وليس ثمة من شك في أن المجتمع الشعبى الاكائى يشبه الى حد بعيد « دولة الرفاة الاجتماعى »

وكان الاقتصاد الشخصى أمرا مفروضا . وكان يطلق على كل من يفتقر اليه صفة الحقم ، كما سبق وبينت في المثل الذى أوردته عن الاحقم والمتعلق بموازينه . ويقول الاكائيون أن الفاقة لا نحدد موعدا أو تاريخا لمجيئها .

ولاحظ الاكائيون أيضا العلاقة بين السلطة والمكانة والثراء فقالوا ..

« لا يمكن للمرء أن يضايق آخر بفقره »

« الفنى هو رجل السلطة »

« المال أحد مضاء من السيف »

« عندما يأتى المال ، ويمضى ، لا يخلف وراءه شيئا »  
 « المال كالخادم ، ان أسأت معاملته ، فر منك ومضى »  
 « عندما يشمل رجل ثرى ، يقول الناس عنه انه معكر المزاج »  
 « تختفى دائما الآنام التى يقترفها الفنى »  
 « الشهرة القائمة على رفعة النسب لا تنتشر ، أما الشهرة القائمة على الشراء ، فيذيع أمرها وتنتشر »

« لا بطبح المرء رفعة سببه وبأكلفها ، لكن النراء هو كل ما يهم »  
 ولم تكن الفاقة مرتبطة بحكم الضرورة مع الرق ، عند الاكانيين ، وان كانت من ناحية المنزلة الاجتماعية مرتبطة به . وكان فى وسع أى عبد من العبيد أن يطالب عن طريق الكفاية ، والقدرة ، بالحق فى الورانة ، كما كان فى وسعه على سبيل اليقين أن يقدو ثريا غاية النراء فى كبر من الحالات . وكانت هناك طرق ثلاث متبعة فى تحول الانسان الى عبد من العبيد . فهناك أولا أولئك الذين يتطوعون بوضع أنفسهم تحت تصرف أحد السادة ليتولى حمايتهم واطعامهم وإيوائهم ، أو حتى ليتناولوا منه أجورهم . وكان هناك نانيا أولئك الذين يضعهم أقرباؤهم رهينة أو ضمانا لديون يقترضونها ، وحتى يتم تسديدها . ونضم هذه المجموعة أولئك الذين يلقى عليهم القبض لكونوا رهائن وفاء ندين فى العملية التى يطلقون عليها اسم « بانياربيح » . أما الفئة الثالثة فنضم أولئك الذين بولدون أرقاء من آباء وأمهات من الرقيق . ويعمل أفراد هذه الفئة عادة فى حمل الاعمال ، وتقديم العون فى زراعة الأرض .

وكان العبيد يؤلفون جزءا من متاع البيوت ، حتى ولو كانوا من أحط الفئات أو أفراد المجتمع ، وعلى الرغم من انه لم يكن لهم خيار فى انتقاء ساداتهم ، الا انهم لم يكونوا يعاملون بقسوة وغلظة ، اذ ان القول المأثور عن الاكانيين ، يؤكد أن جميع الناس هم عباد الله . وان ليس هناك من عبال للارض . وكان السؤال يوجه دائما الى الذين افغوا اساءة معاملة عبيدهم ، وفى هذا السؤال الكثير من المنطق والبلاغة ، ما اذا كان « كوبوبى » سيستطيع حمل الطبل الضخم والكبير لو انه كان بشرا ، ولدته امرأة . وكان فى وسع العبيد أن يتحرروا من الناحية النظرية اذا أقاموا الدليل على معاملتهم بوحشية . وكان يقال فى الوقت نفسه ان المرء لا يقتنى عبدا ، ليلقى المهانة منه أى من هذا العبد . وقد سجلت سفاهة بعض العبيد فى القول المأثور ، بأن العبد اذا جمع بعض الثروة ، نسب نفسه الى عشيرة « نسونا » Nsona . ذات المركز القيادى . وكان يسمح للعبيد باستغلال الممتلكات التى يحصلون

عليها بالطريقة التي يشاءونها ، وكثيرا ما أصبح بعضهم أكثر براء من سادتهم ، وجمعوا حاشية أكبر حوالهم ، وسيطروا على جنود من الاحرار .

ولم تكن هناك في الوقت نفسه أية مسئولية على العبد من الناحية النظرية ، وعندما يقترب أية أخطاء أو أعمال ، سواء أكان ما يفتقره في خدمة سيده أم لا ، وتنفيذ لأوامره أم لا ، فقد كانت مسئولية هذه الاخطاء نحمل على السيد نفسه . والسيد هو المسئول عن ديون عبده . وعن التعويض على ما يلحقه بالآخرين من أضرار . وولاء العبد وطاعته لسيد المباشر ، ولا يمكن أن يطالب سيد السيد بنقلها اليه . وبرجع الاكانيون في أصول الرق عندهم الى الايام التي فقد فيها بعض الاشخاص الحائرين والقلقين استقلالهم . وأصبحوا يعتمدون في معيشتهم وأمنهم على غيرهم . ويقول المدافعون عن تجارة الرقيق وهي تجارة لا شأن لها بأوضاع الرق عند الاكانيين انفسهم بشيء من المكر ، ان من حق الغرباء أن يشتروا أطفال الاكانيين ، اذا كان أبائهم يملكون الحق في بيعهم وقد كتب روبرت Roemer المؤرخ الدانمركي الذي عاش أمدا طويلا في ساحل الذهب وبلاد الاشانتى كتابا في عام ١٧٤٩ نفى فيه هذا الادعاء أشد النفي . وقد بنى الادعاء نفسه على سوء فهم لعبارة « اوبا Oba » الاكانية فقد فهم التجار الاوربيون العبارة الاكانية « مى دزى مى بابى اوبا Me dze meba bi oba » على أنها تعنى « لقد جئت بولد معى » بينما تعنى « لقد جئت بفلام — أى غلام معى » وهى عبارة يقولها الاكاني عندما يعرض شخصا للبيع .

## نظرية الاكانيين في الحكم

تقضى نظرية الاكانيين السياسية بأن الحاكم يستمد سلطانه كله من الشعب . وأنه بمسك بهذا السلطان وصاية عن الشعب ووكالة له . وقد تضمن النص باقالة الحكام والاسس التى تبنى عليها هذه الاقالة ، هذه النظرية تضمننا واضحا وصريحا . . وعلى الرغم من ان هذا الراى لم يكن أكثر من نظرية تقييم أسس السيادة فى الشعب . الا أنها لم تكن سلبية كل السلبية فى فحواها وانما كانت تضع أيضا اجماع رأى الشعب وقونه كلها وراء الاعمال التى يقوم بها الحكام . وكثيرا ماوضعت قرارات الحاكم بالفعل على لسان الشعب وباسمه . فلقد قيل على سبيل المثال بأنه اذا قام الناس برسم صورة سخيفة على رأس انسان فانه لا يستطيع أن يحوها . وكان الخروج على اجماع الراى ، حتى عند التعبير عن رأى ، بل القيام بعمل ، يعتبر عملا من أعمال الحماقه ينظر اليه بالكثير من عدم الرضا . والوقت الصالح للتعبير عن جنون انسان أو تطرفه ، هو الفترة التى تجرى فيها المشاورات . وكان اصرار الفرد على رأى يخالف ما اتفق عليه الراى العام وأقره ، وإعلان عنه بعد الكثير من التشاور يعتبر شرا هداما . فالاكانيون شديداً التعلق بمبدأ الوحدة . ولهذا فان نرف ما يعرف بتقارير الاقلية . كان غربا على تفكير الاكانيين وأنظمتهم السياسية .

وقد يكون من التسرع كل التسرع . أن ينظر الى هذا الوضع على انه حد من حرية التعبير بالنسبة الى الفرد . فمن الواجب السماح بهذا الحد . حتى فى أكثر الانظمة الليبرالية تطرفا ، فاذا كان فى الامكان التفريق بين هذه الحرية وبين القوضى على أى حال . فان من الواجب أن تكون هناك نقطة فى ممارسة حرية الكلام والخطابة يعتبر تجاوزها اعتداء على حرية المستمعين أنفسهم يجب منعه وعدم السماح به . وتكشف أقوال الاكانيين وأمثالهم عن حقيقتهم وهى أنهم شعب ذو تفكير عملى . وتتمثل لهم قيمة حرية التعبير فى الناحية الممكنة من الحقيقة التى يمكن أن تكشف عنها هذه الحرية . أما اذا كان لابد من انقيام بعمل ، فهناك نقطة يجب أن يتوقف النقاش عندها . لكن وقف النقاش لا يؤدى بالطبع الى اغلاق الامكان المنطقى للنقد السليم . ولكن لما كان العمل يجب أن يتم فى الوقت المحدد له . فان

مظهر الاجتماع يجب أن يحفظ به في الآونة التي يتم فيها العمل الذي يحسم النقاب عن عقائد غير مستفزة وعن مواقف فقال انه يستدل التسك في الصواب ، بالتأكيد بوفوع الخط الاكاثبون بنظرون الى الاصرار على التعبير عن آراء معارص الوصول الى قرار ما ، ولهم كل الحق في نظرهم هذه ، بأنه يه مخربا ومجزئا بل ومضعفا . وكانوا من أجل ذلك يهدرون الذي يقف مثل هذا الموقف ويجردونه من حماية القانون . في أن هذا الطرار من الهدر . الذي يؤكد المسؤولية الجماء سسعود الوحدة . اذ أن القرارات العنينة يفسدو رابطة للجم استثناء ودون اكرثار بالآراء والمواقف التي عبر عنها أو انه الوصول الى تلك القرارات .

وخوفا من أن يتشكل الهدر بالنسبة الى الاصوات المصادور اقرارات والتي تهدد الوحدة أى اجحاف بالنسبة الى من الفرقاء ، فان استراتيجيات قد احدثت بالنسبة الى ج ووحات النظر ، لسمع بحرية وتناقش . وكانت القرارات طبعاً للقالبية الكبيرة ، وهى على أى حال أقرب معادل عملى وكان الناس في المجتمعات الصغيرة يدعون الى الاسواق العام في المناقشات السياسية . أما في المجتمعات الكبيرة . فكان استجابة عملية في عقد مثل هذه الاجتماعات . وكانت المناقشة قبل كل شئ بين النسيوخ المنتخبين الممثلين لمختلف العشائر يتولون في الوقت نفسه دور المشر الناصح للرئيس الأعلى . قول مأثور عند الاكاثبين بلغ مرتبة الحكمة السائرة . وهو هناك حاكم سيىء . ولكن هناك ناصحين أشرارا .

وينطوى هذا المثل على أمرين هاميين . أولهما : الخضوع المركز في شخص الرئيس الأعلى . وتانيهما : اشتراك المجموع كما أما مباشرة عن طريق جميع الافراد شخصيا أو لامباشرة عن ط للشعب المنتخبين منه . وهكذا فان التعادل القائم بين شبه جعل من تأثير القرارات أمرا حتميا . وهناك قول مأثور عن مع هذه الظاهرة وهو يقول : اذا أراد الملك أن يقتل رجلا المجدى مطلقا الاقتراع على ذلك . ولم يكن نمة أى شك في الملك . فقد كان يقال ان الملك ، اذا أنزل مسغبة بالناس ، ردد الى الشعب . ويبدو أن الملك كان يمثل لهم شخصا تقف آلة شغبه . وكانت موافقة الملك على القرارات غير لازمة نظريا من المفروض فيه أن يصفى عليها قناده المعنوية . ولم يكن من أن يعتقد الصلح أو شن الحرب وحده أو طبقا لرأيه ، كما



صلاحياته نخوله الدحول فى معاوصات او نوفيع معااهدات ذات صلة بمصالح شعبه او سن العوائى بصورة استغلالية .

وكان السبخ الاكبر بعتمد بصورة مستمرة فى رفاه حياهه وسعاده ، وذلك بسبب صلاحياته الدستورية . على طاقته الشخصية وعلى آراء شعبه ومستشاريه لا سيما وأن مكانة الدولة المقدسة كانت بعضى على المول الذاتية عند هؤلاء وهى المول التى نبرز عادة ابان المعارك على السلطان . وعندما يموت أحد الملوك تؤول ممتلكات الدولة الى وصاية الملكة الوالده . وعلى الملك الجديد أن يبت أولا كفايانه وطامه قبل اسعاده حفه فى الاشراف على الممتلكات فى حالة « كوى كاربكاي » مثلا وهو الملك التاسع عشر من ملوك الاشانتى فى غانا . وقد يميز بالعوه رغم بحوله . وبالكرم والدمائة ، ظلت ممتلكات الدولة بعيدة عن اشرافه طيلة الاعوام الخمسة الاولى من بولبه الملك .

وكان مركز الملك يحمل طابع القداسة أكثر من طابع المنصب السياسى ولما كان الملك محاطا بمستشارين تعتبر مراكزهم من المناصب السياسية . ولما كان الملك نفسه يمثل الوحدة الروحية القائمة عند الشعب . فقد كان فى الامكان خلع الملك من منصبه شريطة أن تقدم سلفا قائمة بالاسباب التى ندعو الى الاطاحة به من منصبه .

ويمكن خلع الملك عن عرشه لعدة أسباب تعتبر مزرية بالمركز الذى يسفله . فالملك الذى بصر باستمرار على تقديره الشخصى للامور ، ضاربا عرض الحائط بالرأى المشترك لمستشاريه مجتمعين ، يتعرض للخلع والعزل . وكان يقال ان الشعب لا يستطيع أن يشرب الماء مع مثل هذا الرجل . وفى الامكان أيضا تنحية الملك اذا كان ظالما ، أو كان مسبيدا ، أو شربرا ، وينحى الملك اذا ببت عليه بهمة الرشوة أو الاهمال لسئون الدولة أو الافقار الى الشرف فى معاملته للنساء . ويمكن خلع الملك أيضا اذا وقف موقف المشاكسة مع مستشاريه ، أو اذا أصيب بعاهة أو مرض يحولان دون ادائه واجباته وتصرف سئون الملك .

لكن عملية الخلع هذه لا تتم بسهولة ، اذ على الرغم من أنه قد يحاكم دون معرفته أو علمه . فان على مستشاريه أولا ، أن يأخذوا رأى هيئة أخرى وأن يحصلوا من هذه الهيئة على موافقتها . بأن هناك مهمة يصح توجيهها الى الملك . واذا لم يكن فى الامكان الحصول على هذه الموافقة . فان محكمة سرية تعقد حىب يدلى الشهود بساداتهم وحىث تفحص هذه الشهادات فحفا دقيقا ويقدم آنذاك تقرير رسمى الى رأس العشيرة الملكية ، وهو شخص آخر غير الملك طبعاً . وعلى الاثر يتولى هذا دعوة الشيوخ الاصفر مقاما ورؤساء العتائر ، ولا

ينحى الملك عن عرسه الا بقرار اجماعى منهم . وكان الملك يغرم أحيانا على الاساءات التى يرتكبها والتى تنحى عن عرسه بسببها . وهناك قول معروف أيضا ، بأن خدم الملك هم الذين يؤمنون للملك هيئته . وكانوا يشبهون اذن الملك بسلة مفتوحة ، عدد فتحاتها أكثر من ألف . وكانوا يقولون أيضا أنه يشبه شجرة « الدودوم » لا وجه لها ، ولا مؤخرة . وهذا يعنى ، استحالة التأمر على الملك سرا أو علانية .

وكان النيوخ الوزراء هم الذين يتولون الادارة السياسية فى دولة الاكان وكانوا ينتخبون ليمثلوا بعض المناصب ذات الاختصاص أو حتى بعض الوزارات . ووزع المناصب على مختلف النيوخ الذين يقدون مسئولين عن الخطانة والاحتفالات والدعابة وانعراش ، والقبور والموسيقى . وادارة العاصمة ، والفصر الملكى ، والحرس والقوات العسكرية .

ويطلب الى رئيس دائره الخطابة ، أن يكون مسئولاً عن المحافظة على سجلات الدولة وأوراقها . وكانت هناك أغان نمجد مافام به الاسلاف من مفاخر وأعمال عظيمة ، والمعارك التى كسبها ، والتعويب التى اخضعوها ، والخصال المميزة لهذه الشعوب . وكان هذا الرئيس يشرف على الموظفين المدربين تدريباً خاصاً على ضبط مثل هذه السجلات والاحتفاظ بها ، والذين يتمتعون بمواهب انشائية نطوى على الدوق الأدبى . وكانت هناك أناشيد مدرسة عديدة ، لبعث الروح المعنوية وتشديدها بحفظ وتسليم على مدى الأجيال من منسند الى منسند . وتناقلت هذه الأجيال قطعاً أدبية صرفة ، يقصد منها متعة الجماهير العقلية ، وكانت التعديلات والزخارف تدخل على هذه الروائع الأدبية لجعلها مطابقة لكل وقت من الاوقات فى موضوعها . وتضمن الانتاج الادبى : القصص والروايات القصيره واللوحات والرسوم والمسرحيات والقصائد والاشعار الفصصية . وتم عن هذا الطريق تطوير لغة أدبية لا تستعمل فى لغة الحديث واكمال النواقص فيها . وكانت الاحتفالات هى الفرص الى نعاد فيها بلاوة التاريخ والمذائح . وكان القسم الكبير من هذه التلاوات يصحب عاده بقرع الطبول ، بحضور الملك الحاكم . وكانوا عن هذا الطريق يعرضون على مسامعه ، الاعمال العظيمة التى حققها اسلافه فكان يجد نفسه طائراً معها الى ذرى رفيعة من البطولة والانتصارات . وقد حددت هذه الاناشيد أيضا الاوضاع التى يكون فيها الملك ، والمراسم التى يحاط بها ، فهى تجعل منه مركز الولاء للدولة ، كما تحطم أى حماس تورى عليها . وكانت مجموعة صغيرة من المنشدين تحصر نفسها فى تحديد مستمر ومتواصل

لمركز الملك الحاكم ومهامه . وتكرار الإشارة ... اليه عن طريق الاطراء  
واطلاق الفاظ المهابة عليه .

أما التاريخ الذى تسرده هذه القرارات فمزخرف وموسى الى حد  
بعيد وكان ينسكب بحذر وعنايه كل أساره الى الجذور المحلعه لقطاعات  
الشعب المعده حرصا على عدم بجزئها وضمانا لى تكون وحدة  
الشعب دائمه وكامله . وكانت عقوبة الخطأ أو السمييز فى هذا المجال ،  
الموت الفورى لمركبيه ، والجلاد يعف مسدبا من السلطات فوق رأس  
المؤرخ الرسمى . الذى يؤدى قراءته . فقد تمت امبراطورية الاشانتى  
بصورة خاصة عن طريق الفتوح . وعن طريق شىء من النمو بوساطة  
الاندماج . وقد بذلت الجهود كلها لطمس آثار هذه الحقيقة ، ولطمس  
الساربخ الصحيح وأصول الشعوب المحتلة التى وقعت فى نساك الاشانتى .  
وكانوا يجبئون بمؤرخى البلاطات الملكية السابقة عند هذه الشعوب الى  
بلاط الاشانتى فى كوماسى ، حيث يعملون باصرار واستمرار ، ناربحهم  
الرسمى الجديد . وكان الاشانتيون يشبهون أنفسهم بحيوان الدلدل  
أو النسيهم . الذى يحب السلام فى أحواله العادية اذا لم يستشر غضبه  
بشء من العناد ، والا فانه ينقلب الى حيوان أحمر ، تسيطر عليه نزوات  
من الغضب . وتتوحد كلمته مع بظائره من هذه الفصيله حول هدف  
واحد ، ومركز مشترك . وهكذا كان ملوك الاشانتى ، أكثر ملوك الأكان  
قوة ونالقا فى الساربخ .

وكان الاكياميهيون (Akyeamehene) كبر الناطقين بلسان الملك . اذ  
أن الملك قد لا يتحدث مباشرة الى شعبه . وكان رئيس حملة صولجان  
الملك ومساعدوه مسئولين عن حمل هذا الصولجان والتنقل به من ناحية  
الى أخرى . وجعله فى متناول الناس فى أى حين أما حفارو قبور الملك  
فمسؤولين عن الحفرة التى تعلق فوقها جثث الملوك الموى مدة ثمانين  
يوما بفصد تحفيها قبل نقلها نهائيا الى المدافن الملكية . ويرأس الحرس  
المكى أحد أبناء الملك أو أحفاده . وذلك باجراء أمن وقائى . وقد  
لا يؤدى قتل رأس الاسرة أو الخلاص منه الى التأثير على وراثته . وهم  
يشقون من أن هؤلاء الورثاء سيستجيبون الى تبدل الأوضاع فيكيفون  
أنفسهم وفقا لها . وكانت دولة الأكان منظمة ومستقرة كل الاستقرار ،  
فهى لا تعرف تقريبا الفتن والاضطرابات اذ أن الاجراءات السياسية .  
فيها حبية وودية ، وكان العصيان أمرا متروكا بحكم الطبيعة الى  
الشعوب التابعة الخاضعة ولا ريب فى أن مرد الكثير من الامن المدنى ،  
والرضا عن الأوضاع ، يقوم فى تفريق الأكان الفريد فى نوعه بين -  
الرتبة والعشيرة وبين السلطان . ولم يكن السلطان ظالما لاية طبقة من

الطبقات . وفى الامكان أن يكون السلم الطبقي فى العشيرة أو فى الرتبة مختلفا كل الاختلاف عن السلم الطبقي فى السلطان . وأخيرا أرى أن المجتمع الأكثانى فى حاجة الى الايصاح على صعيد ما فيه من مساواه روحية .

### النظام القضائى :

لم يقسم الأكابيون أعمال الادارة والقضاء على عدد كبير ومختلف من الافراد والهيئات . وكانت الهيئات بعضها من رأس الاسرة الى الملك فى مجلس مسساريه هى التى تتولى هذه الشؤون . وكانت انعكاسه أن الهيئات التى بنولى وضع القوابس هى أدرى الناس بأهميتها . وانها والحالة هذه خبر هئته بتولى الفصل والوساطة بين الهيئات المتنازعة . وكان فى الامكان الجمع بين السلطات على هذا النحو بالطبع ، عندما كانت مهام القضاء بسيطة ، وحالية من التعبد الذى لا لزوم له . وكان خطيب الملك هو الذى بنولى عمليا دور خبره القضائى أيضا .

ولم يكن الفرق كبيرا بين المخالفات المدنية والجنح الجنائية وكانت هناك طريقة بسيطة ، وهى أن يقسم المرء اليمين ضد خصمه ، ليحيل القضية من جنحة الى مخالفة مدنية . وكانت نتيجة هذا الاجراء أن العقوبات لا تفرض بالنسبة الى خطوره الجنحة المرتكبة ظاهريا ، بل بالنسبة الى الاصرار فى ملاحقة القضية ومتابعتها ولم يكن هناك سجون أو عقوبة بالحبس ، فالعقوبات لا تعدو الموت والغرامات .

وتعقد المحكمة جلساتها عندما يرغب المدعى ، المتهم على الظهور أمامها ، بعد أن يؤدى الاول اليمين ضد خصمه . وكان كل يمين يحمل مجموعة من العقوبات والغرامات تتناسب مع خطورته . فالووت مثلا هو عقوبة الشخص الذى يقسم خصمه اليمين على رأس الملك . أو الذى تتسبب تهمته الى كارثة قومية . أما الغرامات المفروضة فتقرر على ضوء خطورة اليمين المؤدى من ناحيه وعلى وقائع القضية التى ينظر فيها ، وما فيها من أدلة . وكان من حق القضاة الذين يرأسون المحاكم أن يختاروا أى الفريقين فى القضية يجب أن يؤدى رسم اليمين القانونى . وفى وسع الفريق الذى يعتقد أنه ظلم فى فرار أن يستأنف بأداء اليمين لقاض أكبر ، حتى يصل الى اداء اليمين الملكى . وفى وسع أى انسان عادى أن يؤدى اليمين ضد أى شيخ ، مرغما اياه على الظهور أمام المحكمة والتعرض للمحاكمة .

وكان من الواجب التعويض على حالات الموت التى تنتج عن حوادث عارضة . وكان من حق ورثة المتوفى أن يحددوا مبلغ التعويض وقدره الذى ينطق عليه طبقا لوضع المتوفى ومركزه فى المجتمع .

وكان يسمح للعائل المدان والمحكوم عليه بالموت . بأن ينفذ الحكم في نفسه اما عن طريق التفجير أو باطلاق الرصاص على نفسه . وكان يسمح لمثل هذا الشخص بفترة زمنية تنقضى بين صدور الحكم عليه بالاعدام ، وبين تنفيذ هذا الحكم .

وعقوبة السرقة هي الغرامة ، وتكون في حالات امكان اعادة المروقات الى اصحابها . وتتولى أسر السارق نفسه فرض العقوبة البدنية عليه وكانت هناك انحرافات رأسمالية معوجة في قوانين السرقة . فلو فرضنا تقديم فضية معفولة ، بأن سرقة قد وقعت ، وأن هذه السرقة قد عرضت الشخص المرووق منه الى خساره ربح كان بنوع الحصول عليه ، نحتّم أن يشمل التعويض دفع فسخه رأس المال الأصلي للسلع المرووقه ، والارباح التي كانت متوقعة أيضا . وكان هذا القانون يطبق في العادة بالنسبة الى الحيوانات التي تسرق في المزارع .

ونتم عفود الزواج بدفع مهر للعروس . كثيرا ما ينحفض الى العجينة الواحد الى اسره العروس المستقبل . ولم تكن موافقة العروسين سرطا لازما - اذ لما كانت الاسرة عند الاكانيين كبيرة ومندمجة ومكاملة . فان مصلحة أكبر من العروسين تتأثر بالزواج المقصود . ولم تكن المتسورة الى بدمها الاسرة في هذه الحالة ، ظالمة أو استبدادية ، بل كانت تركز على اعتبارات يعترف بها كل واحد من الناحية النظرية . ولم يكن في وسع الرجل أن ينزوح من بنات عشيره وكان الرابع في الزواج ، ينحصر عن أصول الفتاه التي يريد البناء بها وارتباطها العائلية ، ويستلزم ألا تكون لها قرابة بالقتلة أو المجانين . ولما كانت الاسرة تعتبر قيدا على حرية الفرد في عقد زواجه . فان الطريقة الصالحة لعرض الموضوع هي القول بأن الزواج كان بحول دون البطولات الشخصية . ولكن يجب أن يعترف من الناحية الأخرى ، وفي الوقت نفسه ، بأنه عندما تزال بعض الموانع العائلية فان مدى الممكنات الفردية تيسر ، وهذا يؤدي الى احساس متزايد من الحرية عند الفرد ، وهي حرية صالحة لتطور المجتمع التصنعي والى الطريقة المدنية في الحياة :

وكان اكتساف فقد الفتاه عذريتها قبل الزواج ، يعنبر سببا كافيا للطلاق وكان في مكنة الزوج في هذه الحالة أن يستعيد المهر الذي دفعه على اعتبار أن الزوجة تعاقبت على الزواج وفق بيانات كاذبة . أما اذا كان اتهام الزوج لزوجته بفقد عذريتها كاذبا ، فإن في وسع والده العروس ، أن يستدعي العريس الكاذب أمام مجلس قضائي ويقدم الأدلة على طهارة فتاته . وأن يطلب من الزوج المدعى دفع التعويض

على الاضرار التى لحقته . وفى قدرة الفناة اذا رغب ان نعلن الفاء الزواج فى هذه الحالة .

وكان الزنا يعتبر جنحة بالسسبة الى المرأة المنزوجة ليس الا وينعرض رقبها فى الجنحة الى الغرامه . ولقد ظهر شيخ شرير من قبيلة اكواموا ، تزوج جميع النساء فى القرى التى احتلها . ثم غاب عنهن نحو من عام ، ليعود بعدها فيجمع الغرامات الحتمة . وفى وسع الزانى أن يحتفظ برفيقتة الزانية كزوجة له ، سريطة أن يدفع تعويضا مناسباً يرضى عنه الزوج الذى أسىء اليه ، وأن يشمل هذا التعويض قيمة المهر ، والنفقات التى يحملها عن زوجته حتى موعد الحادث . ولم يكن يسمح للمرأة بانمام الزواج الجدد فى الحال ، وكثيرا ما أوقف الزواج الجديد عن الاكمال ، لان الترتيبات لم تكن الا وسيلة لنفطية عار المرأة الزانية ، واضفاء سكل رسمى على جريرتها . وبالبطبع كان الاكانيون يعتبرون جريمة الزنا أساسا كافيا للطلاق .

ولا يمكن اعتبار علاقة الزوج علاقة زنا الا اذا كانت هذه العلاقة مع امرأة متزوجة أخرى . ولا يمكن أن تعتبر علاقته من الزنا اذا كانت مع امرأة عانس لأن الزواج محدد من ناحية تعدد الزوجات .

وكانت القسوة فى المعاملة والاهمال سببين كافيين للانفصال الزوجى كما أن هجر الزوج لامراته مدة ثلاث سنوات ، يعطى للزوجة الحق فى الزواج ثانيا .

وعلى الرغم من اباحة تعدد الأزواج بموجب الاعراف القائمة ، الا أن الرجل لا يستطيع ممارسة هذا الحق دون موافقة زوجته . وهى موافقة لا تعتبر رسمية عرفيا الا عن طريق قبول الزوج ، لغرامة صلح يدفعها زوجها اليها ويقضى العرف بان نقبل الزوجة هذه الغرامة أو الرسم ، قبل أن يتمكن الزوج من الزواج ثانية ولكن فى استطاعة الرجل ، حتى بدون سماح زوجته ، أن يحتفظ بالمرأة الأخرى كخليفة له .

وكانت مبادئ القانون هذه هادفة الى فكر التنظيم الاجتماعى واقامة النظرية المتعلقة بالانسان . وكان الوسطاء يعتمدون عادة على حكمة الشعب الجماعية وكان فى وسع التطبيق الحاذق لمثل سائر ، أو حكمة مانورة ومقبولة فى حالات اقرار العدل أن يسوى القضية ويفصل فيها الا اذا ووجه هذا القول أو تلك الحكمة ، بقول مماثل ، أو حكمة مماثلة ، وفيما عدا ذلك تكون للامثال والاقوال المأثورة القوة التى تملكها السوابق .

وكان الطابع الطبقي على كل هذه الامور عرضيا أو اتفاقيا . وفى

وسع المرء أن يتذكر الفول المأنور الذي سبق لنا أن نقلناه . وهو أن  
الإنسان لا يستطيع أن يطبخ نباله الاصل لأكلها . وأن التروه هي الامر  
المهم . فالثرى بالنسبة الى الغرامات هو الذي يدفع مبالغ أكبر .  
ويكون ما بنقاضاه من تعويض أبضا ، أكبر مما يتقاضاه غيره . وبالنسبة  
الى حالات الزواج . فالرجل الذي يسروح امرأة بفضلها في المنزل والربة .  
كان تكون من اخوات الملك مثلا ، يجد نفسه سبه مرغم اذا ماتت زوجته  
قبله ، على أن ينتحر ليلحق بها .

### المنظيم العسكري :

كانت السئون العسكرية عند الأكانيين تدار عادة تحت اشراف  
قائد أعلى يكون دائما من المحاربين القدماء ، وهو المسئول عادة عن تسييم  
المتطوعين وفرص تأمبنهم على رؤساء المقاطعات وشيوخ العسائر . وهو  
المسئول عن الحفاظ على الجيش في حالة استعداد كامل . وعن تعيين  
الضباط ، وتنظيم القوات لكون دائما على أهبة لخوض المعركة . ويقوم  
الى جانب انقائد العام ، محارب آخر يطلق عليه اسم قائد الخطط  
العسكرية . وهو الذي يضع الخطط للحملات الحربية ويعمل مشيرا  
ناصحا لقادة الجيش في موضوع سبر الحرب ونسقتها . وكان تجميع  
القوات في الميدان وسوفها الى الحرب ، يختلفان ويتنوعان باختلاف  
المعارك ونوعها ، ولكن الانشائيتين الظافرين كانوا يعدون جنودهم  
للمعركة على شكل طائفة نرفيا . وكان هذا التريب يقوم على النحو  
اتسالي : هناك رتل طويل في الوسط يتقدمه انكشافون ويتبعهم على الفور  
حرس المقدمة . وتحشد وراء الحرس الامامي ، القوات الرئيسية ،  
ويأني بعد ذلك القائد العام بمحاربيه ومعاونيه ووراء هؤلاء كلهم تأتي  
وحدات النقل والوحدات الاضافية المساعدة . يجيء بعد ذلك دور  
قوات المؤخرة لحماية المؤخرة . ومواجهة أى طارئ من الناحية  
الاخرى . وكان هذا التسييل يمنل قلب الطائفة ، ولها مقدمات من  
ناحيتين كل منهما في اتجاه مضاد للانجاء الآخر ، أحدهما الى الامام  
والآخر الى الخلف . وكان الجناحان يؤلفان من عشرة أرتال . خمسة  
منها في كل جناح ابتداء من القوة الرئيسية . ومن مركز القائد العام .  
وكانت هذه الارتال الجناحية تؤلف من مجندين في المدن الرئيسية .  
وكان الملك يتخذ موقفه على مقربة من الرتل الاخير الواقع في الجناح  
الشمالى عندما يسر الى الميدان للحرب . ولم يكن الملك قط مسئولا  
عن الحملة حتى ولو اشترك فعليا فيها . وكانت كل وحدة من الوحدات  
مسئولة عن تموينها وعن أطباء الميدان .

وكانت هناك مجموعات من العدائين حاضرة للقيام بأعمال المواصلات.

وكانوا يؤلفون فئة من حاشية القائد العام . وكان الانضباط صارما  
كل الصرامة وعقوبة الجبن في معظم الحالات هي الموت .

وكان في وسع الاشائى ، وهم خيرة محاربى الآكان ، أن يدفعوا  
الى المعركة بنحو من مائه الف رجل في وقت واحد . وكان الجيش  
يؤلف منظرا جميلا برايا حيا وهو في ميدان الوغى . ولكل ربل من  
الارتال ، علمه الخاص به وعندما يرافق النسوح الجبوش ، كانوا  
يجلسون في محفائهم تحب مظلائهم الكبيرة ولم يكن هذه المظلات الا أساء  
سزحرفة منمفة تضم الواحدة منها عدة قطع ملونة من الحرير ، مع  
حيوط من الفضة والذهب . وفي رأسها خيوط مذهبة من القصب  
وكان النسوح يحملون في محفائهم أو في المقاعد التى نتبه عربات  
الفتون (١) . وكانت هذه المقاعد تصنع من الخشب الرقيق أو من  
السلال المضفورة من أماليد الاغصان . مرصعة بعدد كبير من المسامر  
النحاسية تغطيها النقوس والزخارف .

وكانت الاسلحة تتألف من البنادق ذات الزناد المسسمة ببندق  
الديك ومن « الفريينات » وكانوا يحملون عتادها في انطقة جلدية ،  
وتلحق بهذا العناد جيوب من الجلد أوالختب يصب فيها البارود صبا .  
أما الرصاصات فخرادق من الحديد . وكان الجنود يعلقون على أكتافهم  
أكياسا جلدية تضم خيوطا وقشرات من لحاء الاشجار ، ومسامير  
حديدية وحجارة ومحارات حجرية . وكان مسحوق البارود يذف في  
ماسورة البندقية دون أية ادوات كابسة أو ضاغطة . ويضعون مع  
البارود حفنة من المحار وقطعا من الحديد . وتطلق هذه القذائف بعد  
ذلك من مسافة قريبة .

ولو كانت أساليب الاشائى في اطلاق النار أفضل مما كانت عليه،  
لما أصبح ساحل الذهب مستعمره في يوم ما . فلقد هزم الاشائى  
البريطانيين أربع مرات على الأقل وأسروا عددا من فرقائهم العسكريين .  
ولقد بعث آتش . ام . ستانلى مراسل صحيفة النيويورك هيرالد في  
سبعينات القرن الماضى ، رسالة الى صحيفته من افريقيا . قال فيها  
ان فى وسع ألف جندى من جنود الاشائى أن يكتسمحوا ، شريطة أن  
ينولى قيادتهم ضابط بريطانى ، جميع المناطق الممتدة بين رأس الرجاء  
الصالح وبين تمبكتو ، دون عناء . وكذلك المنطقة الممتدة بين ماندبنحو  
وبشبين . اذا شاءوا احتلالها . (٢)

(١) طراز من العربات بطل استعماله الآن . — العرب —

(٢) تمبكتو في مالى في حبوب الصحراء الكبرى ورأس الرجاء في أقصى الطرف  
الجنوبى من القارة . أما مانديجو فتقع على الساحل العربى في السنغال ، بينما تقع



وإذا ما خرج الجيش الى الميدان . لم يعد في استطاعته أن يعود ان العاصمة الا بعهد الحصول على اذن بذلك من الملك في مجلس مستشاريه . وكانت العابة من هذا النظام ، في منتهى الزكاه وحسن التبصر . فلا يمكن لجماعات كبره من الجنود الذين يفودهم ضباطهم ان يدخلوا الى مدينه رئيسيه فيها سلطاتها المدييه دون أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لما يمكن أن ينجم عن دخولهم وكان العائد اذا ما عاد من حملته ظافرا منتصرا ، بطلب السماح له عاده بدخول المدينه . أما اذا كانت مهمته غير طامره ، فان الاذن لا يمنح له دائما على الفور ويحتفل عاده بالانصارات احتفالات علنيه ستغرق يومين أو ثلاثه أيام ، كما يخصص يوم آخر للحداد العام على خسائر الحرب من القتلى والجرحى . وتدخل وحدات الجيش بعد أربعين يوما من صدور الاذن لها الى العاصمة في شكل عرض عسكري ، ونطلق كل فرفة عند مرورها بالملك الذي يعرضها طلعه واحده بحيه له .

وكانت اللحظات التي يظهر فيها الملك علنا . من الاوقات التي يبدو فيها الجلال على اكمله ، والأبهة في أعظم حالانها . وكان الطبول المتكلمه هي التي تعلن دائما ظهور الملك الى الناس ، والطبول المتكلمه ظاهرة غريبة من ظواهر افريقيا ، فهي ليست وسيلة من وسائل الانساره فحسب ، بل وطريقة أيضا من طرق الكلام ، فهي تحاول الخروج بصوت ، وهي تحاول التعبير بالالفاظ لا بالاصوات . ولقد قيل ان أبناء احتلال الخرطوم (١) وصلت في اليوم نفسه الى الافارقة في سيراليون عن طريق الطبول . والمفروض انها انتقلت عن طريق تناقل الطبول المتكلمه أبناء سقوطها .

وكانت هذه الطبول تروى قصص السلالات الملكية ، وقصص السطولات الشعبية كما تضمنتها الأمثال السائرة ، والمدائح وروايات الاطراء ، كما كانت تبعت بالرسائل الى المواد التي تصنع الطبول منها كالاشجار وأذان الفيلة التي تصنع منها الطبلات ، وأخشاب الاوتاد والنباتات المتسلقة التي تستعمل في ربط الجلد . فالطبول في رسائلها هذه تعتذر الى هذه المواد . وهي تتقدم أيضا بالابتهالات الى اله التظليل ولعل هذه هي أول ما تناقلته الطبول من رسائل . وهناك أيضا صلوات

نبيين الى غرب السودان . ويفصد المراسل الامريكي بقوله المناطق المسيحية الممتدة من الشمال الى الجنوب . ومن الغرب الى الشرق ، وأعنف انه كان مغاليا في قوله هذا كل المعالة لوجود قتائل افريقيه قويه الشكيمة أيضا غير الاشانتى .

— العرب —

(١) اشارة الى احلال كشر للخرطوم في عام ١٨٩٨ بعد انهاء ثورة المهدي .

— العرب —

وابتهالات ننفلها الطبول الى « أونباى كوبون » ، كما تنقل رسائل الانذار والتهديد الى الاعداء والاغراب .

وكان استقبال الملك للسفراء فى الحفلات الرسمية للدولة . وكان الألوف من الناس ، ومعظمهم من المحاربين يفايلون خارج العاصمة ، ويحفون بهم ثم يقودونهم على انغام الموسيقى النحاسية والوترية والصونية التى تعزفها الطبول والصاجات والأبواق والجونج جونج . وكانت طلقات الرصاص التى ناصح هذه الموسيقى تؤمن الايقاع اللازم لها ، بشكل منظم وضخم . ولم تكن بمة حاجة الى رقصات « الضفدع » أو غيرها من الرقصات الاخرى . وكان الغصد من كل هذا الضجيج ، التأبر على السفراء وحملهم على احترام الاشانى .

وكان فادة الحرب يردون فبعات تثبىق منها الى الامام صرون الوعول الموشاة بالذهب . وننسر منها الى الجانبين رياش النسور التى تتدلى على الكتفين بينما تثبى القبعات تحت اللقون بربطات من الصدف المسمى بالكورى . وكانوا يردون صديربات من القماش ، المزدانة بالحجب والرفى فى بيونها المصنوعة من الذهب والفضة . كما تربط الى الصديربات حقائب جلدية موشاة وملونة . وكانوا يحملون سياطا مصنوعة من اذنان الحيوانات ، كما يحملون المدى أيضا . ويردون سراويل فطنبة فضفاضة ، ترنفع عند خصورهم الى الصدور . وتثبت فى أعاليها ، الى الأنطقة بخيوط جلدية أو سلاسل . وكانوا يحملون البنادق ، أو الاقواس والأسهم المسمومة . ويحملون كذلك فى أبدبهم اليسرى رماحا صغيرة يقدفون بها وقد غطيت رعوها بقطع من القماش الاحمر اللون . وزخرفت بتراريب من الحرير ولا ريب فى أن زى القائد الاشانى العسكرى ، كان يكلف كثيرا .

ويسير السفراء ببطة يحف بهم مستقبلوهم ، عبر شوارع العاصمة . وهناك سارع رئيسى متفرع منه عدة شوارع جانبية . وعلى جوانب هذه الشوارع تقوم بيوت كوماسى . والبيوت مربعة الشكل غالبا ، وفى مقدمتها « دكان » مكشوفة تشبه المسارح الصغيرة . وهى على الغالب ذات طبقة واحدة . وبنى عادة من الصلصال الجاف والخشب ، فى واجهاتها الامامية وفى داخل الباحت . وكان تركيبها فى العادة من النوع المنحرف الزوايا . وكانت البيوت البسيطة تبنى عادة على شكل حرف الراء اليونانية . وكثيرا ما تكون هذه البيوت متتابعة على مختلف المستويات ، ومختلف الزوايا التى تتقاطع مع عرض البيت الذى تجتمع عنده الطبقات . وتجتمع ذبول هذه البيوت لتؤلف شكل الصليب المعقوف ، بينما يفوم التركيب كله فى اطار على شكل التصميم

ذى النويجات الاربعه ، ويسير هذا الصميم كله من قاعدة المرل الى ارتفاع يبلغ اربعة اقدم . وكانت الابواب مستقيمة كما كانت الاقواس فى العادة محمولة كنواهد الطبقه العلوية .

وتحيط الغرف بنفساء أو باحة داخلية . وهى فى الوقت نفسه الردهة والمطبخ والساحة التى يلعب فيها الصغار . وبوحى هذا الوصف بالحجم الكبير الذى كانت عليه بيوت الآكان التقليدية القديمة . انها أقرب ما تكون الى الصروح المرتفعة النموذجية .

وتصنع سفوف هذه البيوت من الآجر . أو من الصلصال أو من الحشائش ، أما الحمامات ، وتكون عادة فى الطبقات العليا ، فتجهز بأنابيب لتصريف المياه وفى وسع المرء أن يرى بعض هذه البيوت حتى يومنا هذا . وقد بنيت من الطوب أو من الآجر المستوى بالنار أو غير المستوى . وتكون العوارض والدعائم من الخشب . وتغطى السقوف الداخلية والجدران بالجص .

وتصنع أدوات الطهى من الفدور المخارية التى توضع على مواقد تتألف من ثلاثة قوالب محروطة من الصلصال مفصولة عن بعضها بخطوط منساوية الزوايا . وتتألف الوقود من العبدان الجافة . وتستعمل احبانا مناقل ملأى بالفحم . وتتألف هذه المناقل فى العاده من سطح علوى مدور يملأ بالفحم الخشبى يقوم فوق شبك من الحديد، تحته سطح آخر مقلق من جميع الجهات ، له منفذ واحد لدخول الهواء . وتصنع الملاقي من الخشب ، أما الطعام فيوضع للأكل فى صحاف من الزخرف المستوى - وكثيرا ما استعملت الاصابع فى تناول الطعام . وبوضع الصحاف عادة على الارض أو على حصر ، بينما يجلس المرء على مقاعد صغيرة خفيفة .

وهذه المقاعد هى الطراز الرئيسى للأثاث . وكانت تجمع فى صناعنها بين الشكل الفنى الآتيق ، وبين الفائدة العملية . وتتألف من متكء مقعر علوى بسند المقعد ، ونحته قاعدة من الخشب . ويتمثل فن الصناعة على الغالب فى الاجزاء المداخلة بين المقعد والقاعدة . وتكون هذه الاجزاء عادة منحوتة بشكل رائع . وكانت الفروق بين الاشكال المختلفة من هذه المقاعد تشمل فى احجامها وفما تتميز به هذه المتسبكات من عمل فنى .

وكانت الزخارف الداخلية فى البيت تتألف فى الغالب من الحاحات النحاسية والفماش الفاخر . وكان الآكانيون يرندون أقمسة مصنوعة من لحاء الاشجار . وهم يرندون قماش « كنبتي » الرائع كما كان اليونانيون يرندون أوتحتهم . وهم يقدفون بأطرافها على أكتافهم

اليسرى ونمر حجب مرافقهم اليمنى لتعود نايه الى الاكتاف اليسرى .  
وكانت هناك طريقة أخرى بديله في ارتداء هذا الرى . وهو أن يستمروا  
فى لفه حول أعناقهم ليعود نايه الى الكتف الايمن . أما الأعسرون منهم ،  
أى الذبن يستخدمون أيديهم اليسرى ، فيعكسون الصورة تماما -  
وتغلب الأيدى اليمنى الى أيد سرى . وهم يصبغون هذا النوع من  
القماس بصباغات نباتية . وكانوا يثأثرون بما يعرض عليهم من أزياء .  
ويحاك فماس السكتيتى من خطوط طويله وهو اما أن يكون من القطن  
أو القطن الممزوج بالحرير أو الحرير الصافى . وكانوا يحملون الخطوط  
بأبهى الالوان والخيوط .  
وتستعمل المصاييح العازية فى اضاءة البيوت . ولم يكن هناك  
اى نظام عام للاضاءة .

وكان الملك والسيوح هم أكثر الشخصيات تألفا ورونقا . وكان  
محفائهم نظم ستائر وأرائك ووسائد مصنوعة من قماش ( التعتة )  
الفرمزي . ونحاط عاده بحجب وأستار مينة . وبزخرف فواعد  
المظلات وتوشى بالذهب فى صور حيوانات أو فباب مجردة . ويحمل  
الموظفون سوبا من الذهب وصولجانات ذهبية أيضا ويضع الملك  
والسيوخ عصابت على جباههم واصداغهم ، وترصع هذه العصابات  
بحشيات من الذهب . وهم يضعون أيضا حول أعناقهم قلادات من  
الذهب تضم عدة سلاسل بقلبة متعنة الصنع والزخرف - تتدلى منها  
التقاوى والحجب فى أكياس صفيره متلئة مرخفة من الذهب والفضة .  
ويرتدون أحبانا قلادات من خرز العفوق ، تتدلى الى صدورهم  
ووسطهم . ويلفون ركبهم ورسمو غ اقدمهم بأساور من الذهب  
والخرز . وهم يرتدون صنادل من الجلد الاخضر والاحمر والابيض  
برباط على شكل حرف « الفاء » - ويمتد من أصبع القدم فوق الراحة  
الى الجانبين ويضع الملك على صدره قرصا من الذهب فى صحاف  
متعددة . وكانت أصابع يديه نردانان بخواتم ذهبية ثقيلة وكان يضع  
فى أصابعه أيضا زوجا من الصناجات الذهبية التى بشير بواسطتهما  
طالبا الصمب - وكانت تحيط به قطع موسيقية عدة مفلقة فى أوراق  
شفافة مصنوعة من الذهب .

وكان الملك دائما رجلا ذا شخصية قوية ، وهو كثير التكبر  
والعجرفة ولكن مع تهذيب وسلوك مصقولين . وكان حديث كبير القوم  
دائما معجزة من معجزات التربية وحسن السلوك . وعندما يسمح  
للرجل بمقابلة الملك ، يصبح عاجزا عن الاستئذان بانتهاء المقابلة  
والانسحاب ، ويصبح لزاما عليه أن ينتظر انتهاء المقابلة .  
وترتدى نساء الأكاب فى الغالب بعض المجوهرات .

## الأدب :

لا ريب في أن قصيه الادب الاكائي التقليدى ، قصية مزدوجة .  
فهناك أولا - مشكلة ما يجب اعتبارها من العناصر التى تؤلف الادب .  
فهذه قضية تناقش الآن ، بالنسبة الى الثقافات الافريقية القديمة .  
أما المسألة الثانية ، فمشتقة من الأولى ، وهى تناول المحتوى الأدبى  
الممكن للثقافة على ضوء المفاهيم المقبولة والمقررة .

ومن الواجب أن يقال أولا وعلى الفور ، أن هناك نوعين من التعريف  
أو السرد يمكن أن يكونا مناسبين هنا كل المناسبة . وقد يقال عن  
تعريف أو سرد بأنهما من الطراز الوصفى ، وأنهما يحددان شروطا  
مسبقة وحدودا لطبيعته الادب نفسه . ويحل محل هذا السرد المسئلة  
حلا فذا ، إذا وضع فى سلسلة متعاقبة من الالفاظ ، سواء أسكلت هذه  
الالفاظ ، أدبا أم لم يسكله . وهذا الطراز فى السرد - هو الذى يلفاء المرء  
عادة فى المعاجم ، وفى كتب النقد التى بقلب عليها طابع الحماس . وهو  
نفسه الذى يستلزم عادة حقوف الوصع العادية ، كما يستلزم الايضاح  
فى الكتابة ، والاحترام والتقدير لجمال السكل والاسلوب ، والتأثير  
العاطفى . ومن المفروض أن بنجم هذا التأثير عن التعاون الوثيق بين  
المادة والاسلوب ، ولا ريب فى أن جميع هذه الاشتراطات ، شروط  
تؤثر بانبرا مباشرا على سكل الاسلوب والمظهر الذى يظهر فيه القطعة  
الادبية . والمعتقد أن هذا الاشتراط الأخير هو الذى أدى الى ظهور  
ذلك الطراز من السرد الاستسفافى ، الذى اصفاه بعض النقاد الكبار  
كبلنسكى الناقد الروسى المعروف فى القرن التاسع ، على النقد الادبى .  
والذى اعتبروا فيه هذا النقد ، ظاهرة متحركة من مظاهر الجمالية .  
وبمثل الانتاح الأدبى القوى الدافعة المختلفة ، وبينها الدافع الخلاق .  
المجرد وفد أنتج آثارا متنوعة لها جذورها فى العواطف المختلفة . ولقد  
تأثرت الشخصيات والاضاع ، وطرائق معالجتها ، بمجموعة ضخمة  
من الدوافع بعضها بسحق التندبر وبعضها لا يستحقه . ولقد تحولت .  
الرغبة فى النار كما فى « دون كينسوت » (١) . الى الرغبة فى التهذيب  
كما فى « الحرب والسلام » (٢) ولم يعد من الضرورى مطلقا أن يحمل المؤلف  
فى يده ، جاروسا - بطحن به هذه الشخصيات أو تلك الاوضاع . لكن  
وجود الحركة الدافعة فى وضع أى مؤلف أدبى ، بضبط ضبطا محكما

(١) دون كيشوت الفصل الرائعة التى وضعها الاديب الاسبانى الأشهر سيرفانتيس  
والتى سخر فيها سخرية مرة من قصص الفروسية .

(٢) الحرب والسلام - القصة الحالدة التى وضعها اديب روسيا العظيم الكونت  
تولستوى فى عام ١٨٧٧ .

التأثيرات العاطفية والجمالية التي ينتظر أن يخلقها . وذلك لأن المؤلف نفسه يضبط أسلوبها وصورها .

ويمكن تصنيف الادب من ناحية تأثيراته في مجموعتين : مجموعة الادب العملى - ومجموعة الادب المجرد . فالمقصود في الادب العملى الذى يشمل كافة الانتاج الاستفرائى والتثقيفى والنقدى ، أن يؤبر على السلوك الانسانى ، ولا ريب في أن الشعر الهجائى ، وقصص تبكيت الضمير من أمثال قصص ديكنز (Charles Dickens) (١) أو حتى من أمثال القصص الأكثر حداثة والنثى شتساول عيوب المجتمع ومساويه . هى نماذج رائعة من الادب العملى . أما الادب المجرد ، فلا يقصد من الناحية الاخرى مطلقا الى التأثير على السلوك الانسانى . ويعتمد الادب العملى في تحقيق أهدافه ، اعتمادا كليا على علم المعانى . ولعل الاطلاع على الادب المجرد وحده في الماضى ، هو الذى دعا رجلا متسل نيوتن Newton (٢) الى القول بنسء من الصلاية . بأن الشعر « سسخافة بارعة » . ومن الواضح كل الوضوح بأن هذا السمنع بمسعة الادب عند الرجل ما كان لكمل حتى ولو كان يجد بعض اللذة في السسخافات . والتفاهات .

ولعل الاصرار على القيمة الفردية في التأليف ، هو اصلح أنواع الادب للفصة . ومن الممكن تأمين الجهد التعاونى هنا شريطة أن يكون هذا الجهد متزامنا ان أمكن . كما حدث بالنسبة الى الارتباط الذى قام بين ديكنز وبين ويلكى كولنسر (Wilkie Collins) (٣) لكن التعقيد الذى تنطوى عليه سبر فحوى القصة المتكاملة ، حتى ولو كانت قصة تعرض شطرا من حبة ، تتطلب تنفيذا فرديا . أما الفصة التى تنساب انسبابا واعيا فيمكن أن تبنى أو تعدل ، على أيدي فريق من الأدباء . ولكن حتى

(١) شارلز ديكر الفصصى الانكليزى المشهور . ولد في بورسماون . ففى شبابه في ظروف غريبة . من أشهر قصصه « ديميد كوبرفيلد » التى تحدث فيها عن حياته و « صور » و « أوراق » بكويك و « قصة المدينتين » وكثيرات غيرها .

(٢) السير اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) عالم انكليزى ورياضي معروف . ولد في لينكولن شاير من أب يعمل في الزراعة . هو صاحب نظرية الجاذبية المعروفة باسمه التى بولدت من قصة سقوط الفاحة ، وهى القصة المشهورة .

(٣) وليام ويلكى كولنسر (١٨٢٤ - ١٨٨٩) قصصى انكليزى - قصي حياته في إيطاليا مع والديه . وهذه المرة أوحى اليه بقصة أنطوانيت التى صدرت عام ١٨٥٠ - بدأ حياته يعمل في تجارة الشاي ثم درس القانون . كان صديقا لديكنز - من أشهر قصصه « الامامى المتحدة ، لعبة العمايه ، السر الدفنى ، بعد العروب ، المجلديه الجديدة - وعشرات غيرها » .

هذا الطراز من القصص يكون أفضل وأروع ، اذا كان مؤلفها واحدا . ومن الواضح انه بالنسبة الى بعض المجموعات العرديه من الشعر كالفصص الشعرية مثلا ، نستطيع الأجيال المعاصرة تغيير الأخذات ، دون المساس بترتيبها للحفاظ على وحدة القصة وروحها . وعلى محلية احداها ، ونخضع بعض الطراز الادبي بسهولة أكبر الى الانتاج اللامستقر والمعقد من الطرز الاخرى .

ولهذا السبب وحده - يكون تعريف الادب الذي يصعب توكيدا ماليا على الانتاج الفردي ، تعريفا ضيقا ومحدودا الى درجه كبيره . وحتى لو لم نربط بين هذا التعريف وبين الادب المنقول بالتواتر منذ القدم . ففى وسعنا ان نناقش وان نقول ، بأن هذا التعريف الوصفى ، يضع الادب فعلا فى رايه ضيقه ، ولا يستطيع ان يفهم مطلقا هذه الناحية المدهشة فى تكرار الانتاج الادبي . والتي تشبه تماما ، منظر الطبيعة بعد انحسار الأمطار . ولا يفهم أيضا ما للتحليل من قيمة كبرى فى الصورة المركبه ، عن طريق تأميين محورها ومنطورتها بالنسبة الى المشاكل والعضايا لا سيما وانها - أى الصورة - قد تعرض بعرضها كليا للاضطراب والتشويش من جراء اتساع أساليب حديده فى الاسلوب والسكل . أو حتى فى مادة الأدب نفسها . ولاريب فى أنها ستغدو عاجزة عن مجاراة خصائص الحركات الادبية ، ومفطرة الى كل مقومات انتاج ما يرمز الى العبقريه .

ولفهم الاسهام المتزايد من عدد متتابع من الافراد فى نفس القطعة الادبيه الواحدة فى الروايات الاكثانية المتواترة عن طريق النقل الشفوي ، يجب على المرء ان يتذكر دائما ما يتركه هذا التواتر فى ذلك المجتمع من اثر ملحوظ وعندما يمر المرء بمثل هذه المواد يستطیع ان يرى عملية الاصلاح والنحسين فى الادب المكتوب . وهى عملية نتج عنها فى سكل مؤلف بدين بعناصره الطيبة أو مزاجه السئ الى طلاب البحث العلمى . ولا ريب فى ان مبدأ « صعوبة النقل الحرفى » يؤدى حتما الى ظهور طبقات غير صحيحة .

وتضمنت الروايات المنقولة عند الاكانيين قطعاً أدبية نسلت مواضع مختلفة . وكان معظمها يتعلق بالحروب والهجرات ، والانسبال والسلالات الملكية وكذلك الروايات العشرية . وكانت الفوائد التى تجنى من مثل هذه المواد مقدسة وقومية وفانوية . وعندما تكون الفوائد المتوخاة منها مقدسة . فانها تعالج أصل المجموعة البشرية ، وتتحرى الاسلاف البارزين والمبجلين . والعصد من الافاده منها هنا . هو تجديد وحدة المجموعة وبضامنها . ويكون اسلوب غرض المادة فيها حماسيا

الى حد كبير ، وكثيرا ما يرجع فيها الى العاظم الاطراء والتبجيل المعجمة  
اما عندما يكون القصد من استعمالها قوميا ، فان الذكر يعود الى أسماء  
اولئك الاسلاف المبجلين خاصة بالنسبة الى فضائلهم . والتي تتضمن  
جدود تلك الجماعة . مع عرض فضائلهم على الناس ، لتوجيه سلوكهم .  
وتوجيه تقديرهم للاوضاع . ومن الطبيعي أن يعرض اسماء كبرائهم  
بصورة مسرعة على الاطفال ، بعيدا عن الاسلوب السكلي في النسبة  
املا بأن تتجدد فضائلهم العظيمة في هؤلاء الاطفال بالاضافة الى ما كان  
يظن من تأثيرات هامة ، لاسماء الاطفال المأخوذة من أيام ولادتهم الاسوعية  
في حياتهم الشخصية . أما عندما تستخدم هذه الروايات الشفوية  
المقولة ، في مجالها القانوني فانها تكون على شكل مواد تاريخية ، لحل  
المشاكل والمنازعات المتعلقة بالحقوق والمصالح المبرره . وكان من المفروض  
في رءوس الاسر المختلفة أن يكونوا واسعي الاطلاع على تواريخ أسرهم .

ولم اطرق حتى هذه اللحظة الى ذكر سئ عما يمكن أن يسمى  
بالادب الواصح ، على الرغم من أن العرض الذي أدرجته لطراز المواد  
المذكورة آنفا ، ينطابق الى حد ما مع المبتكرات الادبية . وكان في وسع  
الرواة والفصاحين أن يعيدوا من الافكار الآفة الذكر . في المعامرات  
العسكرية والمدنية على سواء . وحرصا على الا يصيح جردوى  
التأثير ، فقد استخدمت خصائص اللغة وبينها التهويل والتداعي والايحاء ،  
وكذلك الصور الاسلوبية الجديدة استخدما ضحما . ولقد ذكر دوبرو  
ان الاشانيين الفوا اغنية في عام ١٨٠٧ ، ينوا فيها كعمل مجيد من  
أعجابه ، كيف أرغم نهر من أنهر الدم ، الى الاسياب من مباسا  
العاصمة المبكى عليها لمملكة آسين الى «براه» . وكان يحاط مثل هذا  
الطراز من التفاضل عاده بعدد ضخم من صور البطولة . ومن روائع  
الكلم . وكان من حق أى قاص أو معيد ، أن يبدل الصور التي تسلم  
اليه في أى عمل انشائي ، وان يحط روايته بتفاصيل وافية دخيلة .  
وان ضمن هذه الفواصل الكثير من الاشارات النموذجية والمحللة .  
وكان القاص يعرض براعته في التأثير الشفوي ، بالطريقة التي بزخرف  
فيها مادة القصة التي بقصها وهكذا فان السرد الذي يعرضه على ملا  
من الناس ومسمع متأثر دائما بالحلق الادبي ، حتى ولو لم يكن خلفا  
أديبا خالصا . وكانت الأفكار والأحاسيس تلهب حماسة أثناء أى عرض  
عام للقصة المروية ، وبهذه الوسيلة كانوا يضمنون الاسهام العاطفي في  
كل ما يبريدونه ، ولا سيما بعد استخدام الألحان الموسيقية التي تصحب  
مرض القصة . وازغمت الحاجة الى ادخال المساعدات الموسيقية على  
حوادث القصة دون اخفات صوت العرض الكلامي ، القصاصيين على  
البحث عن الرنين الموسيقي في العبارات التي يستخدمونها . ومن هذا



يظهر أن الاستغلال كان كاملا للصوره والعيم المعنوية لتحقيق التأثيرات الجمالية. وعندما نجحت هذه المحاولات أصبحت رنة الكلمة ومشتقاتها، وقواها الاستفزازية عيه الى حد كبير بما يرافعها من مصاحبات موسفيه . وقد أضفت العملية كلها على الادب التقليدى المنعول صورته من المسرحية الجماعية . لكن هذه الناحية كانت مصطنعه ليس الا . ولم يكن المهم هو معرفه الجمهور المسبقة بما سيحدث - وما ينجم عن ذلك من امتعاض . بل المهم هو ما كان يتميز به العاص الفرد من فضيلة ومن نزاهة فيه . وعلى الرغم من أن الموضوعات المطروقة وهى حالة المجمع وموقف السيج فيه ، وعلاقة الفرد والأسرة بالمجتمع ، وعلاقة عالم الانسان بعالم الروح ، والعواطف والمواقف الجماعية من الفضائل والاصول والانتصارات العسكرية والمدنية ، يمكن أن نحدث في محتلف المجالات من لاهوتية واجتماعية ، فان طريقه معالحتها عن طريق كبار الفنانين قد أحال جزءا من السائح عند الأكاسين الى أدب .

وبرى المرء لراما أن يعترف بأن الادب ينفل تنفوا . وأراشكاله سائر تأترا كبيرا مما يدخل عصر الاسسحالة على « التسحيص » المصصيلي والمنعول وبؤدى الى انهيار الواقعية بعد تحولها الى اسطورية . ويضعف هيكल القصة ، وتركز وفائعها في حركات بارعة ، يكثر في فصص المكر والخداع . ويدور معظم أحداث هذه الفصص حول حبوات معبنة ، مع أن فصص هذا الخداع سواء أكانت انسانية أم نصف مقدسة ، كات بصم ابضا فصص اللصوص والافاين المكتظه بها . ولعد انتسرت قصة عن الارنب في افرنقا الترقية ونجيريا . وأخرى عن السلحفاه في نيجيريا ما لتت أن انتفلت الى كوا ، وقصة اناسى العنكبوت في غانا ، وليبيريا وسيرالون وقد انتفلت الى جمايكا وغانا الهولنده . ولا رب في أن هذه القصة تنسبه قصة « العمة فانسى » في كارولينا الجنوبيه . أما بالنسبة الى فصص المكر الانسانى ، ونصف الالهى ، فهناك قصة هانكا نبانا عند الزولو وقصة (بو) عند الداوميين و« اسو » وارومبلا عند البوروبيا ، والامامى عند الاكا . وحتى لو نابر هيكل القصة فان الحوار فيها على أى حال قد لا تنأبر . وهذا هو المجال الذى تنأثر فيه العناصر الادبية التقليدية لفصص العيساريين والمحتالين ، وتعرض الى أعظم تسدل . وقد بدل رواه الفصص غير الموهوبين غانة جهودهم لنذكر الحوار ، أما الموهوبون فكابوا يذكرون جواهرها . وكابوا كالعناكب ينسجون حوارانهم مما لديهم من حصوة ذاتبة فى الفن الفصصى . أما تصور الأوصاع فيكون ناجبة أخرى من بواحي الأدب اللفظى الذى عاى بصورة واضحة من الاريجاج والسراوح ، وبسل طول القصص الى الاختلاف مع طاقه رواتها .

وهكذا أدب حقيقته يعرض الأدب عبر المكتوب والمنقول . للتجديد والمبادل وهو يعرض بسير دائما نحو الأفضل ، الى نمو لغات الاكاسس كلفات أدبيه وما زالت هذه اللغات حتى يوما هذا ذات طابع ادبي . وليس دمة من سبب يدعو الى هذا . وكان الجنس السرى بنطور من الفهم الفسبى « المتبايرى» للعالم الى الفهم الطبيعى . ولا ريب فى أن هذا هو الاتجاه الطبيعى السارىخى ولس العكس . كما قال تايلور (Tylor) (١) فى أفكاره وآرائه عن أصول فكره الروح والغببيات ، اد نفوم مختلف الادلة على صحته وصدقه ولا ريب فى صحة ما يقال عن طالبس من أن يوربه قد تملت فى اصراره أمام اعرى العهد الذى سبى أرسطو ، بأن شرح الطبيعة وايصاحها ، لا سطلان أكر من رؤسها . وأن لمس دمة حاجة مطلقا للعودة الى ما وراء الطبيعة .

ووصح المزايا الادسة « للغة » مدى حربه خالصى الادب . اد أن الحاجة الى التناسق والوحده يكون فى أقوى اللغات الطبيعية غير المطوره . ولعل الطريفة التى سبع فى عرض المعلومات العلبه هى حير مثل على ذلك . والادب هو نتاج ما فى اللغة من براء ومن خبال رشيق . وقد يكون العكس صحيحا أيضا الى الحد الذى سسخدم فيه الأدب كمظهر للغة . ولم يكن الارتباطات العائلية يعبق القصاص الاكانى عن المصى فى عمله . ولم تقم أسرنه على وجه المأكسد بانه محاولة ، لمساعدته فى وضع قصة او حتى فى وضع العناوين لها . ولا ريب فى أن ما عرف عند جمس الاوربيين فى مختلف عهودهم . بكبير المتسدين ، هو الذى بشبه تمام الشبه ، الوضع عند الاكان ، أو بقرب منه على الاقل .

ويمكن تصنيف النراج الادبى الاكانى فى اربع مجموعات اقترحها جى آر نيكيسا . فهناك أولا مجموعة الادب غير المكتوب تماما . وهو الذى ألف الاكانيون روايته فقط دون أنشاده . وكانت تنلى القطعة المتعلقة بالرباسات والمسيخات القبلية فى الحفلات الرسمية ، وكان حاسدا دائما بالانسارات الى الامجاد العسكرية والى الانتصارات الرائعة التى حققها الشيوخ المعنوس . وكان تتضمن أيضا انسارات الى ما عندهم من عبقريات فى الشئون المدنية ، وطاقت هائلة ، وشركر على الاسخااص أكثر من تركها على الافكار ، ولا نمس الاخرة الا عند معالجه العلاقات المتشابهة بين الناس . أما المجموعة النانة فتضم

(١) السير ادوارد تايلور ( ١٨٣٢ - ١٩١٧ ) عالم انكليرى فى أصول الاساس . ولد فى لندن واربجل الى امريكا فى عام ١٨٥٥ وزادة الكسيك حيث أصبح شديد الاهتمام بموسوعه وأحد يدور ملاحظاته . أصدر عدة كب أهمها « العافه الدائيه » « التاريخ المكر لاسول الاساس » و « أصول الاساس » .

القطع التى يجمع بين التلاوة وبين الانتقاد . ويضم هذه المجموعة المراسى . وأعانى الصادق فى احتفالهم . ويمكن القول بأن الأسارات والإيماءات فيها ، تلتف حول بصغة موضوعات ، معظمها سلعى بالحدود والأسلاف . وبعض الأسحاص المعيس وطوالع الأسره وحطوطها . ونصم المجموعة السالنة السعر الغنائى الذى يستخدم فيه الأغنية طريقا للسعر . والفسم الأكبر من سعر الأكابين من السعر العائى . ويضم هذه المجموعة مواعظ العبادة . وأناشيد الاحتمالات المختلفة والتلاوات الشعرية الفردية . وإذا ما استبيننا الأمثال السائرة والحكم ، والأقوال المأثورة ، فإن هذا السعر كان السبيل الوحيد الآخر المستخدم فى التعبير الأسلوبى الموزون . وفى الأهداف التعلمية الأخرى . أما المجموعة الرابعة والأخيرة فتضم الرسائل التى يعب بها عن طريق الطبول والأبواق ، وهى رسائل أدبية فى طبقاتها الموسيقية ، وطريقة لفظها ، ودقة تعبيرها .

ولم يكن هناك بين القطع الأدبية التى تضمها هذه المجموعات الأربع ما يبرر حصر علماء الأجناس البتيرية اهتمامهم بالامثال ، وجعلها النماذج الوحيدة للأدب الإفريقى . فلقد كانت الامثال حفا ، أقوالا حكيمة ، تتمتع بالديوع والانتشار التقليديين ، ولكنها كانت فى الوقت نفسه صلبة ومفتقرة الى المرونة فى شكلها ولم تكن تخرج فى واقعها عن أنها بيانات يفصد منها التعبير عن الحقيقة ، مع الانطواء على بعض العبر المعنوية فى التطبيق . ولقد نبع طرافتها ، واستساغها وقعا على الأذان ، من قصرها ومن طافانها على الإيحاء بمختلف التعاسير والمعانى وكان نزمها وجمودها موضع مفارقة كاملة ، مع ما فى اختراع القصص من حرية ولم يكن الأكانيون بحسبون الامثال جزءا من تراثهم الأدبى . كما أنهم أيضا لم يضمّنوا هذا التراث أقوالهم السائرة . التى تختلف عن أمثالهم فى أنها أقل منها صلابة ووزمتا . وفى ان الانسار يستطيع التحور فى تلاونها ، وفى تغير صيغة أفعالها ، واسخاص ضمائرهما . وكانت هناك قصص شعرية جمّة أيضا تكون على شكل مقاطع شعرية لنائية ، يذكر فيها اسم القائل ، ثم يتلى قوله كقصة ما قالته العنكبوت للدبابة ، أو كقول ذكر الماعز ، انه اذا صح ما يقال من أن النجاح مع الاناث يؤهل الذكر لنسبم العرش ، فانه سيكون والحسالة هذه ملكا صالحا يجلس على محفة . وكانت هناك أيضا قصص أطولوجية معللة لجميع الظواهر بوضع مثلا ، كيف حصل الفبل على ذنبه . ولم يكن الأكانيون يعدون هذه القصص من تراثهم الأدبى أيضا . ولكن كان هناك موقف غامض على أى حال ، بالنسبة الى الأساطير التى تروى الدروس الأخلاقية . وهى اقرب الى الابتكارات الفوغائية منها الى القطع الأدبية.

وكانت هناك أساطير شعبية أخرى تجمع بين الشعر والقصة ولكنها تعتبر عند الاكانيين جزءا من تراثهم الادبى .

أما الاقوال الحكمية السائرة ، فلم تكن بحكم الضرورة قصيرة ومقتضبة بل كان بعضها فى الواقع ، وأحيانا ، طويلا ومسهبا . ويبدو فى شكل قصص أكثر منه فى شكل تلك المراكز التلفائية الحياة المتمثلة فى الامثال الحقيقية الاصلية ، وتنتشر هذه الاقوال الحكمية فى افريقيا انتشارا واسعا - وتنسب له الموضوعات التى تدور حولها سابها قويا ، من بلد الى آخر ومن مكان الى مكان ثار ، فعندما يقول « أبناء قبائل اليوروبا » مثلا ، ان العالم وصل الى صائقه ، سقط فيها البيضة فى قدر من الفخار ، فينكسر القدر ولا تنكسر البيضة ، فان أبناء الاكان يحسون نفس الاحساس عندما يقولون ان « السعلاة سقطت من أعلى شجرة من أشجار جور الهند على الارض ، وأخذت تسأل الارض بحتها وهى تحرك رأسها عاليا سافلا ، عما اذا كانت - أى الارض - قد أصيبت بدوار من سقطتها عليها » . وفى وسع المرء أن يفترض أن الانكليز ، كانوا يعنون السوء نفسه عندما يقولون . . . « أن برج الكلب فى السماء هو الذى اختفى أمام الضوء الخافت » ، وفى هذا المجال ايضا نجد الروح العملية مكانها ، كما يتأكد عزل النظم الاجتماعية عن العواطف الشخصية وهكذا فان أبناء اليوروبا قد لاحظوا ، بأن الانسان لا يفدو مجنونا بحيث يرتدى قبعته على عجزه . ولا ريب فى أن الوهم السخيف الذى ينطوى عليه مثل هذا القول ، يعتبر مصدر امتاع واثارة للخيال .

وكانت قصص المحتالين والقصص الخفيفة من النوع الذى يبعث على التسلية ويؤدى الى السخيف فى الوقت نفسه . ولقد أدرجت قوائم من الحيل المحتملة فى شكل قصص . كما شرحت الحركات المضادة للتغلب على هذه الحيل . وكانت هذه القصص تستعمل أحيانا للاصرار على تطبيق العدالة ومقاومة الطغيان مع الحفاظ على الرقة والدمائة . وهناك أسلوب بديل لتحقيق الغاية نفسها وهى وضع شروط صعبة ومستحيلة بالنسبة الى طلبات مستحيلة ايضا . فمن أقاصيص «الفاندا» مثلا أن حاكما طلب من شخص أن يصنع له انسانا ، فرد هذا الشخص طالبا توفير المواد الاولية اللازمة له لاتمام عملية الخلق . وقد اشترط ان يكون هذه المواد الف حمل من الفحم المصنوع من الشعر البشرى ، ومائة قدر كبير ملأى بالدموع . وتقول قصة أخرى عند أهل الكاميرون ، انه طلب الى سلحفاة . أن تحمل الماء فى احدى السلال . فردت السلحفاة بثبات مصحوب بالدمائة والرقة أنها تطلب حبالا مصنوعة من الدخان لجمال السلة . وهكذا أمكن عن هذا الطريق ضمان احترام السلطة مع الاحتفاظ للعدالة بكرامتها . ولا ريب فى أن حسنة

هذا الابتكار تقوم في تجنبه الصراع الجسم المكشوف مع السلطات القائمة . بدلا من الرفض الخشن للطلب ، وما ينطوي عليه هذا الرفض من عصيان ، رد الشخص المطلوب منه على الطالب باظهار التعاون . مع أن هذا التعاون يمثل في الحقيقة تحطيما لفكرة الطلب المكلف به . وقد اتبعت أنانسي العنكبوت في قصص الاكانيين طريفة مماثلة للتعامل مع المحتالين المتميزين بفضلة الادب . فلقد عاش هناك طاغية لا يستطيع أن يحتمل مناقضة أوامره ومخالفتها . ولذا راح يعدم جميع أولئك الذين استفزهم بطلباته الجنونية وقصصه الطويلة الى نوبات من الكفر . وراحت أنانسي العنكبوت تزوره ذات يوم ، وصمدت لجميع استغزائاته ثم عادت الى بيتها لتختبئ . وتعلم أولادها الطريقة التي كلفتهم باباعها معه .

وقد صمد الطاغية للتجربة في بداية الامر ، ولكنه ما لبث أن انهار ، وعارض كل شيء ، وتعرض لهجوم عنيف . وكان بين ما قيل له مثلا عندما طلب بعض الماء من وعاء أبرد ، بأن القسم الاعلى من الماء لو اذبتهم الغائبة أنانسي . وأن القسم الاوسط ، لعملة لهم ، ستفض أشد الغضب ، اذا ما مس مأوها ، وأن القسم الاسفل لهم ، ولكنهم لا يستطيعون الوصول اليه دون المساس بالقسمين الآخرين . وعندما سأل الطاغية عن المكان الذي توجد فيه العنكبوت ، رد عليه الأولاد بأنها حاولت أن تقطف ثمرة من الشجرة ، فأصيبت بجراح ، نزل منها الدم البادى على الارض ، ثم مضت بحثا عن العلاجات اللازمة .

وكان الفصل من بعض هذه القصص التأكيد على نفوق الذكاء على الجمود ، فمثلا كسب السلحفاة الافريقية سباقها مع الارنب ، لا عن طريق المضي في السير والجهد طيلة الليل ، بينما الارنب نائم ، وإنما عن طريق ، تفريخ السلاحف بين الاعشاب على طول طريق السباق . بحيث قفزت السلحفاة الاخيرة الى الشريط الذي يرمز الى نهاية السباق في الوقت المناسب ، وليس تمة من شك أيضا في أن هذه القصة تبرز وحدة العشيرة من ناحية وقيمة الجهد التعاوني من الناحية الاخرى .

ويتضح وجود سوء من النقد الادبي عند الاكانيين في حتمهم الفصاح على المزيد والمزيد من الكمال في المادة والصورة واللقاء . ولا ريب في أن اتباع المبدأ القائل بعدم وجود خلاف في الأذواق بحماس ، يعرض المرء فورا الى تهمة الابتذال والرخص . وقد لا يكون من حسن الفطن بأي حال من الاحوال أن يختلف المرء دائما مع الأذواق المقبولة جماعيا على انها أذواق مهذبة . ويستطيع المرء أن يفترض أن تقديم هذا المبدأ

ممبر ، لا يقل عن عرابه بولستوى عندما وضع ،نكسبير على قدم المساواة مع وولتر سكوت (١) . ولا سمرد سوروات الذوق الادبى دائما على الانضباط والنظام كل المرد . ولعل النظام والمساكسة اللذين بدخلهما مجموعه الافكار النقدية على الادب ، هما اللذان حملا بعض الناس على تسمية النقد بالنشاط المزعج الذى يتحرى عن الاخطاء ليس الا .

وفد يكون من الممكن الى مدى محدود جدا ، أن يجمع المرء من اللغات نفسها شيئا من السنن والقواعد الادبية ، اذ أن كل لغة من اللغات ينطوى فى حد ذاتها على قواعد معينة للروعة وجمال التصوير . فقد يكون بعض الآراء التى يعبر عنها بطريقة معينة فى لغة من اللغات مثلا ، متيرة للضحك والسخرية ، بينما تكون عربية على أكثر تقدير فى لغة أخرى - فتشبيه وجه زميل من الزملاء مثلا بالجيب الداخلى لعامل بناء فى الجحيم أو الى قطعة نقدية من نقود الجحيم الباهتة اللون ، طريقة ناجحة فى انارة الضحك على شفاه الشبان . أما فى الانجليزية فان صفة الخيال الواسع والرائع نطلق على صاحب هذا القول ، دون أى اكتراب بما فى التعبير الساخر من موهبة حقيقية .

ومن الطبيعى انه قد لا يكون هذا هو المنطق الكامل ، للتقدير الأدبى الذى نقرحه اللغة نفسها ، اذ أن هناك الكثير من الامور المفهومة ايضا . كما أن هناك كثيرا من الآراء عن علاقة الفرد بالآخر ، وعن علاقة الفرد بالمجتمع ، وبالروح أيضا . ويجد المرء أن التشخيص وأن اندماج الفرد فى المجموع . لم يكونا ظاهرين فى ادب الاكابين التقليدى . ويعتبر الانسان على تفسير هذه الظاهرة ، فى مفهوم المجتمع نفسه ، وفى مفهوم الفرد أيضا . ولما كانت النظرة الى المجتمع على انه يضم الافراد الذين فرضت عليهم واجبات ومسئوليات مسبقة . فان الفرد المجسم ذا الابعاد الثلاثة وهى الطول والعرض والعمق . والذى تؤكد وجوده تماما كذرة واحدة بينة ، لم يكن له وجود فى المجتمع الاكائى . ولهذا فان الادب لم بصور هذا الفرد . ولم يكن العقد الاجتماعى زيفا بالنسبة الى المجتمع الاكائى ، بل كان سخفا ، اذ حتى قبل أن يولد الانسان . كانت عوامله الروحية نمت الى جماعات عرفية . ولهذا كانت النماذج

(١) شكسبير الشاعر الانكليزى الأشهر الذى لا يحتاج الى أى تعريف . والسير وولتر سكوت ( ١٧٧١ - ١٨٣٢ ) من أشهر شعراء انكلترا وقصاصيها ومؤرخيها . ولد فى أدنبره وأصيب بالمرح فى صباه وظل ملارما له طيلة حياته ، درس الحقوق وأصبح محاميا من أشهر مؤلفاته « سيدة البحيرة » و « ايفاهو » و « الدير » و « الراهب » وكثير غيرها .

الفردية المتخصصة في أدب الاكانيين أكثر طرافه وأهمية من التخصصات،  
الدانسه في المجموع . ولعل هذا التفلد المحتلف لتتخصص الطراز أو  
النمـودج ، والذي ساد الادب الافريقى كله أدى الى فصل الفصا صين  
الافريقيين في رسم الشخصيات الملته الابعاد ( الشخصيات الواقعية )  
في اللغتين الانكليزية والفرنسية وشيلا درعا . فلقد كانت الشخصيات  
التي حلقوها سطحية وشفافة ولا ريب في أن موضوع طربعهم في  
المصور الادبى ، بقوم في هذه الحقيقة تماما .

ولا ننفذ كل سىء بالطريق الجماعى في المجتمعات التي بقوم على  
أساس الجماعية . وإذا كان الهدف في كثير من الامور الى ننفذ ،  
بسنوحى خبر المجموع كله . ولم يكن الناس جميعا اذا ما استنبا أصحاب  
الروس القديمة — يعملون عملا جدبا في جعل السعد الادبى ، فلقد ترك  
أمر النقد بصوره عامة الى منتجى الادب انفسهم . وقد اخذ النقد  
شكل شبيب المفاهيم الادبية ، وايضاها للمتربين على حرفة الادب ،  
وجعلها بالتالى هى المتفوقة والمسيطره . ولدا انحصر اهتمامها بشكل  
خاص في التعابير الاسلوبية التي لم بنا نكرارها قط عن مربنة الاعجاب .  
وكذلك في الطرائق ووسائل البناء الادبى والانتاج . وقد أبرز المنتجون  
الموهوبون مواهبهم الادبية من هذه العناصر ، تم انطلقت هذه المواهب  
اول ما انطلقت لتمارس طاقاتها في حقل النقد . وذلك في نطاق منظم من  
الانعكاسات الواعية دائما لروائع ادبية ناضجة ، يقوم على التقويم  
والمقارنة ، وكذلك على المقاييس المتبدلة . اذ أن المقارنات في الادب ترك  
دائما انرا من المقاييس المتبدلة . وهكذا اختلط عن هذا الطريق ، في  
الادب الاكاني عنصر التقلد والابداع ، أى المدرستان الكلاسيكية  
والرومانتيكية . ووضع خالفو الادب ، على ضوء الروائع الموجودة ،  
قانونا للمسنويات الادبية ، ومقاسا لاساليب بالنسبة الى مؤلفانهم  
وغدا كل واحد منهم في انتاجه ، منرعا للقانون وانسانا بمنزل الغرابه  
التي تكاد يصل حدود الخيال .

ولكن اذا كنا نستطيع في دراسانا للادب غير المكتوب ايجاد أساس  
لتعليم النقد التقليدى . فان من واجبا في الوقت نفسه أن ندرك اننا  
في عرضنا لها لا نستطيع أن نتجاهل نتائج اتصالنا بالادب الاوربى ،  
وبموافق التقويم النقدى الموانية له . واذا كنا حتى في عرضنا له ملزمين  
على أن نلاحظ اتصالا لنا بأوربا ، فان من الواضح اننا عندما نكتب بعض  
ادبنا الحديث في الانكليزية أو الفرنسية . يجب أن نأخذ بعين الاعتبار  
أننا نكتب الى حد ما الى القراء الاوربيين ايضا . وهنا يصبح مشكله  
طريقة الكتابة ، ذات صلة الى حد ما بما نكتبه . فالقصصون الاقريقيون  
الذين يكتبون في الانكليزية أو الفرنسية ، يصرحون بأن هدفهم هو أن

يكسوا الى فرائهم الامريعيين العالمى النقافة ، وما لم يكن هنالك شىء ،  
 دو طابع أفريقى محص ، لايسمى وحيه من طابع الادبين الانكليزى ،  
 والعربى ، ويحتاجه لل افريقى حتى ولو كان على التعافه ، فان المرء  
 لا يستطيع أن يفهم ، لماذا يجب أن يتسر العصصيون الافريقيون أنفسهم .  
 بأن رسالتهم الادبية هى أن يحسدوا الى فرائهم من الافارفة ويحسن  
 أدينا «أشيبي» بأهمية هذه الرسالة ، وادا ما اسسنا كامارا لابي مثلا  
 فان العصصيين الافريقيين لم يبدلوا جهدا للعمل بوحي هذا الاحساس ،  
 فهم جميعا ، بما فى ضمنهم عاموس بوبولا بلهجتة التسادة التى لا تفهم ،  
 حاولوا على النقيض من ذلك ، ان يفلوا بتيء من التسف أن يكونوا  
 فى الصور التى ارادها لهم الغرباء من النقاد الاوربيين ، وحسروا أنفسهم  
 حسرا فى هذه الصور ، دون أن يسترشدوا بوحي أو حتى بايمان ، وكانت  
 نتيجة هذا أن بدأ سحر بوتولو يضعف شيئا شيئا ، بينما باتت مهمه  
 سيبريان ايكويس أن ينجح فى العمل الاذاعى فى نيجيريا . وانتقل  
 المتسل الى ايدى المتدئين من امثال أتيبي ، الذى يواصل السير ،  
 طريق النجاح باستمرار .

وهناك على وجه العموم طريقتان يستطيع القصاصون الافريقيون  
 بوساطتهما تأمين الغذاء الفكرى للجماهير الافريقية . فهم بسطيعون  
 أن يدخلوا فى لغتهم لهجانهم الخاصة . وبستطيع المرء عن هذا الطريق  
 أن يفكر دائما ببعض الالتواءات اللفظية وبعض المصطلحات المحلية  
 الخاصة بلهجتة المحلية . والطريقة العملية التى بدو فيها هذه المتسكلة ،  
 تتمثل فى معالجة موضوع البدائيه الافريقية فى ادب يكتب غالبا فى  
 اللغتين الانكليزية والفرنسية . وهناك قول جميل مأثور يقول ان عامه  
 الناس فى كل مكان لا يتفرون مطلقا . وعلى الرغم من صدق هذا القول  
 الى حد ما ، الا أنه قد يحجب أيضا ، ما قد يعرضه من انعكاسات  
 صغيرة يمكن أن تظهرها فى الحقيقة . فالموضوعات الشعبية الافريقية  
 تختلف من عده بواح مهمه عن اتسائها عند الانكليز والفرنسيين . ولعل  
 أقرب شبه لها فى أوربا ، هى الموضوعات المتعلقة بفلاحى ارلنده ، وفلاحى  
 السلاف فى عهود ما قبل التوره . وما القول بأن الاوضاع الاحتمالية  
 والجغرافية ، هى التى تحدد الى درجة كبيرة طبيعة الشعب وسخصيته  
 الا تكرر لشيء شائع معروف فى علم الاجتماع . وتعزى الصرامة الى  
 أصبحت مضرب الامال عند الاسكوتلنديين الى الحقيقة الواقعة وهى أن  
 «كاليدونيا» بلد ذو طبيعة جغرافية قاسية ، وموحتن كل الوحشة  
 من ناحية والى تزمت النظام المشيخى الكنسى الذى يتبعه الاسكوتلنديون  
 من الناحية الاخرى . وقد يكون الانكماش المتوارث . وعدم الاندماج  
 مع الآخرين بالطبع سببا آخر من هذه الاسباب . وعلى هذا الاساس ،



وعلى سوء الأوضاع الاجتماعية وعلم الاجتماع وحدهما - هذا اذا  
سئنا نغافل النساء الغيبة - يمكن توقع خلاف في العبرية بين فلاحى  
امريكا وبين اهالى الارباب فى انجلترا وفرنسا . وما اللغة الانكليزية  
الا حرة من التعبير عن عبقرية الشعب الانكليزى، وما كراهيته للقواعد  
العامه الا انعكاسا جميلا لما تتميز به الروح الانجليزية من ميل الى  
الاختبار والتجربة . على أى حال لا يستطيع المرء أن يفكر فى وجود  
لهجة ريفية فى اللغة الانكليزية ، دون أن يفكر بلهجة الريفى الانجليزى .  
وفى الامكان حمل الريفين الافارقة فى الفصة الافريقية التى تؤلف  
بالانجليزية على التحدث مثل أهل الريف فى انجلترا ، وستكون  
المصطلحات فى مثل هذه الحالة وروح النكتة الساحرة ، والسفن  
الاخلاقية الدينية هى عين مصطلحات الريفين الانجليز وروحهم  
الساخره ، وسننهم الاخلاقية ، وما يصح قوله بالنسبة الى الانجليز ،  
يصح قوله بالنسبة الى الفرنسيين أيضا . ومن الواضح أن فى الامكان  
وصف رجال الاسكيمو باللغة الصينية دون تجاوز الواقعية أو الخروج  
عليها . وليست الواقعية الوصفية ، على أى حال ، هى عين المطابقة  
الخلقية . وبينما نكون الاولى أى الواقعية صالحة لكاتبى المقالات تكون  
الاخرى أى المطابقة الخلقة الفاتة التى يسعى اليها القصصى .

ومن المسلم به \* أن من واجب العنصيين الافارقة الجدد أن  
يعملوا لافريقيا ما عمله هاردى (Hardy) (١) ولورنس (Lawrence) (٢).  
لبريطانيا . وهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك عن طريق ابرار الصورة  
الافريقية المحلية ولهجاتها ، وراء كتاباتهم الانجليزية والفرنسية ، أى  
بالكتابة عن التقاليد الافريقية والظهور بمظهر من يترجم هذه الكتابة الى  
اللغتين الانجليزية والفرنسية - وستعتمد جدة كتاباتهم فى اللغات  
الاوروبية اعتمادا كليا على تلك الطرائق من الاصول الافتراضية التى  
لا يمكن أن تعيش الا فى الترحمات الافتراضية . وستعكس صورهم المحلبة  
مواقف معنوية واصطلاحات ، وتصنمنا أسلوبا وشخصيات وأوضاعا

(١) توماس هاردى ( ١٨٤٠ - ١٩٢٨ ) ، قصصى وشاعر انجليزى ، ولد فى دورست  
شاير من أسرة مواضعة - درس دراسة خاصة ، وتعلم اللاتينية والفرنسية من أشهر  
قصصه «عينان ررقاوان» وقصة - «كورييل وعودة المواطن واثان فى قلعة والمحوبة  
المعشوقة و مجموعة من السيدات » وغيرها كثير .

(٢) دافيد هورب لورنس ( ١٨٨٥ - ١٩٣٠ ) قصصى انجليزى ، ولد فى نوتينجهام  
من والد يعمل فى المناجم ، درس فى كلية المدينة ، أصبح استاذنا من أشهر قصصه  
« الطاووس الابيض و أبناء عشاق و اجتار المحبة و الشفق فى ايطاليا و اوهم اللاوامى  
و عشيق اللبدي شاترلى و قوس فرح و نساء عاشقات » .

مختلفه . ويجب أن يكون الوضع الذى بصورة القصصى هو عين الوضع الذى يلمسه وبحس به . وعندما تختلف لفتان فى طاقاهما على وصف الاتباء وصفا عاما ، كالاختلاف القائم مثلا بين اللغات الافريقية، وبين بعض اللغات الاوربية . فان من الواضح ان على العصة النى جعل موضوعها عن الافارقة التقليديين أن تظهر سببا من الحدق فى بناء الصورة التى نعرضها والسير فيها ، ولا ريب فى أن مثل هذه الصور هى التى تجعل من الادب الافريقى الحديث افرىفا حى وان كتب فى لغات أوربية وهو ما لا يقع لمجرد أن الافريقيين هم الذين كتبه .

ولا ريب فى أن طرار النكتة الساخرة ، الذى يظهر فى النباح الادبى الافريقى القديم ، يؤلف عنصرا آخر ، له جذوره التابة فى الرعب، ويلقى غداؤه فى نبات الخيال والاسياء الغريبة .

ويتمثل السىء النانى الذى يستطيع القصصيون الافريقيون تقديمه الى جماهيرهم الافريقية فى استقلال اوضاع مجتمعاتهم . وفى ضمن قصصهم العناصر التقليدية القديمة والعناصر المختاره من تعافى الغرب والسرف الاوسط ، وما يتميز به حاضرا من ميوعة وانسباب ، وما يواجهه نقافنا من بعد، وما نتعرض له أنظمتنا القديمة من انهيار وتفسح ، بالاضافة الى تصورات العفليات والعفائد والعادات ، والدكاء والثبات ، والصوفية التقليدية ، والدمانة الارستقراطية والكرم الخاتمي . وفى وسع كل هذه الموضوعات أن تؤمن المادة اللازمة لعدد ضخم من القصص والروايات والمسرحيات ولو أظهر فصا صو افريقيا وكنائها المسرحيون احساسا كافيا بما يمتد أمامهم من آفاق واسعة ، فان شخصه الرجل الضائع بين عالمين، وهى الشخصية المزعجة كل الارعاج، ستتضاءل فى حجمها ولن تظل كابوسا لهم الى ما لا نهاية ، فالرجل الضائع بين عالمين أى الرجل الذى لا يتعرض بطريقة جذرية أو بابتة الى وسط غريب عليه ، مختلف كل الاختلاف عن الوسط الذى ينتمى اليه . مع استمرار وسطه التقليدى فى الاحاطة به ، هو حقا انسان تائه منرد ، فاستحواده على الشافة الجديدة ليس من النسمول الكافى بحيث تصبح جزءا من وعنه ومن ضميره ، وهى لهذا تظل فى صراع دائم ومستمر مع « الاجواء » التى ولد فيها . والتى لم تستأصل قط استئصالا صحيحا من الكون الذى يعيش فيه . فهو لا يبدو أن يكون والحالة هذه لغزا نفايا غامضا ، لا ثقافة يتكافأ فيها الضدان . لان نفايه هته - تكون مصحوبة دائما ، والى حد بازر ، بالمساوى والرب والتكوك . وقد تنقلب هذه الرب ، بل هذا التور الذى يبلغ حدود الصعاب ، الى فواحع مرعبة . حقا ان الرجل الضائع بين علمين .

والدى يحاول أن يخطو كخطو العراب الذى نسى متنيته . رجل بانه  
مشرّد .

أما بالنسبة الى الادب الاكائى نفسه . فسيظل فى حاله نمو  
واردهار مصطربين مسعبا النفع من كل علم حديث . وتمارس العنصره  
على الكتابة تأثرا عميقا على الادب الحديث عند الاكائين . واذا لم يكن  
لها من فضل سوى توسيع الافاق فى الادب ، فان هذا الفصل وحده  
اكثر من الكفايه . ولا ريب فى ان هذه الطاهره تؤلف ميرة صحمه بالنسبه  
الى ما فى الادب التغلبدى القديم من لدغ حاذق . فلقد مكب سعه  
الافاق العماسه هذه ، الادباء من منابعه بحوبهم بصوره معصله . وهذا  
سهل على الشخصص « السلاى الابعاد » ، مهمته وعمله . واضعت هذه  
السعه نفسها على السعير الاكائى مريه نظريه تختلف كل الاختلاف عن  
مزاياه السمعيه السابقه . وذلك عن طريق ظهوره فى شكل مطبوع .  
وبات فى وسع الانسان أن يعرفه الآن مرأه صامته ، تتمتع بها كل التمتع .  
وادت الكتابة ايضا الى ظهور المزيد من الانعكاسات التحصيه فى الشعر .  
وذلك لان عامل « المدرس » قد اصاب مستمعى الشعر ايضا . فأصبحوا  
فرادى اكثر منهم جماعات محمعه . وبينما كان الشعراء القدامى  
بضفون نعبراتهم الشخصيه على الحقائق المتنعه من النظره العالميه  
للمجموعه . وكذلك على العواطف والسنن الاخلاقيه المجموعيه ، فان  
- الشاعر الاكائى ، بان قادرا اليوم ، ويريد قدره يوما بعد آخر .  
على التعبير عن رأيه هو . وعن فهمه الشخصى للعالم . وكذلك عن  
عواطفه الخاصه به واحلافه . ومع ذلك فهناك بعض الشعراء المحدثين  
من امسال نكسا ، الذين يعربون عن الاحاسيس المجموعيه فى قصيدهم .  
وهى احاسيس سيمد وحماها والهامها من التقاليد الاكائيه الحيه .  
وأرى هنا أن أفتبس ترجمه حرة لمقطوعتين من شعر بكتا الاكائى ، وأولى  
هانن المقطوعتين من قصيده بعنوان « الخطوات الاولى » . . . قال  
الشاعر :

ورأيت طائرا صفرا يحلق فى الهواء . .  
وقد امتلأ مغاره بالعسايلج التى يحملها .  
انه يتجه الى هناك بعيدا ، فوق البحر ، لسهل الى با آمايو  
ما يحمله ، وللسحيم روحه فى مياهاها .

\*\*\*

ولكن هل وصل الطائر الصغير ، دون أن يراه نوح ؟  
أو لم أر الريح تحمل صخرة تتأرجح فى يديها .

لهدد بها الطائر الصغير الأسبه نكرة من المطاط .  
وهو في طريقه فوق الأمواج . يصفي بحنائيه تلك الريح النرسمة  
النس بعذيه . . . ويعول أمامه .  
أو لم نضب الصخرة ، الطائر الصغير .  
أو لم يمت ؟  
آه لقد انهك نبات العطر اللزح العتس الذي بناه .  
ونغلبت بقات الوحل ، على السلة التي حاكها بمنعاره .  
بالله ، لقد تحولت مرعة الاله فوسو الى أجمة من الاسواك . .  
أما القطعة البانية التي أردت اقباسها هنا ، فمن قصيده له عنواها  
« العمر » . . . يقول الشاعر . . . . .  
أو لم يحدث مؤخرًا . . . وكنت أفنعد العرفضاء على فمة رابية .  
ان رأيت العمر ، يعف هناك فوق القرية . . .  
ينسر خيوطه الذهبية على سفوفها معلنا عن وجوده .  
يا له من سائح جواب ، تأمر مع الليل . . .  
وراحب العراشب ندله على طريقه . بينما يصفي له بأجنحتها . .  
وبعضها بهلل له وبهتف . بينما البعض الآخر بكس له الطريق . .  
ويجعل من نفسه متبعلا يفود خطاه . . . . .  
ثم تتسار أمامه وحلعه ، والى شماله ويمينه . . .  
وكلها ألسنه برسم ونزغرد .

\*\*\*

يا طعلااب أمانا الأرض . . يا أفعال زوجه « الحميس »  
برمي ، واسدى فى الصوء المتفتح . . .  
فالكبار منكس يتحدثون . والصغار بصغين بكل آذانهن .  
أما أنت أبا السائح . . أبا الطائر الجواب ، أبا الفجر . . .  
فأنا مع على هضبنى ، لم أعد أراك .

\*\*\*

برى من اخطف الصياء الابيص من بين بدى .  
برى من الذى يرشدنى الى المكان الذى مضى اليه العمر ؟  
نرى أين أضع قدمى حتى لأفقد هذه النعمة ؟

أس أدرع معدى حتى لأرى أى بديل  
وهناك فى الدنيا النائية ، دنيا الشدة والمحنة هل يتجدد الأصعران.  
الليل والنهار ؟

\*\*\*

فف ٠٠٠ بل عد ٠٠ وابعل الى جميع أبناء العيلة .  
ان العمر لم يمت ، لقد مضى ، ولكن ها هو يعود الآن .  
فليعد الكبار الى أحاديثهم . وليرجع الاطفال الى لعبهم .  
وليجلس العراف ، مقتعدا على الراية ٠٠٠  
ليشرح ببصره فى الفضاء البعيد ٠٠ لقد عاد الاميرة ٠٠٠  
بخطو وهي نائمة فى طرفها الأزلي ٠٠  
لقد بعدت عن القرية ٠٠  
وخيم الظلام ٠٠ عابسا أسند ما يكون العبوس ٠٠

\*\*\*

ان الحب الذى نبديه لى يغلبى على أمرى ٠٠٠  
وهذا هو ما أنهم به ٠٠٠ وعندما أقتعد العرفصاء على الرامة ..  
ولا أراك أمامى . فسأعرف أن الى جانى ٠٠٠  
بمعى حبك معى ، على الرابية .  
وعندما أقتعد العرفصاء على الرابية ، فلا أرى وجهك أمامى ٠٠٠٠  
أعرف أنك لم ننسى ٠٠٠٠

\*\*\*

أولا بعكس هان المظوعتان الشعريتان ، مزاج الاكابين الحزين ؟  
لاريب فى أن البسمه النى تبدو على شفاه الاكابين دائما ، هى فى حد  
داتها دليل واضح على مايجثم على صدورهم من سحابات الحزن . فالضحك  
حزن كما أن الملهة مأساه وكثيرا ما يكون مصدر ضحك الاكابين ، فى  
فهمهم لكل ما هو غريب ، وشاذ . أما السىء العليل الغرابة ، فأضعف  
من أن يبر صحتهم ، وكثيرا ما يؤدى الى استنارة ملهم . واحتداد  
مراجهم . ويعرض مزاج الاكابين الحزين نفسه فى تعابير وجوههم ، النى  
بعكس طرازا وراثيا من الأسى والحزن . ولا رب فى أن هذا الارث  
الحزين ، يجد ما يغذيه فى نظرتهم الغيبية الى الأمور . وفى المبادئ التى  
تقوم عليها أسس تنظيمهم الاجتماعى ، والاعتقاد القائل بأننا نمت الى  
مجتمع ، نمت اليه أيضا أرواح غير منظورة ، للأسلاف والجدود ، تواصل.

بديعها حولنا دائما ، وكذلك الاعتقاد القائل بآسا نحن والأرواح هذه .  
بحق قدر واحد ، لا يمكن أن يؤدنا الى حلاله من الانعاس النفسى .  
والاسراف الفكرى ولا ربب فى أن اعراف الاكائى فى روحانية الانسان .  
قد ولد عند كل فرد نفسية حرة منعصه . وى وسع نظرات الروح  
بالطبع ، أن نخذ أسكالا مختلفة . ومنها السكل الانسابى الذى يعرض  
المرء فيه ، أن يكتشف فى الوصع الانسابى قيمة معبوه أصيله ، قد  
تتحول الى نظرية روحه عن الانسان . ولبس من المدهش والحالة هذه  
أن نجد فى الحديثة الوفوره ، التى يسمير بها كثيرون من دعاء الاسابه  
لمحا ، لا يستطيع العن بجاهلها ، من الحزن والأسى .

وليس نمة من سك فى أن هذه النظرة الحزينة عند الاكسين ، قد  
نجسدت فى أفكارهم التى سطوى على موقف الاحلال الكلى للمعضنا الروحي .  
وعلى الجدية كل الجدية فى معالجة سير الاحداث الدبويه .

واذا عجز المرء عن اعطاء صوره وصفية آسرة عن الادب . فان فى  
قدره أن يعطى صوره تفسيريه له . وهذا يستطيع المرء أن يصع أمامه  
مجموعة نابنة من الساج الأدبى ، سرع فى دراسها . ولعل المزية الكبرى  
فى هذه الطريقة أنها متفتحة الافق دائما ، وأنها على اسعداد لسبل  
امكانات الفن الجديدة التى يستطيع خالق الأدب الرئيسى أن يعرضها .  
ومهما كانت التقاليد قوية مها به الجاب فان من واجبها أن نفسح الطريق  
أمام المواهب الفردية . واذا سئنا التلخيص ونبسط الامور ، فلنا ان  
الأدب مجموعة تجارب مر بها رجال وساء كمرو الاحساس تحولت الى شىء  
واقع ، عن طريق الخيال فى استخدام اللعبة ، وبانت فادرة على اسناره  
انعكاسات فاهمة للفكر والعاطفه ، عند الجمهاير . وعن هذا الطريق  
وحده ، يسحول الأدب الى فن من الفنون .

### السنن الأخلاقية والغيبيات :

فى الامكان سرد معظم المطربات الفلسفه فى بصع جمل لبس الا  
وسألف معظم الكتابات الفلسفية . على حد رأى زميلنا جى ، اى ، ويريدو ،  
من توقع اعتراضات سيرها أنصاف الاذكاء ، وردود المفكرين عليها .  
ويتألف معظمها أيضا من ايضاحات للبيانات التى تتضمنها النظرات ، ومن  
الحجج التى تستخدم لدعمها . ولا يعنى افهار الاكانس الى الكمان فى  
الماسى ، انهم كانوا يفتقرون الى الافكار الفلسفية . فلقدم جريوى  
وبالادنيه نأسئلة الى بعض عقلاء الافريقين وحكامهم . واسمحصلوا  
منهم على بيانات وآراء ، لاربب فى فلسفتها . ولقد كتب الاب اليكسبى  
كاحامى ، اطروحة دكتوراه عن مفهوم الحاة بين أهل . . «رواندا أوراندى»

ورسم الأب بلاسيد تيمبلز . صورة نظرة هبائل « البالوبا » فى الكونجو الى العالم ، والسنة الاخلاقية المشتقة من هذه النظرة . وصرف الدكتور دانكو ، فى غانا الكثير من الجهد فى دراسة مفهوم « الله » عند الاكانيين . وعلى الرغم من كثره عدد هذه المؤلفات والبحوث ، الا أنها كانت متناثرة ومنفرقة فى تاريخ صدورها . ولم يظهر فقط بوصوح على أنها تؤلف جهودا واصحة فى حفل جلى من حقول الدراسات الافريقية الفلسفية .

وهناك بالطبع ناحيتان رئيسيتان فى هذا الحقل ، وهما الناحية العامة والناحية الخاصة . وفى وسع العاملين فى هذا الحقل أن يجدوا فى طول أفريقيا وعرضها نماذج مما يمكن أن يدعى فلسفة عامة ، تتابع عادة الأسس النظرية للمجتمع التليدى . وثمة أيضا فلسفة خاصة على أى حال وهى زبدة أفكار أفراد لا تصور الفكر المجموعى . وليس ثمة شك فى أن الكثير فى مؤلفات كاجامى ، ودراسات جريوبى ، وهى من هذا الطراز الاخير . وقد يقال ان جريوبى وجد فى بحوته فى غير هدى فيلسوفا « افريقيا » فردا ، بدلا من أن يجد مستودعا من الفلسفة العامة .

ومن الواجبى الوقت نفسه التمييز بين السؤال عما اذا كانت هناك فلسفة افريقية والسؤال عما اذا كان هناك فلاسفة من الافريقين . وعلى الرغم من أن الرد بالنفى على السؤال الاخير ، يعنى ردا «سلبيا» بالنسبة الى الأول أيضا فان الرد بالايجاب على السؤال الاخير يترك المجال مفتوحا بالنسبة الى الرد على السؤال الأول . والتساؤل عن وجود فلسفة افريقية ، لا يعتبر سؤالا ذا طابع تفردى . فليس ثمة من داع يدعو لوجود فلسفة افريقية أن تكون هذه الفلسفة مختلفة عن غيرها من الفلسفات . ويكفى أن تظهر هناك فلسفة فى أفريقيا والا تكون هذه الفلسفة مشتقة من خارج القارة .

وتوجد بعض القضايا الفلسفية التى تثار فى أى مكان فى العالم ، رذودا لها فى الفكر الافريقى . وفى وسع الانسان أن يضرب مثلا بنظرية المعرفة . وتهتم نظرية المعرفة على وجه العموم ، بأوضاع المعرفة عامة ، وببذل محاولة لتحديد حدود الفهم الانسانى وطرائقه الى المعرفة على اختلاف صورها ، وأشكالها ، وبايجاد طراز من هذه المعرفة يؤلف فى حقيقته نمطا يتوقف على ما فى الطريقة المؤدبة اليها من نفع وفائدة . ولكن نظرية المعرفة أيضا تهتم ببؤود خاصة من بؤود المعرفة . ولا سيما تلك التى تعتبر تطبيق مفاهيمها فى حد ذاته دليلا على فهمها حقا . وتعتبر طريقة « الافعال المتواترة » التى اكتشفها الاستاذ رايلى ضمن هذا الطراز ، كما تقع ضمنه أيضا اصطلاحات كثيرة . تبرز فى علم الأخلاق كاصطلاحات: « فرض الكفاية » و « المبرر » و « المتعمد » و « المقصود » و « القصد »

والإصرار « وماشايتها . فمفهوم الدافع وحده مسلا يطوى على مفهوم « الإنسان العاقل » ولا يعتمد ما اذا كان للإنسان دافع ، أولا « اعتمادا كليا » على مدى اعترافانه هو ، أو على بمره الإسبطن . وهو لا يبدو كملاحظ متميز على غيره ، لدوافعه هو . ويعتمد الدوافع النى بمتاز بها أو يهتم بها على المظاهر العامة لسلوكه ، وعلى الفكرة العامة عن الإنسان المعقول الذى يكون فى وضع يسبه وضعه . ولكن الصورة العامة للإنسان المعقول تتأثر تأثرا سديدا بتنظيم المجتمع . وبالأسس النظرية التى يعوم عليها . ولعل هذا هو السبب الذى يجعل الرجل المعقول فى كل مكان ممثلا للرجل المتمسك بالسنن الأخلاقية . ولكن اذا كانت صورة الإنسان المعقول . وسلوكه يعتمدان على طراز المجتمع الذى يوجد فيه . فان من الواضح أن حلول المشاكل الأخلاقية التى لا تخرج عن كونها شبه نظرية لابد وأن تعكس الخلافات التى تقوم بين طرز المجتمعات وأنماطها . ولتصل من هذا المثال الى نهايته . نفول انه حتى ولو توحدت قوائم الدوافع وظهرت متشابهة ، فان عزوها الى أصولها لا بد وأن بتأثر بالنظرية التى تسود المجتمع فى الوقت الراهن . ولا بد للمواقف الفلسفية المتعلقة بها أن تظهر فروقا ممانلة ومواربة . ولهذا فان عودة الفلاسفة الى ما نفول أو نفعل لا يمكن أن تكون دليلا على قصر النظر . وهنا يكون دور المذهب النسبى فى التأثير على الفلسفة .

وعد رسم عدد من الناس حدود الفهم والمعرفة الانسانيين بطرق مختلفة ، ولا ريب فى أن الخلاف بين المذهب الفعلى والمذهب التجريبي . يعكس هذا الفرق ، وقد لا يظهر مثل هذا الفرق دائما فى الألفاظ . ولكنه يظهر بصورة أكثر تكرارا ، فى التعريفات المعقدة وفى البيانات والايضاحات . وفى الاعراف العقلية مثلا ، يجب أن يكون المرء قادرا لايضاح شىء ، بشىء آخر ، أن يقيم الاستدلال الذى يربط بين الشئئين . والنوائر الثابت المجرد ، لا يعتبر كافيا . فهو بالاضافة الى عجزه عن تقديم ايضاح لغيره ، يحتاج الى ايضاح لنفسه . ومن هنا فان بعض الروايات التى تعتبر فى العرف التجريبي شيئا بحمل طابع الايضاح . قد لا تكون فى العرف العقلى ، صحيحة أو خاطئة وانما مجرد شىء لا يمكن أن يحمل طابع الابصاح أبدا . ويوضح هذا الخلاف على فكرة الايضاح شيئا من النعبل لبعض المفاهيم العامة ولتصنيف التجارب ، ونصل من هنا الى موضوع الغيبيات . فالتصنيف الاساسى للتجربة « من النظرة الاولى » بعرض قبل كل شىء عددا من الامكانات . ودراسة النماذج الفلسفية فى حد ذاتها ، منطلة على احتمال النظرة الأولى ، اذ أن ما يعرضه النموذج الفلسفى ليس الا محثا وجوديا من ابجاث نظرية المعرفة والا الفئات العامة للوجود وطريقة تأليفها ، وهى الفئات التى تؤلف الهيكل المفهومى.



للدراك الباطن عن العالم • ولم يعد قضية التسعيب في الغرب • الى موضوع وروح ، ، مسأله ملحة ، فامكانية فيام « الكيف » على أساس « الكم » ، تؤدي الى ظهور عدد من الكواييس المسيطره ، كفسير الروح بالمسارب والميول ، ونفسير العفل بالطافات والعدرات ، واقامة الهويه المرديه على أساس حصائص الجسم والعلاقات بين الاجسام • وكل هذه دفائى فلسفية تفرع بنسدة على الدوى العلى الفلسفى عند الاكانيين ، وكل هذه العصابا فلسفية ، كما أن الانعكاسات اللغويه عينها لا نعل عنها انصالا بالفلسفة •

ولعد سبى لنا أن فلنا ان الأكايين ميزوا بين الروح والمساده ، ولكنهم لم يعتبروا العثتين من الامور المتسابكه ، وسبى لنا أيضا أن رأينا أن الأكايين ميزوا عددا من العوامل الروحية فى الانسان • وأدركوا أنه على الرغم من أن الجسم يمكن أن يميز عن طريق الحصائص البدنية ، فان الفرد لا ينظر الى هويته الشخصيه على هذا النحو • ولعد نسب الاكانيون الهويه الشخصيه الى « الاوكرا » الى سبى لنا الحديد عنها • أما الهويه الفبلية أو العنسيه فعد نسبت الى « المونجبا » وفد اعبر الساسوم مسئولا عن شخصيه الانسان ، واعتمدت هويه الشخصيه ، على رفض التلبس عن طريق سانسوم عريب • ومن هذا يظهر أن التفكير الدكانى ، كان يرى وجهه نظر لا تناسخيه للشخصيه • وكانت العيوب الخلقية فى نظهم أيضا أخطاء روحية تبلغ أحبانا حدود الآثام وكان من المعتقد أن فى الامكان انتزاعها وزوالها ، عن طريق ما يمكن أن يسمى بالجراحة الروحية • ولما كانت الأخلاق تعتمد على العفائى الغيبية ، فان سبى الاكانيين الاخلافيه كانت من الطراز « العفلاى » • ولما كانت العفوبات الخلقية متعلقة بالروح • فان فى الامكان عن طريق شىء من الافتاء ، اظهارها حنى ولو كانت وحشية وهمجية ، بمظهر ملطف ، ولا ريب فى أنه نفس اللون الغيبى ، الذى يوضح سورة الغضب التى يحس بها الاكائى تجاه الانحرافات الخلقية • فمن الناحية النفليديه ، لم يكن الانحراف الخلقى مجرد عار يلبسه صاحبه ، وانما كان خطيئة كبيرة دائما ، اذ أن الانحراف الخلقى يعتبر عندهم وسيله لبسل السعادة الروحية وخلفها وتوضح الطبيعه العقلانية والاطلاقية للشرائع الخلقية. عندهم أيضا ترددهم فى تقبل وجود درجات من التفاوت بالنسبة للخطيئة الواحدة • فلقد كانوا يرون فى تصنيف الخطايا أمرا شكليا لا يعدو حدود التعريف ، ولا يمكن أن يرضى بأى تفاوت أو درجات وعلى هذا الاساس لم يكن العقاب عندهم بعكس أية فروق فى درجة خطورة الخطيئة عن طريق التفاوت فى صرامة العقوبة • أما النظرة التجريبية الى الجريمة والعقاب فتؤدى الى سىء من الانسنة فى العقوبة •

ويتعزز الفرق بين الروح والمادة ، وهو أهم ما يميز غيبية الاكانيين والتميز عندهم بين الميزة والطبع . فبينما قد يقوم الطبع على أساس « الحكم » فان أى مجال لم يبق ظاهرا عند الاكانيين لتحديد شكل « الكيف » وحده .

ومع ذلك لم تكن الفلسفة عند الاكانيين كلاميه مطلقا ويمكن القول عنها على طريقة سبينوزا (١) بأنها تمثل الفكرة التي يمثل المجتمع بجسدها . وكما تفصل المجتمع التفليدي عند الاكان ليمثل في القرية ، وكذلك تفصلت فلسفتهم التقليدية العامة ، لتتجلى في القرية أيضا . ولا ريب في أن هذه الفلسفة هي التي حددت ديانة الاكانيين وأخلاقهم وأوحى أيضا بقانونهم وشرائعهم فأرواح الناس عندهم اعفاء في جمهورية روحية تنفسح أمدا من الزمن في أجساد من لحم ودم . وكان القصد من الطقوس التي يتحتّم على الانسان أداؤها كطقس غسل الروح مثلا أن تكون علامات خارجية لظاهرة لحالات روحية . وذلك لكي يتمكن المجتمع بكامله من أن يستجلى أوضاعه ككيان روحى .

وفى الامكان اعتبار القانون الأكاسى كشيء مكمل للسنة الأخلاقية وكان العقاب الذى يلى الخطيئة الأخلاقية بطيئا فى نزوله ولكنه عندما يقع يبدو بمظهر التعبير عن غضب الاله « نيامى » الذى يقال عنه أنه يكره الشر أو كمظهر للتكفير ، تنزله الروح المعنوية بنفسها . ولما كان فى امكان هذا الطراز من العقاب أن يكون بطيئا فى وقوعه فانه لم يكن ينظر اليه دائما ، على أنه ذو علاقة بارتكاب الانم نفسه . ومن هنا يكون الاغراء أمام الاشرار ليدل كثير من النشاط ولتحديد هذا النشاط ابتكرت مجموعات من القوانين البشرية التي نصت على عقوبات منظورة مخافة ان يحاول الاشرار الافادة من بطء العقوبة الالهية لأن « نيامى » يحتمل طويلا الآلام التي ينزلها به الناس ، ولأن المرء لا ينزل العقاب بنفسه كتكفير عن خطيئته الا بعد أمد طويل من التردد . وهكذا كان من الطبيعي أن يكون القانون ابعاء مؤقتا مجرداً .

وكانت القواعد الاجتماعية شكلية على أى حال . وكانت تحدد بالاضافة الى ذلك العلاقات المتشابهة مع الناس ، وهى ترمى دون أن تكون متزمنة فى شكلها الى تأكيد الأوضاع القائمة وبقاتها .

(١) باروخ سبينوزا (Spinoza) ١٦٣٢ - ١٦٧٧ ) فيلسوف هولندى ولد فى امستردام من أصل يهودى برتمالى . حملته أراؤه الدينية على الظهور بمظهر المخالف لليهود . تعتبر فلسفته عقلانية فى أنها تقوم على المحاوره وعلى الافتراضات . وتقوم على أساس اليهودية ازدواجية ديكرات والوحدانية وافكار هوبس ، وقد بلغت قيمتها فى الفيزياء ، فقد أكد أن علم الطبيعة وحده هو الذى يكشف جواهر الامور .

- العرب -

وهكذا كان تعامل النخافة الغربية من جانب واحد مع هذه الثقافة التي نحدثت عنها قبل قليل . ولم تنتقل الى الثقافة الغربية من ثقافة الاكانيين الا بعض العناصر القليلة جدا . أما من الناحية الأخرى فقد سارت التأثيرات الثقافية الغربية الى الاكانيين عبر دروب استعماريه وتجارية وتبشيرية . ولما كانت قوى الثقافة الموحدية والرابطة ، تهدد المشاريع الاستعمارية ، فلم تدع مصلحة الاستعمار بمسها تقضى باضعاف هذه الثقافة ولا يمكن تفسير الحملات الأولى التي شنها الاستعمار على عرش الاشانتى الذهبى الا عن طريق هذا التحليل . فطالما أن العرش قائم ، وفى حياة الاشانتى فان أبناء هذه القبائل كانوا ملزمين على ما يظن بالدفاع عن بلادهم ضد كل عدوان . وعندما ظهر « راترى » فى الميدان ، تمكن من اقناع وزارة المستعمرات بسرعة من أن أية حركة مباشرة ضد العرش الذهبى ستثير مقاومة عنيدة هائلة ، وعندما تمت تسوية مشكلة الاشانتى اقامت نساؤهن عرشا من العضة قدمته هدية الى الأميرة ماري . وأنقل هنا فقرة من الخطاب الذى وجهته ملكة الاشانتى والدة الى كوجزبرج ، الحاكم البريطانى العام فى البلاد . . . . . قالت الملكة . .

« اننا نبتهل الى الاله العظيم نيانكوبون ، الذى يركن اليه الناس فلا يحيب آمالهم ، والذى يتعبده الناس يوم السبت ، والذى يعمل الاشانتى كما نعمل الأميرة ماري فى خدمته ، أن تمنح ابنة الملك وزوجها الحياة المديدة والغيش الرغد ، وأن يحملها عندما تجلس على هذا العرش الفضى الذى صنعتته نساء الاشانتى لملكتهن البيضاء والدة ، على أن نطوف فى مخيلتها » .

وكان المبشرون أيضا مجرمين بما اقترفوه من أعمال الهدم والتخريب ، فقد خيل اليهم أن الاكانيين وغيرهم من الأفارقة يعبدون تحفهم الفنية فجمعوا منها ما استطاعوا جمعه ، باذلين كل جهد فى سبيل الحصول عليها وأوقدوا فيها النيران ولعل من معجزات القدر أن بعضها نجا من المصير الحتمى فى أن يكون طعاما لالسنة الذهب .

وكانت المدارس الرسمية بالطبع أداة رئيسية من أدوات الاستغراب وكان من السهل عليها وبصورة تثير السخرية أن تحقق غايتها لسبب واحد ، وهو أن أفريقيا لم تكن تعرف على الغالب هذه المدرسة . وعلى الرغم من أنها تبعا لذلك قد افتقرت افتقارا كليا الى الأوضاع التى تنموها نموا طبيعيا الا أنه لم يكن هناك الكثير من الأوضاع الراهنة مما لا يتفق مع وجود المدرسة الرسمية . ولم تستطع مزايا الشهرة التى نرافق طلاب التعليم الغربى فى المسرح الأفرقى أن تغوى الا عددا قليلا من الناس الذين تحولوا عن طريق هذا التعليم الى المزيد من الافصاح عن قوميتهم وحمل

ممثلو البلاد الأوروبية بعافتهم معهم الى مستعمراتهم وراح أولئك الأفراد من رعاياهم الدين ابتلعتهم الدوامة الثقافية والادارية الجديدة . يبحثون لهم عن مكان تحت الشمس الثقافية المتلألئة الجديد . وقد بدأت عملية التوجيه الجديدة في المدارس حيث سرع الأطفال ، يتعلمون أساطير وقصصا شعبية من أساطير الآخرين وقصصهم لا من أساطير بلادهم وقصصها . ولم يكن في الامكان الافتراض دائما بأن معاييس السلوك المسنح والمثل الممكنة التي ننضمها هذه العنصر هي معاييس محليه وعلى هذا الأساس ، وبهذه الطريقة كان الأطفال يلغون السجج ليعيشوا بالاضافة الى حياتهم المطهرة الخارجية ، حياة داخلية ، نعتبر منعصلة عن علاقاتهم وعن شعبيهم وليفقدوا احساسهم بذلك البنين الذي بعوا منه . وقد سجعوا عوضا عن ذلك ، على استغلال الطاقات المدهشة عند الأوروبيين ونصينهم وببكارهم وفضولهم الصفتين مع ما فيه من نفع تجاه الطبيعة لمعرفة أسرارها ، وما تركه هذا الفضول من تأثير على الافريقيين وذلك كله في محاولة منهم لبنسبوا الى أنفسهم وبطريقة الوكالة ، شيئا من الشهرة التي جمعها الرجل الأبيض . وقد قبلت هذه الميول في شمال نيجيريا مثلا ، حيث أخذ الناس يظفون على الرجال الافريقيين الذين يؤدون اليوم المهام التي كان الأوروبيون يؤدونها بالأمس اسم الرجال البيض أيضا .

وتم عن طريق توجيه المدارس الرسمية اضاءة فرصة ضخمة في اغناء الثقافات الافريقية اذ لم يكن هناك أى سعى منظم وذو أهداف للافتراض والتكليف ، مدفوع باحساس من الحاجات والطاقت ، وهي عملية كان لابد وأن تعنى التلاحم بين عناصر الثقافات الغربية والثقافات الافريقية في شكل مقبول ومفهوم .

وأدخلت عن طريق النشاط التجارى أذواق جديدة وعمليات جديدة من النشاط الاقتصادي ، وقد رافقت هذه التطورات أنظمة غريبة جديدة من التسريع وإدارة الحكم ولم تحاول كل هذه التطورات بالطبع احداث تبدل حذرى في الوضع كله ، اذ بينما ظل التشريع في أضيئ نطاق ممكن انعكست أنظمة الحكم بطريقة عنيفة ونورية .

وعلى الرغم من اشارتنا العابرة السابقة الى النزعة التجريبية عند البعثات التبشيرية ، فإن التعبير الفني هو على الأقل الجانب الذي ظل أقل تأثرا في الحياة التقليدية القديمة وقد استمرت الموسيقى الرافضة والأدب في فوهما وعلى الرغم من أن الفن السياحي قد حل محل النحت التقليدي القديم فإن ما في الأخير من موهبة مازال واضحا كل الوضوح .

وكان شيوخ القبائل ورؤوس الأسر هم مصدر الرعاية الي أضفب على الفنين الذين عملوا في صناعة البلاستيك التقليدية واستترك معهم

فيها-أيضا الكهنة ورجال الدين • ويقوم الاختلاف بين الفنين الديني والعماني في فوائدهما أكثر منه في معنواهما • وقد يقال ان الفن الديني قد اتخذ مواضعه من شخصيات الآلهة والاسلاف من ذكور واثاث وكان لابد للأقنعة التي تستخدم في أعراض سحرية ، ان تحتل مكانة وسطا بين الدين والعمانية ، أما الفن العماني فكان على الغالب من الطراز الذي يستخدم في الزخرف والاعلام وكان يستخدم لزخرفة بيت أو شخص ، وأحيانا لأبراز ربة أو تمثيل عشيرة •

وقد سبق لي أن ذكرت شيئا عن الزخارف في فن العمارة وفي الأثاث وسبق لي أن ذكرت أيضا الفن الذي كان يصاحب صياغة الذهب والفضة والملابس التي يرتديها التسويح والتي تقدم مثلا بارزا من هذه الزخارف ولم تكن تماثيل الاسلاف الا من نوع الرينة في ذلك الوقت ، ولم تكن تستخدم لأغراض السحر الا في المواسم والاعياد التي ننادي بها أرواح الأسلاف • ولم يكن القصد من هذه التماثيل أن تستخدم كماوى لأرواح الأسلاف ، لتسحيرها في الأغراض الدنيوية • فهي على أي حال تبدو مثل الاسلاف الذين تمنلهم ولم يكن وجودهم يتعدى حدود المحور الذي يظهرون فيه عندما تستحضر أرواحهم •

وكانت المواضيع الفنية التي تهمننا تميل الى أن تكون مرتبطة بالحياة وبأصول الانسان وكانت تضم الآلهة ، والعوى المولدة والامهات والاطفال والاسلاف والجدود وكانت نمة اقنعة تستخدم في طقوس الخصوبة التناسلية ، كما كانت هناك رسوم رمزية تمثل العشائر في شكل نباتات أو حيوانات •

وكاتب القضايا التي تؤدي الى اختيار المواضيع للانتاج الفني قضايا نظرية ليس الا • وذلك لان الحفاظ على الانظمة ادى الى تخطيط بعض العلاجات الاوتوماتيكية التي تستخدم في الامراض العملية • ولما كان المجتمع يسمى من ناحية توجيهه الروحي شيئا مقدسا الى حد ما فان القضايا النظرية كانت تميل الى التأثير على طبيعة الآلهة وغيرها من الأرواح وعلاقات الانسان بها والتصميمات الرمزية للعشائر المترابطة ترابطا روحيا وتأمين محل هندسي تستقر فيه أرواح الحدود الهائمة ، وإيجاد الطبيعة اللازمة للانسان في مولده وفي أعماله الزراعية والتحرى عن الأمراض والعلل •

ولما كان الاكاسون لا يعرفون الكتابة ، فانهم عبروا عن أفكارهم الدينية الفلسفية عن طريق الفن ، أي عن طريق الفن الأفريقي التقليدي، ألامتناهى في الحدود الزمانية والسرمدي في وجوده عن طريق ما فيه من عناصر بدائية صامتة تميزه عن غيره من الفنون • ولعل هذا هو

السبب الرئيسي في أنه ، أى هذا الفن لم يكن في معناه التمثيلى يصور الحياة الواقعية . وكان لابد للاشكال من أن تشوه . وكان هناك في الفن اغرافى فى الناحية الفلسفية الأخلاقية . أدى الى تصوييره الفسوى المسيطرة على الكون . وكان من الضروري لتصوير أية قوة ، ألا تعامل على أنها شيء مندمج في الكون ، وبالتالي على أنها شيء يمكن التغلب عليه ، وهو ما يعنيه تصوير هذه القوة في تمثال يرمز الى شيء حى . وعندما كانت أهداف العمل الفنى تتطلب من هذا الشيء أن يكون شبيها بشيء حى ، فإن هذا الشيء ، يكتسب الحياة المطلوبة طبعاً ، وكانت التماثيل الخشبية لفتيات الاشانتى التى تجسد المثل الأعلى عند الاشانتين لجمال المرأة ، والتى كانت الامهات الخوامل يستحشن على التودد اليها ، ليحىء اطفالهن على نحو ما هى عليه من جمال . اعمالاً فنية تصور الحياة الى حد ما . وتبدو التماثيل التى تصور حياة الشيوخ في نيجريا ، وكان القصد منها ان تكون ضمن المحفوظات وتؤدي الصور المأجورة في أى بلد آخر ، وبنفس الطريق نفس الغاية ، أى أن تكون صالحة للحفظ . وعندما يقوم بعض النقاد من أمثال جومبريش فيقولون ان الفنانين الافريقيين كانوا عاجزين عن التصوير الواقعى ، فانهم بذلك ، يعبرون عن عدم تفهمهم للفن الأفريقى . أما اذا كانوا ينشدون التجسيد الذى يصور الحياة ، فان عليهم أن يتجهوا الى الفن العلمانى ، أى الفن الذى كان يتوخى تحقيق أغراض الزينة ، والزخرف ، أو أغراض الحفظ ، لا الى الفن المعنوى الذى يستمد الهامه من مشاهدة قوة من قوى الكون .

وتفتقر النماذج التى تصور أما ترضع طفلها الى تعبيرات الامومة عن البرقة والحنو واللهفة العاطفية ، التى تظهر عادة فى وجوه الامهات . ففي هذه النماذج ترفع الام وجهها الى السماء ، بدلا من أن تنطلق به الى الأسفل أى الى طفلها . وهى تبدو منتصبه القامة ، حسنة التعابير ، تعكس الجدية ، التى تسيطر على ملامحها ، الفكرة التى تبرز في مجموعة من القوى ، سبق لنا أن حاولنا تصويرها . ولم يكن الاكانيون شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب الافريقية يرضون بأى مبرر للتخلي عن طفل من الاطفال الا اذا كان هذا التخلي تلبية لالتزام دينى . ولم يكن حب الأم لطفلها ، منحة أو تكريماً منها ، كما لم يكن قضية تتعلق بالارتباطات الشخصية المطلقة ، وانما كان شرطاً من شروط الواجبات التى لا يمكن الاغفاء عنها أو تجنبها ، ويوحى التباعد اللطبيعى بين الغدد الثديية في مثل هذه النقوش بوجود قوة بدائية ، أو نظام لا فردى . ولا خاص ومفروض .

ولم يكن الفن الافريقى التقليدى فنا ادبياً أو وصفاً يستخدم

الوسائل التمايلية المعروفة في ايجاد التأثيرات ، وكانها لفه رمزية ، ولكنه كان فنا مباشرا وسحرى يحاول تحقيق شئ من يطابق التأناة ، وتسمية الاشياء بأصوانها . كما يحاول ايضاح بعض المساعرات التي تخلفها المرئيات واستثارها . انه يتسبب طاررا من تصوير الافكار عن طريق الخنسب واليايف النخيل والحجر والالوان . وهو يترك نفس الاثر في اللغات الافريقية ايضا . فعند قبائل الزولو ، مثلا ، يعتبر الليل بما فيه من أعماق الظلام ، شيئا يصم الآذان ولا تغشى له الأعين . وهكذا يكون التعبير عن الليل والظلام صوتيا ، يجسد الاصوات المعنيه التي يفترض أن الليل هو الذى يلفطها . ومن هنا يكون اسم الليل موحيا بنفس المساعرات والمعاني ، التي يوحى الليل بها . وهناك تعبير عند الاكان يدعى «موسوم مونسوم» . وهو يسنفز عند سامعة ذلك الاحساس بالهدوء الرصين ، وذلك العيض غير الحذر ، الذى يخيم به الليل والظلام في أجواء الادغال والغابات علينا . وكان الفن التشكيلي في النحت ، مستخدما نتيجة موقف قائم ومعين عندهم . فهو يتعلق قبل كل شئ بالشر وبالعقاب السماوى . ولا ريب في أنه تجسد على الاقل ، في صورته لاحدق فيها ولا مهارة أبدا . ويقوم التحقيق العريد من نوعه في الفن الافريقى على غالب الفرض ، في السيطرة على التشكيلية في الفن وعلى ما يرافقها من أحاسيس مترابطة معها في مختلف المجتمعات . وهكذا نرى في الآثار الفنية الصالحة شيئا يشبه الحياة . لا الحياة نفسها ، وشيئا يشبه الفظاعة لا الفظاعة نفسها ، وبعض التشويه الناقص ومجموعة من الخصائص التي لاتخدش العين ، وان كانت تترك أثرا ثقيلا أو حالة تضم قوى الظلام ، وتضم طاقات مكبوتة ضخمة من المجهول ومن الغيب ، وكلها تمثل صورة مخضفة من كلية الوجود المبطة ( المتكلم من البطن ) التي يتميز بها الشعبان ذو الاجراس والجلجل وتعكس شعورا من اليأس النائم مغناطيسيا ، ومن الركود والجمود والصمت والهجر المسحور كما تعكس هالة من الوجود الكلى للروح البدائية وهكذا كان الفن الافريقى ، باستثناء العلماني منه أشبه مايكون بالفن الذى عكس مفاهيم التوراة .

ويسير هذا الفن بالطبع اليوم في طريق الزوال والموت . فلقد كان رجال قبيلة الايبو في نيجيريا ينقشون أقنعة فنية تعكس الوقار والجلال بغطون بها وجوه موتاهم من شيوخ القبيلة ، ولكنهم سرعان ما استعاضوا عنها بالاقنعة القربية التي يرتديها الناس في أعياد الكرنفال أو المسخرة ، وفي مكنة الباحث تعدد أسباب كثيرة توضح هذه الظاهرة ، ولعل أول هذه الأسباب وأهمها هو ما طرأ على المجتمعات الافريقية من انحلال وتفسخ ولقد أدى ضاع الاستقلال والتبعية لاوروبا الى حدوث تبدل ضخم في

وضع الفن في المجتمع الاقربى ، وذلك لان هذا الفن فقد ما كان يلقاه من رعاية . يضاف الى هذا أن الطبعة الشعرية التي خلعت الفن وأنجنه قد تعرضت للهدم والانحيار من جراء التوازن الذي أوجدته تلك المواقف الى فرضها تقدم العلم وانتشار الشكية ، وراح يضيع في المواقف الهامة التي تتخذ ، والتي نوحى بها الطريقة التي أضحت تسمى بالطريقة العلمية في معالجة الامور ، ذلك الاحساس بالنهاية التمولبة الذي كان بطبع عددا من القضايا ، والذي كان يعبر عنه الانسان بمجرد صرخة من صرخات النعجب والاستغراب . وأضحى الفن الذي كان تعبيرا عن هذا الاحساس الشمولى ، مثله مثل ذلك الاحساس في موقف غير كريم .

وعرب الناس في الاجواء الاوروبية الحديثة عن تمتعهم بالفن نتيجة أسباب تفنيه عدة منها النقص . ومزج الالوان وغرهما من الظواهر ، ومنها أيضا تلك التعبيرات الارادية كأن نطلق مثلا على مجموعة من الالوان اسم « خرائب القلعة » ولارب في أن جميع هذه الاسباب تمثل بصورة متساوية ، مايقوم به المجمع من اضعاف للفن يصل الى حد الاهتراء ، يحول بينه وبين الاستمرار - كعامل نماسك والتحام . والتمثيل والتصوير في الفن ، أمران تقنيان لاشان للروح والالهام فيهما فحتى الحساسية التي نستطيع روائع الفن التأثيرى اظهارها في الانسان نمت الى النمى الفنى . ولقد انتهى في أوروبا ملامع « حوبا » (١) ، الفن التوراتى ، الذى بصور وقائع التوراة .

### الانظمة والنظريات :

ظهرت لنا من معالجتنا لحضارة الاكانيين بالطريقة المثالية عدة ملامح ، وأول هذه الملامح أن هذه الحضارة كانت تعمل طبقا لعقيدة جوهرية عن الانسان وهى تنص على أن الانسان جوهرنا بابتا لا ينقص ولا يتغير ولا يتبدل . ولو كانت هناك وحدة في الثقافات الافريقية . لكن ما قلناه نقطة يستطيع المرء أن يجد فيها شيئا من أوجه الشبه . وقد وجد هذا الشبه فعلا . وقد تكون العناصر التى لا تنقص والتى يجرأ لها الانسان مختلفة ولا يحمل نفس الاسماء كما لا يحيط بها عقيدة متممة لا قبل التبدل وفي كل نقطة من نقاطها . لكن من المهم على أى حال بالنسبة الى الوحدة ، أن يكون طراز النحزئة واحدا ، وأن تكون العقيدة المترمنة

(١) فرانسيسكو خوريه دى هوما (Francisco José de Goya ١٧٤٦ - ١٨٢٨ )

رسام أسباني . ولد في أراخون . علمه أحد الرهبان الرسم منذ نعومة أظفاره ثم درس على الرسام المشهور جوزيه مارينير . اشترك في المعارض الى دارب من الرسامين ثم ارتحل الى ايطاليا . تنصص رسومه لوحات كسبية ودينية .



التي تحيط بجميع العناصر ، عقيدة تتصل بأصول هذه العناصر وبالادوار الدينامية المتحركة التي تؤديها في جميع المظاهر البارزة .

وتكون السنن الاخلاقية النابعة من المفهوم الجوهري للامور واحدة الى حد كبير ، وذلك بالنسبة الى طرار المبررات والحجج التي تسمح بها هذه الامور ، وكذلك بالنسبة الى بيان القواعد التي نميل نحو الجماعية وقد تقع هنا بالطبع بعض الفروقات ولكن في الامكان ايضاح هذه التفاصيل من طريق الفروق في الاوضاع المحلية . فمثلا في منطقة تخلو من الخنازير قد تكون الاشارة الى خلو هذه المنطقة من قواعد تذكر الخنازير ، نوعا من الدليل المقبول المنع على ملاحظة الانسان لا على حكمته وسعة فكره . وهناك عدة نقاط هامة تتفق عليها الثقافات الافريقية ، بالنسبة الى القواعد التي تحدد عضوية الاسره ، والقواعد التي تحدد المسؤوليات ، وابضاها ، وطبيعة المجتمع ، وتفسير الطريقه التي نظم فيها والقول بأن بعض المجتمعات في افريقيا شبه ملكية استبدادية وأن بعضها الآخر فبلى هو خروج على جاده الصواب الى حد بعيد . ولو حدث ان فقد مجتمع ملكي أو شبه ملكي الارض التي يقوم عليها ، والنظام الذي يقوم عليه ، دون أن يفقد عقائده ، فان هذا المجتمع لابد وأن يتبدل . ورغبة في وضع بعض العقائد موضع التنفيذ مع اختلاف معطياتها ، ينظر المرء أحيانا الى ابتكار انظمه مختلفة وتنظيم الامور بنظما مغايرا . ويعتبر المبالة في أهمية الفروق بين النظم عقبة تنشأ عن مفهوم الاسلوب المتعلق تعلقا مباشرا بكل ماهو واضح وجلي ، وبين المفهوم القائل بتفسير جميع المجتمعات على ضوء اجلال ما فيها من جمود ومن قصور ذاتي في انظمتها الاساسية والجوهرية ، وهي الانظمة التي تفسر المظاهر البارزة للمجتمع نفسه . ويكون تأثير ذلك في معالجة الانظمة على اعتبار أنها تلقائية السيطرة ، ولا تخضع الالمبادئ نورية داخلية . ولا ريب في أن هذا الموقف خاطيء تجاه الانظمة نفسها . ويغدو الاسلوب نفسه مفتعرا الى الاحساس بتلك القوى الصامتة التي نسهل أو نعقد التبدلات في الانظمة أو مدى تقبلها ورفضها أو نطاق شرعيتها أولا شرعيها . ولو قدر للانسان أن يدرس موضوع الكنيسة الانجليكانية مثلا ، فانه لا يكتفى بالطبع بدراسة سلوك اعضائها في أيام الاحاد عندما يمضون الى الكنائس . وقد يكون من الصحيح القول بأن الناس يمضون الى الحرب دفاعا عن الحق في الجتو والركوع ، ولكن ما حاربوا من أحله حقا . لم يكن الظاهرة الصورية الطبيعية في الركوع ، التي يصطدم بها نظر الانسان ، وانما ما ترمز اليه هذه الظاهرة من دين وعقيدة وعلى الانسان اذا رغب في تفهم الكنيسة الانجليكانية ، أن يلاحظ العقائد المتزمتة وأن يقدرها . وقد تساعد الطقوس المرء بالطبع على الاعراب . عن ايمانه العميق بطرفه مرضية ،

ولكن الطقوس هي ثمرة التسليم بوقائع الحياة . اذ أنها تمثل التجاود بين الحقائق الاجتماعية والعقل الدينى . أما الافتراض بأن تلك الطقوس هي جوهر الدين فهو افتراض لا يقل ذكاء وفراهة عن العقول بأن بوقية سجل الزواج ، هو الواقع الكامل لانظمة الزواج .

ويحتاج المرء لفهم المجتمع كقوة دافعة محركة الى دراسته النظرية التى تقوم وراء الانظمة نفسها . وقد يكون ايضاح مافى الأنظمة من قدر فعالة مؤثرة ، عملا آليا ميكانيكيا ، لكن تبرير الخيار بين الانظمة وما يفوق بينها من ترابط وتواكل ، لا يمكن أن يكون عملا آليا بأى حال من الاحوال

ومن هذا نصل الى النتيجة الواضحة ، ونهى أن الحديث عن وحد الثقافات الافريقية لا يمكن أن يعتبر بحال من الاحوال ، شيئا غريبا ، ا شاذا وقد لا يرغب المرء فى القول ، بأن هناك مركب معينا وصغيرا من العناصر المهمة التى تشترك فيها الثقافات الافريقية ، والتى لم يسبب للمرء أن رآها فى أى مكان آخر فى تاريخ الجنس البشرى . لكن مثلها القول مخالف لكل عقل وكل منطق وعلى أى حال فهناك على مستوى الامور الجوهرية ، بعض الحلول البديلة التى تواجه الجنس البشرى فتقافة الانسان اما أن تكون جوهرية أو لا . أما شجرة نسبه فقد يكون من ناحية الام أو من ناحية الاب أو من كليهما معا . وهناك حدود منطقي لتعدد الزايات وللطاقة الخلاقة . واذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة الواقعة وهى أن العالم لا بد وأن يكون قد شهد عددا من القبائل فى وقت واحد فاننا لاندعش حقا ، اذا رأينا شعبا من الشعوب قد نظم نفسه فى وقت ما وفى مكان خارج افريقيا ، بطريقة لا تختلف فى جوهرها عن طرائف الافريقيين . ويكفى لتحقيق الوحدة بين الثقافات الافريقية أن نجد بعض المركبات الثقافية موجودة فى عدد كاف من المناطق فى افريقيا السوداء . فالوحدة لا تتطلب التفرد مطلقا .

وقد أدنى التشابه فى عملية السيطره الاوروبية على افريقيا الى انعكاسات متشابهة فى الثقافات الافريقية المتماثلة ، مولدا ثقافات دينية يمكن عقد المقارنات بينها . وقد أدى فى نفس الوقت أيضا الى مشاكل متشابهة كل التشابه تواجه البلاد الافريقية المستقلة . ولا ريب فى أ مشكلة مايفعله المرء بالاستقلال السياسى هى مشكلة أصلية حقا . وا كان فى الامكان الاتفاق على سياسة نابعة من تراث افريقيا على صعب الجامعة الافريقية ، فان الحلول التى تؤكد مثل هذه السياسة نصب فى متناول اليد ، ويمكن تسخيرها فى المنافع الاقتصادية ، وفى ضما التأثير اللازم والوحدة الطبيعية ويضفى تنوع السياسات اليوم على هذا النواحي شكل الجراح المتعددة أما الاتفاق على سياسة متوحدة . فيؤد الى تضديد هذه الجراح والى اكساب افريقيا صورة قارية موحدة .

## الاستقلال ضائع واستعيد

ضياح الاستقلال - طريقة الفوز بامبراطورية - فوائد الاستعمار -  
شروط الاستعمار - صور استعباد الافريقيين - أسلوب التسيير جون  
فيلدينج - بعض الافريقيين البارزين - ثمن الثورة في افريقيا - تطوير  
افريقيا لاوروبا - ظهور بنيان طبقي جديد - الوحي السياسي للاقتصاد  
- المسيحية والفردية في افريقيا المناداة بالاستقلال - سلوك روسيا  
الديموقراطية الليبرالية - تخطيط الانظمة - الاحزاب السياسية -  
الصدوع والوحدة - الحزب الواحد - الجماعات الضاغطة - مشكلة  
المستوطنين - التطرف ومكافحة الاستعمار - القومية والعنصرية -  
مواقف سوفياتية \*

اضاعت البلاد الافريقية استقلالها باغتصاب الدول الأوروبية له  
من طريق المعاهدات والعدوان والخداع والاهمال الساذج وكانت هذه  
المعاهدات وأساليب العدوان والخداع تتم بوحى اقتصادى وكان الحكام  
المستعمرون فى كثير من الحالات من التجار ، وأبدت وزارة المستعمرات  
بعض التردد فى حمل المسئولية الادارية فى ساحل الذهب مثلا ولم تكن  
الحروب تعنى عند الدول الأوروبية مجرد الفتح ، وانما كانت تعنى على  
الغالب ضرورة افترضتها حماية التجارة وهكذا لم تكن الحملات التى  
شنها البريطانيون على الاشانتى مثلا بدافع الرغبة فى التوسع الاقليمى  
بل بدافع مايلقونه من أهمية على السلام فى توسيع نشاطهم التجارى .  
ويقدم احتلال كينيا وفقدائها استقلالها .. مثلا صادقا يصور  
الطريقة التى خسرت فيها بعض الدول الافريقية استقلالها بأساليب هى  
على النقيض تماما من أساليب التعامل الصادق المستقيم فلقد تخلى  
سلطان زنجبار عن ادارة المناطق التى كان يحكمها على البر الافريقى للسير  
دبليو ماكنون ولغيره من أثرياء التجار ورجال الاعمال الانجليز الذين  
الفوا شركة أسموها شركة افريقيا الشرقية الامبراطورية وقد صدر  
مرسوم ملكى بتأليف هذه الشركة فى عام ١٨٨٨ .

وعقدت الشركة النشطة بين عامى ١٨٨٧ و ١٨٩١ عددا من  
المعاهدات والاتفاقات مع شيوخ القبائل فى داخل البلاد ... الذين لم  
يكن من حقهم بموجب قوانين بلادهم أن يتنازلوا عن حقوق شعوبهم فى

الارض للغير والذين لم يتنازلوا عن هذه الحقوق حتى فى المعاهدات التى عفاها طبعا للقانون الانجليزى اذا ان نية التنازل هذه لم تكن واضحة او حتى مستتره فى تلك المعاهدات فلم يكن هؤلاء الشيوخ سواء فى شرق افريقيا أو فى غربها هم الملاك للارض بصورة شخصيه بموجب قوانين بلادهم وأعرافها . . . ومن هنا لم يكن من حقهم أبدا ان يمنحوا حقوق ملكيتها للغير ومع ذلك فقد تخلوا عن سيادتهم على بلادهم وعلى شعوبهم وعندما تطلت الشركة الافريقية الشرقية الامبراطورية عن امتيازاتها فى عام ١٨٩٥ أصبحت كينيا محمية بريطانية ولم تعقد الحكومة البريطانية انمساكات أو معاهدات جديدة مع شعب كينيا عن طريق شيوخه القبليين . . ومن هنا كان لابد وبموجب أى قانون أن يعود السيادة على البلاد والشعب الى الشيوخ بعد أن تنازلت الشركة عنها . . ومع كل هذا لم يدر فى خاطر الدولة المستعمرة فورا أن كينيا ارض صالحة لاقامة المستوطنين . . وعندما تم بناء الخط الحديدى الى أوغندا انضج على الفور أن الاراضى التى تحيط بهذا الخط خصبة وغنية ، وأن الجو هناك معتدل وصالح ، وأن المنطقة أهل لاقامة المستوطنين الاوروبيين فيها . . وفجأة استهوت المستعمرين فكرة مستعمرة بيضاء على غرار المستعمرات الاغريقية القديمة وراح السير نشارلز ايليوت يكتب فى عام ١٩٠٥ ، ان من السخف والنفاق كل النفاق عدم الاعتراف بأن مصالح البيض هى التى يجب أن تسود وبأن الهدف الاساسى للسياسة والتشريع البريطانيين فى المنطقة ليس اقامة مستعمرة بيضاء . . وبدأت بريطانيا منذ عام ١٩٠٢ تتعدى حدود صلاحيتها القانونية تمام التعدى ونمنح مساحات من اراضى البلاد للسرقات الأوروبية والأفراد الأوروبيين ولم يحل عام ١٩٢١ حتى كانت الهيئات العضائية نفسها قد اقتنعت بالرأى الفائل والذى لايعرف المرء على وجه التحقيق أبة قوة سحرية خلقتة وولدتة بأنه لم بعد هناك وجود لاية حقوق افريقية . . وأصدرت المحكمة العليا فى كينيا قرارا حددت فيه أوضاع الافريقيين بأنهم باتوا مزارعين « بالزراعة » فى اراضى الساح الذى يملك حى التصرف فيهم . . ومن هنا قد لا يدهش المرء اذا مارأى أن بعض السياسة البريطانيين الذين تلفون أنفسهم بالمخلصين للامبراطورية قد ألموا أشد الألم لما اعتقدوه مدفوعين بحماسهم السخف من أن استقلال كينيا يعنى التنازل عن الاراضى البريطانية للمواطنين الافريقيين ، ورأى هؤلاء أن منح الاستقلال بات يعنى بالنسبة اليهم ضربا من ضروب الكرم الاحمق والطائش وانه يعنى عملا من أعمال الخيانة ولم نفت رخص هذا الادعاء البريطانى ملاحظة اللورد بوكماستر . . رئيس مجلس اللوردات السابق الذى راح فى مجلس اللوردات يقول . . « لاريب فى أن الطريقة التى حصل بها الحاج على حقوق الملكية على هذه الاراضى كلها وأكدها ترجع الى سلسلة من الخرافات القانونية التى يصعب

على المرء دائما متابعتها وفهمها » ( المنافشات البرلمانية - وقائع مجلس اللوردات المجلد ٦١ - رقم ٤٤ - ص ٤٠٢ ) .

ولنضرب مثالا لهذه المعاهدات بعصبة رانج قبله ايوى المسكين الذى وقع معاهدة وضع بموجبها نفسه وسعبه فى حماية الملكة فكتوريا وللسبب ما (١) قرر البريطانيون أن ينقلوا القطاع الذى يفيم فيه التسيح المذكور وقبيلته الى حكم . ومسمى ليوبولد ملك البلجيكا ، عن طريق المصانعة والمكر وبفضل الاهتمام الذى ساد الجميع ، أن يجعل من الكونجو اقطاعيته الخاصة به . .

أما بالنسبة الى البريغاليين « المساكين » فان ارادة الله التى تحددها للناس المنسورات البابوية قد أنقلب مناكبهم بامبراطورية شرقية ضخمة مالمبتت هرطقتهم أن حرمتهم من قسم كبير منها لنبقى لهم أنجولا وموزمبيق وبعض البقايا التافهة الصغيرة (٢) .

وايا كانت الطريقة التى تم فيها ضياع الاستقلال فان هذا الضياع شمل القارة الافريقية كلها . . ومن الواجب أن نعترف بأن هذا الضياع قد جاء الى افريقيا بأشياء اذا شئنا الحديث عنها اطلاقا ، قلنا انها كانت ذات نفع للفارة وكان الفاء الرفى أحد هذه الامور التى جاء بها ضياع الاستقلال وكانت معارضة الافريقيين لهذا الالغاء كبيرة وضخمة (٣)

(١) ليس السبب بخاف اذا أن ألمانيا بعد أن اتمت وحدتها في عام ١٨٧٠ و عهد بسمارك شرعت في دخول ميدان الساقس الاستعماري في كل مكان وفي اربغيا بصورة خاصة وكانت الصفقات تعقد بين الدول الاستعمارية وتباع فيها الشعوب المستعمرة في أسواق النخاسة الاستعمارية ولعل من أبرز هذه الاتفاقات معاهدة الخرياس ( الجيريكاس ) في اسانيا عام ١٩٠٤ بين ألمانيا والدول الاستعمارية القديمة وهى المعاهدة الى تم فيها اقتسام الاسلاب والعنائم والمصالح . - العرب -

(٢) لا ريب في أن المؤلف هنا ، يقصد السحرية من البرتغال ، ولكننى ارى أن السحرية في هذا الحال ليست بالامر الذى يسيئفه اللوق السليم ، اد لا يصح اطلاقا أن نسمى البرتغاليين « المساكين » ، وهم الذين يرتكون من القطنع أشدها وحشية في مستعمراتهم الافريقية لوقف الثورات السحرية المسمرة في أنجولا وغيرها ، وقد ائيب الاستعمار البرتغالى بهذه الوحشية أن مستواه واحد ، مهما كانت الدول القائمة عليه صغيرة ، حتى أن صفار الدول المستعمرة تكون أشد وحشية من كسارها لفظى النقص الذى تحس به من ضآلتها في ميدان الموازن الدولى .

(٣) أعتقد أن المؤلف اخطأ هنا في الصورة التى رسمها. فلئن كان الغرب وبريطانيا بصورة خاصة قد حاربا تجارة الرقيق بالنسبة الى الأفراد ، فقد اسباحا هذه التجارة بالنسبة الى الشعوب . فما الاستعمار الا تجارة رقيق ، بل لعله أشجع صور هذه التجارة إذ أن حريات الشعوب هى التى ساع في سوق النخاسة ندلا من حريات الأفراد ، وهى التى تخضع للعبودية والحكم والجور ، كما أن تبادل المستعمرات بين الدول الاستعمارية وهو ماوقع بالفعل في مختلف عصور الاستعمار ، ولعل مثل « الابوبى » الذى ضربه المؤلف فمل قليل خير دليل عليه ، ليس الا من قليل عمليات البيع والشراء في سوق النخاسة على صعيد الشعوب بدلا من الأفراد . - العرب -

وهناك قصة عن زعيم في دلتا نهر النيجر وجد نفسه مضطرا لبيع العاج من أنياب الفيلة بدلا من الرقيق قيل أنه رد على سؤال وجهه أحدهم اليه عما إذا كان راضيا عن التطور الجديد في حياته يقول فيه ذكاء ولكن ليس فيه أية مشاعر انسانية بأن من الأسهل عليه أن يصيد الانسان من أن يصيد الفيل وأدى الغاء تجاره الرقيق وهى الحركة التى يسجل لبريطانيا موقف مشرف فيها لتوليها زمام المبادرة الى توقف تهجير السكان من افريقيا عن هذا السبيل . . . ولم تستعد افريقيا حتى هذه اللحظة سلامة عافيتها على صعيد التهجير تمام الاستعادة اذ أن التجارة المشروعة قد توسعت بدلا من التجارة الممنوعة .

وادخل الاستعمار نظام المدارس الرسمية في المناطق غير الاسلامية اما في المناطق الاسلامية حيث كانت المدارس قائمة من قبل فقد عمل على توسيعها ونشرها ونقويتها ، وادخل الاستعمار أيضا الخدمات الصحية العلمية وحطم العمود الفقرى بحمى البرداء (المالاريا) وغيرها من الامراض المستوطنة وشقت الطرق ليستعاض بها عن الممرات في الاحراج ولتربط العدد الذى لا يحصى من القرى المنتشرة على الارض الافريقية . وهكذا استتب الأمن والسلام . . ولا ريب فى أن كل هذه الامور مكاسب بارزة مستمدة من اليأس الناجع عن ضياع الاستقلال . . ولاريب فى أنها تمثل تحسنا أصيلا فى الاوضاع الافريقية .

ولكن هذه الآثار أو الحسنات لم تتحقق بطريقة بسيطة . . فلقد حمل الاستعمار الى افريقيا شروره وشقائه . . وكانت تجارة الرقيق فى الشكل الشرير الذى اتخذته من انتاج أوروبا وخلقها فيقال ان الونزو غونزالير الاوروبى وهو برتغالى الاصل كان أول من بين لانباء جلده فى عام ١٤٣٤ ان فى امكانهم أن يجعلوا من الافارقة سلعة يتاجرون بها . . ولقد اختطف فى عام ١٤٤٠ اثنى عشر افريقيا وضم اليهم امرأة من بنات جنسهم على الشاطئ أملا فى أن يراها بنو قومها فيسارعوا الى محاولة انقاذها . . وفى اليوم التالى ظهر مائة وخمسون افريقيا ، ولم يشعر البرتغاليون فى ذلك اليوم بالرغبة فى المجازفة وتعرضوا الى وأبل من الحجارة وسرعان ما حذا الاسبان بدورهم حذو البرتغاليين ليلحق بهم الهولنديون والفرنسيون والانجليز .

وشرع الافريقيون يهجرون الساحل خوفا من الاوروبيين وعندما بات من الصعب الامساك بهم واقتناصهم كان البرتغاليون من جديد أول من قام من الاوروبيين ببناء القلاع والحصون وراحوا يظهرن كل ضروب الليبرالية والصدقة وحملوا الهدايا والرسائل وأدلة الود وحسن السلوك معهم من ملكهم وشيدوا فى عام ١٤٨١ قلعتهم المشهورة سان



دبجودبلمبنا في ايلمينا ، ومازال العلة قائمة حتى يومنا هذا ورغبه  
 في حمل سيوح القبائل الذين أرخصوا أنفسهم ليعملوا في  
 على بون بابت ومستتر من العبد فقد اخلف جنح جديد لانزال  
 العقاب ... وفلسف بم ريف المنح العدمة وكان على مرتكبي الجنح  
 من الدرجة الاولى أن يعقدوا حربائهم وأن سلموا بها وكان على مرتكبي  
 الجنح من الدرجة الثانية أن يعطوا في حربائهم المذكور من أبناء أسرهم أما  
 مرتكبو الجس من الدرجة الثالثة فكان عليهم أن يعطوا في حربائهم  
 من أهلهم أيضا بالإضافة الى المذكور بنما نحس على معسرى الجنح الملعونين  
 من الدرجة الرابعة ، أن يقدموا جميع أقاربهم حتى السعدن منهم عبدا  
 ليكونوا فداء لجرائمهم ، وعلى الرغم من الفساد ومن الغلظة التي تميز  
 بها أهل الساحل من الافريقيين الا أنهم كانوا أعجز من أن يستطيعوا بيع  
 أطفالهم ، وكانت حجة الاوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر  
 انه اذا كان من حق الافريقيين أن يبيعوا أطفالهم فان من حق الاوروبيين  
 حتما أن يشتاعوهم وقد ثبتت هذه الحجة من سوء فهم الاوروبيين لمعنى  
 كلمة افريقية . ويستعملها الافريقيون للاستشارة الى ابن الرجل أو خادمه  
 أو أى شخص بقل عنه مكانة وقد فند رومير الهولندي في عام ١٧٤٩  
 هذا القول تعقيدا صحيحا .

وقد استند الحماس في جميع أرجاء أوروبا لموضوع إلغاء تجارة  
 الرقيق وقد ارتحل بارتاومبودى لاس كأساس أسعف شيابة في أسبانيا  
 الى المستعمرات الاسبانية في أمريكا واضطرب أسد الاضطراب لما رآه  
 من فظاعات نشرها الرق في أمزجة الاسبانيين هناك . وعندما عاد الى  
 اسبانيالقى خطابا امام الملك عارض فيه الرف معارضة شديدة . وأعجب  
 الملك أسد الإعجاب بخطاب الاسقف . ولكن على الرغم من أن الاسقف  
 هدده بغضب السماء اذا سمح باستمرار هذه الفظاعات التي يستطيع  
 وفها ، الا أن واقع المكاسب المادية كان أقوى أثرا في نفس الملك من مخافة  
 العقاب في يوم الحساب . وذاع صيت قس انجليزى في القرن السابع  
 عشر يدعى مورجان جودوين لما شنه من حملات عنيفة على تجساسة  
 الرقيق . وكرس جون دولمان وأنطونى بنزيت نفسيهما بما عرف عن  
 أفراد طائفة الكونكرز (١) من تعصب وعنف في أواسط القرن الثامن عشر

(١) جماعة دينيه بروسانية يطلق عليها أيضا اسم جماعة الاصدقاء اسمها في  
 بريطانيا في أواسط القرن السابع عشر جورج ايليوت (١٦٢٤ - ١٦٩١) . وقد عرس  
 هذا الرجل الذى آمن بأنه صاحب رسالة سماوية الى صفوف الاضطهاد والى السجن أكثر  
 من عشر مرات في حياته . وفسر هذه الجماعة الانجيل تفسيراً حرفياً . وهى تمارس في  
 الحرب وفي حلف الإيمان وتكرس نفسها لخدمة الفقراء .

للحملة في سبيل العاء الرق . وراح اولهما يطوف أرجاء أمريكا الشمالية  
بشن حملاته التسعواء على أبناء طائفته لاحفاظهم بأرفاء في خدمتهم  
يلزمون بالعمل لهم بينما افام الثاني مدرسة مجانية في مدينة فلادلفيا  
للعليم أولاد الزنوج .

وأعلنت جماعة الأصدقاء ( الكويكرز ) الدينية في عام ١٧٥٤ في  
منشيور رسمى وزعنه أن « العتس في دعة ورجاء على كد الآخرين الذين  
قدف بهم الحيلة والعنف بحث رحمك ، أمر لاسبق لا مع المسحبة ولا  
مع العدالة العامة » وليس به من سك في أن هذا المساق كان مضافا الى  
حد أنه لابد فد اعطى الانطباع بأن جماعة الاصدقاء بحلطون بين فزعهم  
من الدعة والرخاء وبين الشر المتمثل في الرق والمخلف كل الاختلاف .  
وراح الكنبرون من أفراد هذه الجماعة بما عرف عنهم من سفسائية .  
يحطمون القبود الى تفيد عبيدهم . ونقال انهم كانوا يؤمنون ايماننا  
صادقا بأن الملكية الشريفة حتى ولو كانت تافهة خير من الملكية الكبيرة  
المنحقة بوسائل لاعدل فيها . وقد تسلاحوا بهذه القاعدة الفلسفية  
وراحوا يركنون الى عهد من العاقبة المتدينة الورعة . أما أولئك الذين لم  
ينحسوا كل الحماس لهذه القاعدة فقد تعرضوا للنهيد بالطرد من  
الجمعة . لكن الكثيرين من العبد الذين تحرروا حاروا فيما يفعلون  
بحربهم الحديثة الاكسباب في أرض غريبة . وراحوا يعودون الى سادتهم  
السابقين ليعملوا خدما مأجورين عندهم . وتبين أن الطاقة الاناجية  
عند العبد المحررين قد ازدادت نتجة اوضاعهم الجديدة ولم تنقاس  
الاصدقاء عن استخلاص قاعدة جديدة تربط بين الفضيلة وبين الاردهار  
الاقتصادي . .

وكان هذا المل الذي ضربه الاصدقاء فدوه سرعان ماسار على  
منوالها انباع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة المتبشية (١) والكنيسة  
الانجيلية وراحوا يحررون عبيدهم في أعداد كبيرة وضحة . . لكن هذه  
الحركة لم تبدأ دون صعوبات نواجهها فلقد ندارس مجمع كنسي  
للمسيحيين في بنسلفانيا موضوع الخلاص من لعنة السماء التي تحيق  
بالمزددن في نحرر عبيدهم ولكن الاقتراح الخاص بهذا التحرير فشل  
عند الاقتراع بأغلبية ديموقراطية لا يزيد على صوت واحد ولم يكن الحافز

(١) الكنيسة الشيخية شعبة بروتستانتية عوم على الجمع بين الحكم الزماني  
العلماني والحكم الديني الاكليركي ممثلا في شخص شيوخ الكنيسة وترتكر السلطة في  
سلسلة متعاقبة من المحام والمجالس ويعتبر كلفن المصلح السويسري مؤسس هذه  
الكنيسة .



على المعارضه افقاروا الى الرحمة أو قسوه فى العؤاد وانما كان هذا  
الحاقير ما يحس به المسالمون من كراهة للوعد والهديد واللجوء الى  
القوة فى جميع القضايا حتى فضايا النملك ..

ولم يكن الاصدفاء فى بريطانيا أقل نساطا فى هذا الموضوع من  
اخوانهم فى أمريكا وكانوا فى هذا الوف بالذات من أصلب المتاضلين ضد  
الرقى شكيمه وعودا .. ويبدو أن الكبريين منهم على أى حال قد تأثروا  
بالانطباع الفائل بعدم وجود رفيق فى بريطانيا نفسها ... وانخذت  
جهودهم فى هذا السبيل طابع العرائض يقدمونها الى البرلمان طالبين  
تدخله فيما أسموه بالتجارة الافريقية المجحمة ونولدت لدى البعض منهم  
الفرضية الفائلة بأن هذه العرائض غير مجدية ، ذلك لان جهود الورع  
والاخلاق والعدالة غير المدعومة اضعف من أن تصمد أمام المصلحه  
والعنف والظلم ، وقد اصرف توماس كلاركسون (١) الذى قدم اطروحه  
فازت بجائزه من جامعة كمبريدج وهو خجل أنسد الخجل بأن القوى  
الاحيره كانت هى المسطره سطره قوة على السلطات التسريعيه لبلاد  
يقوم اساس الحكم فيها على الحره ..

ومن الطبيعى أن جرانفيل شارب (٢) كان قد أبدى اهتماما بالفا  
بالماء الرق قبل هذا التاريخ أى منذ عام ١٧٦٦ وفى احدى القضايا التى  
رفعت عليه نتيجة نساطه فى هذا السبيل أعلن فاضى القضاء هولت أن  
كل من يصنع قدمه على أرض انجليزية يصبح رجلا طيبا حرا .. وكان  
المحاميان نالبوت - وهاردويك وهما من أنسد الناس مكرا وحيله قد  
اقترحا فى عام ١٧٢٠ أن العمل الواقعى الممثل فى مجيء عبد الى بريطانيا  
لايضمن عليه الحق الرسمى فى الحرية وان فى الامكان ابعاده الى المزارع  
التي جاء منها وعندما أصبح هاردويك فى عام ١٧٤٩ .. صاحب سلطان  
بضمن له انفاذ رأيه هذا أى عندما أتى قاضيا أصدر فرارا بأن فى الامكان  
استعادة العبد الأبق بالقوة وأخذ موظفو حكومة جلالته مساعدون السادة  
على استعادة عبيدهم الآبقين ويزعم لايثمر أن مدير البرق والبريد فى  
مدينة بريستول استخدم فى إعادة عمد هارب اختفى فى بريستول الى  
صاحبه ..

(١) توماس كلاركسون Thomas Clarkson ١٧٦٠ - ١٨٢٦ ) أشد ساهضى

الرق فى انجلترا . عمل سباطه فى الخطب التى كان يلعبها والمشورات التى يطعها  
ويؤمها ، وحقق هذه فى عام ١٨٠٧ عندما مسدر قانون بحريم الرقيق والعائه فى  
بريطانيا .

(٢) جرانفيل شارب Granville Sharp ١٧٣٥ - ١٨١٣ . عالم بريطانى اسانى

اشهر امره فى حملة مكافحه الرقيق والدعوة الى الفائه .

وفشلت خدعة شربة اخرى لحرمان السادة من عبيدهم . . فلقد آمن المسيحيون ، ولهم كل الحق في هذا الايمان ، بأن أى عبد يعمد نصرانيا وبتناول الخبز المقدس . يجب أن يفدو حرا على الفور . اذ أن عمادته قد جعلت منه واحدا من ( عيال الله ) وعضوا في ( أسرة المسيح ) ووارثا موعودا ملكوت السماء . لكن المحامين سرعان ما اكتشفوا الطريقة التى يردون بها على هذا القول . وراحوا يقولون بشيء كثير من الاناه والصبر أن « العمادة » تمنح الحرية فعلا ، ولكنها حرية الروح ليس الا . . اذ تنقل الروح الافريقية من الظلام البدائي الذى يغرق فيه الجسد الى ملكوت الصفاء الالهى ومجده « فالعمادة » فى رأيهم عملية روحية مجردة . ولا يمكن ان تؤثر بأى حال من الاحوال على الاوضاع المادية للعبيد .

وكثيرا ما كان العبيد الآبقون ، وقد أصابتهم الحيرة من مستقبلهم الغامض ، واليأس فى سفائهم الراهن ، يفرقون فى حمات عميقة من الشفاء والفقر . وبظهور أمام محكمة « أولد بيلى » البريطانية متهمين بسرقات تافهة . وكانوا يعاملون أحيانا بشيء من الرفق والرحمة . ولكنهم كانوا يتعرضون أحيانا كثيرة الى أقسى مافى القانون من عقوبات .

وعندما وجهت فى عام ١٧٨٠ تهمة الى أحد العبيد بأنه من مشرى الفن والاضطرابات ، راح السير جون فيلدينج ، وقد أعماه الغضب ، بعد أن كان فى البداية قد احتج احتجاجا وادعا على شحن العبيد الى بريطانيا ، يعلن أن من الاجحاف بعد أن أنفق الكثير على تسليمهم شئون العمل كخدم فى المنازل ، ان ينقلوا الى انجلترا كخدم لقيمة ولاحق لهم فى أى أجر واشتدت به الحماسة ثم قال :

ولكنهم لا يكادون يضعون أقدامهم على أرض هذه البلاد حتى بصوروا أنفسهم على قدم المساواة بغيرهم من الخدم فيسكروهم رحيق الحرية وتسندهم عنادهم وتفوى مشاكستهم ويشرعون اما بوحي من الآخرين أو بوحي من أنفسهم يطالبون بأجور نقررها لهم آراؤهم هم فما سنحفظونه ولما كان هناك عدد كبير من السود من رجال ونساء قد أثاروا الفن وخلفوا المتاعب والمخاطر للأسر التى جاءت بهم من هناك بقصد حمل هذه الأسر على طردهم من خدمتهم فان هؤلاء المفصولين يشرعون فى تأليف الجمعيات ويضعون نصب أعينهم دائما افساد عقول جمع الخدم السود لحملهم على التذمر وذلك عن طريق تعيمهم أولا . . ثم زواجهم ثانيا بعد افهامهم بأن العمادة والزواج يحررانهم من الرق . . وان لم يصدر بذلك أى قرار قضائى لكن أقوالهم هذه تحقق غايتها فى حشد السود الى جانبهم مما بشر الكثير من المتاعب . . وينذر بالمزيد من

الاضطراب اذا ما حاول اسيادهم استعادة ملكيتهم لهم بعد ان فسدت عقولهم  
ويصبح من الافضل لهؤلاء الاساد ان تتحلوا عنهم نهائيا اذ ان هناك  
اسبابا عدة تدعو الى الاعتماد بان هؤلاء السود الدس اعدوا الى المزارع  
كانوا القله فيما وقع من اضطرابات احره في حرر الهند العربيه ولارب  
في ان من عدم الاسانيه نقل السود الى بلاد حره . .

هذا ما قاله السير جون ولا رب في أنه سم عن أسارب رائغ . :

وراج الأب المحترم جيمس رامري يجارى عبنا اكساف بعض السود  
في فواين المستعمرات ليسطيع الاعتماد عليها في المطالبة بتخفيف سعاد  
العبيد ولقد أصدر كتيباً دعاه « بحب في معاملة العبيد الافريقيين في  
مستعمرات السكر البريطانية والبسيير بينهم » وقد طبع هسدا الكتاب  
على نفقة بعض الأصدقاء في الهند العربيه الذين جازفوا بضياح ممتلكاتهم  
الخاصه وبالتعرض لسوء نوايا عدد ضخم من الأفراد في انجلترا نفسها  
وازعاجهم ، وصدر ردان على هذا الكتاب في غضون ثمانية أشهر حمل  
أحدهم اسماً « ملاحظات سطحية على كتاب المستر رامري » ونضمن  
انهمام صريحة للنس بالمبالغة والكذب والتصيل وقد رد أصدقاء رامري  
بان كتاب الملاحظات هذا جهد اساني مسكور ولكنه حال من الصلحه  
والصدق ولا يعدو أن يكون هجوما مسموما على رامري ملينا بالهجوم  
المزعج على رجل من رجال الله .

أما الرد الثاني وقد حمل اسم « ببربر الرفيق » فقد أكد أن الناس  
لا يخطفون أبدا على سواحل أفريقيا العربيه وان معاملته العبيد في منتهى  
الرفه واللين ، وانهم يعيشون في أوصاع يعوق في راحتها وسعادتها كل  
ما يمكن للعمل أن يتصوره ويعفر للمرء أن بنصور أن ادراك مؤلف هذا  
الكتاب وحياله كانا من النوع العبي كل الغباء وعلى الرغم من كل هذا فقد  
افرح سن فابون يفصى باعتبار خطف الناس في أفريقيا لبيعهم عبيدا  
عملا اجراميا وكذلك قتل أى عبد عن سابق عمد واصرار اساء عمله من  
مكان الى آخر وقد ألقى بحارة احدى البواخر في عام ١٧٨١ بنحو من  
(١٣٢) أفريقيا كانوا في طريقهم الى المزارع الامريكية في البحر للاحيال  
على أصحاب الباخرة ، وافرح المؤلف أيضا بتخصيص الاراضى للعبيد  
عند وصولهم الى المستعمرات بالنسبة الى اعدادهم وألا يعملوا في أيام  
الآحاد أو الأعياد ، وأن يمنع تشغيلهم في الليسل أو ساعات اضافيه  
وأن تمنح للمجيدين بعض الهبات كبذلة اضافيه في السنة وان تعنى  
بالعجزة وذوى العاهات من العبيد .

الا يرى المرء في هذا دلائل على وجود ثورة اشتراكية ؟ بالطبع  
كان دعاة الغاء الرق واقعيين الى الحد الذى يحملهم على ابتكار بعض الحجج

الاقتصادية وقد اعتبروا أن من أكثر الأمور برورا ووصوحا ٠٠٠ هو أن متابعة هذه التجارة اللعينة والسير فيها يؤدى إلى إهمال مصدر صنم من مصادر الثراء فى أفريقيا فلو اتخذت الاجراءات المناسبة الصالحة لارداد دخل هذه البلاد - أى انجلترا - زيادة كبيرة ولتضخمت فونها البحرية ولبنات مستعمراتها فى وضع أكبر ازدهارا وعدا مرارعوها أعظم ثراء ، ولتحويل هذه التجارة التى تعتبر الآن باعنا على سفك الدماء والدمار إلى أخرى يمكن للمرء أن يسير فيها بسرف وأن يجنى منها أكبر الارباح ٠٠

ويبدو أن دعاة الالغاء قد فاروا أخيرا فى معركتهم بفصل ما تقدموا به من مبررات اقتصادية لدعواتهم الاسانية فعندما اكتفت بريطانيا بالعبيد الذين نفلوا عبر الأطلسى من أفريقيا للقيام بأعمال الزراعة والخدمة فى مستعمراتهم راحت ترفع شعار الدعوة لخطر هذه التجارة ومنعها ، لكنها عندما نأكدت من أن الأعمال التى يقوم بها العبيد عبر الأطلسى نفعها إلى المزيد من اليد العاملة راحت توفى هذا الشعار وتعديل عنه ، وبالطبع ليس نمة من علاقة لابد منها بين الأمرين ولكن السوء المؤكد الباب هو أن هناك حقيقة لا يمكن أن تكون قد فاتت على أحد من المسئولين الانجليز وهى أن الافريعيين الذين نفلوا عبر المحيط لا يمكن أن يعودوا إلى بلادهم فى أعداد كبيرة نهى سوق العمل فى مستعمراتهم وكان الجميع لا يزالون واقعين تحت تأثير فكرة آدم سميث<sup>(١)</sup> القائلة بأن عمل السخرة لا ينتج . ولا ريب فى أن مما يسرف بريطانيا أنها رفعت شعار الالغاء وطبقته رغم كل معارضة ورغم كل مقاومة (٢) ٠٠٠

وفى جنوب أفريقيا أقام المستوطنون الهولنديون مستعمراتهم على

---

(١) آدم سميث ( ١٧٢٣ - ١٧٩٠ ) عالم الاقتصاد السياسى المشهور من اصل اسكتلندى درس فى جامعة جلاسكو واكسفورد ثم من اسنادا للفلسفة فى أولاهما ٠٠ أشهر كتبه « ثروة الأمم » وقد أصدره فى عام ١٧٧٦ ويشرح أساس الاقتصاد السياسى الحديث إذ كان أول كتاب وصفت فيه قواعد الاقتصاد على أساس علميه وأهم ماصدر فى التاريخ من كتب .

- المغرب -

(٢) على الرغم من الساقص الذى أورده المؤلف عن موقف بريطانيا من انهاء الرق فلما برأها يطربها على موقفها فى الغائه مع أن هذا الموقف كما سبق أن أسلفنا بالنسبة إلى الأفراد شرط عليه القيم الحضارية والشرائع الدينية مما لا يستحق معه منخله أى اطراء أما بالنسبة إلى اسعاد الشعوب فلفد ظلت بريطانيا ومازالت تمثل القوة الاستعمارية الاولى فى العالم على الرغم من ادعائها أخيرا أمام التطورات الحتمية وأمام ارادة الشعوب مما دفعها إلى التخلص من بعض مستعمراتها ٠٠

- المغرب -

أعضاء ما أنزلوه من دمار بفبائل الهونتوت الافريقية طلبا للسليبية والمنعة  
وكان اندردسبارمان أسناد علم الطبيعة فى جامعة اسنكهولم وعضو  
أكاديمية العلوم الملكية فى السويد أحد الدين أعربوا عن فرعهم من هذا  
الوضع بعد زيارة قام بها للبلاد فى عام ١٧٨٥ .

واكتسبت المافسات فى هذا الموضوع فى هولنده طابعا أكاديميا  
لأن عدد الافريعيين الدين نفلوا الى البلاد كان صئيلا واكنفى الهولنديور.  
بالمناجرة بالرفيق عبر الاطلسى و نائب المافسات سركر حول المزابا العقلية  
والخليفة للانسان الافريقى أكبر من مركزها على أدصاعه الاجتماعية ومع  
ذلك فقد ظهر هناك طالب أفريقى فى جامعه ليدى يدعى جاكوبوس ايليزا  
كاثيئين من أهل ساحل الذهب ، كسب فى عام ١٧٣٨ بحيا نافس فيس  
موضوع الرفيق فعال ان الرقى لا ينافض مع المسيحية وان فى الامكان  
أن يكون أداة لها وراح بعد ذلك بمقدم بالسكر الجزيل الى أوروبا على  
تجارها بالرفيق ، السى لولاها لما كان يدرس فى جامعه ليدى ، ولما كان  
يظهر نفوه فى اللابينية واللاهوت ، وفد عاد هذا الرجل الى ساحل  
الذهب فى عام ١٧٤٢ وأصبح ركبا من أركان الحكم فى قلعة سسان  
جورج ديلمينا ، النى كانت آنذاك فى أيدى الهولنديين وبع فى عام  
١٧٤٥ برسالة الى كبراء سركره الهند الهولندية الغربية فى هولنده يروجهم  
فيها بأن يسمحو له بالرواج من امراء افريقية يرى فيها النواضع والجمال  
مخافه أن ينهزم أمام غواية الشيطان وأعرب عن استعدادة لارسالها الى  
هولنده ليتولوا فحصها ولتنال قسطا آخر من التعليم المسيحى .

وصدرت فى فرنسا مطبوعات عدة تعرض جانبى القضية بالطريقة  
الصحيحة بينها بحث عن الغاء الرقيق يحمل توقيع رجل يدعى رينول  
وقد ترجم الى الانجليزية فى عام ١٧٩٢ . واستمعت الجمعية الوطنية  
الفرنسية الى عدد من الخطب تأييدا للافريعيين وللأشخاص من ذوى الدم  
المختلط . . . . . ألهاها هنرى جريجوار أسمقف أبرشيه بلوا وبينها خطاب  
مؤثر كل السانير ألقاه فى عام ١٧٨٩ وقدكتب المذكور عدة دراسات مقارنة  
عن الرق فى العصور القديمة والحديثة ، وأصدر فى عام ١٨٠٨ كتابا عن  
الطاقات الفكرية والمعنوبة عند الزنوج ، وعن آثارهم فى الأدب والعلم وقد  
ذبل الكتاب بثوارىخ حياة خمسة عشر شخصا من البارزين منهم . .

ولا ريب فى أن هذا الكتاب أثار عاصفة قوية من الاعتراض وانهالت  
الردود على المؤلف ونشر أف . آر . توساك بصورة خاصة صيغة غاضبة  
من المستوطنين ضد جريجوار وراح يدافع وينفى الاتهامات التى أسماها  
خبثية ومغرضة والننى وجهوها اليه ، وأتبع هذا الرجل بحنه هذا بكتيب  
أصدره فى عام ١٨٢٦ تحدث فيه عن نبالة الدم وأصالة العنصر . . وحمل  
فيه حملة شعواء على الفلاسفة المؤبدىين للزنوج . . .

لكن العاء الرو كان بمنابة نوره فى طبيعته ولا ريب فى أن هذه الطبيعه لا يمكن أن نعلم من فصينه وفد كسب جى . اسى . فان يورى فى كتابه « الزوج والرفيق الزوجى » الذى أصدره فى نيويورك فى عام ١٨٦١ يقول :

يخلق المزارع الجنوبي معطه مدفوعا باحساسه بالسوق الذى يجعله خجلا من الرجوع الى الأساطير أو قبول الغرض منها ، ويعمل على العمل مع عبيده فى نفس العمل وفى نفس المهام ولا يحظر ببسالة مطلقا . . ان هذا الرجل سيئاسه على نفسه أو على مكانه المساواة . ولقد قال أحد عملاء الساسة والعسكريين من أهل الجنوب داب يوم . لا يحظر ببسالة مطلقا احتمال قيام الزوج بورة عليها تماما كما لا يحظر ببسالة أبدا قيام أبفاننا وحيادنا بمنل هذه البورة ويحكم المزارع عبيده بصوره طبيعيه كما أن الزوج يطيعونه بدافع الغريزة ويكون العلاقه بينه وبينهم علاقه طبيعيه ومنسجمه وحميه ولما كانت مصالحهم واحده ولا تتجزأ فليس نمة من سبب أو دافع يدفع السيد الى اساءه استعمال سلطانه أو يدفع العبد الى البورة على سيده . . « ويبدو أن الجنوب قد عسى اليوم ما قاله بالأمس . فقد فدى عهد الرفيق بعدد من وجوه الافريقيين فى أوروبا وأمريكا . وفد عاشت بعض السجلات التى حلفتها هؤلاء . وفى وسع المرء أن يذكر بالنسبة الى أوروبا رجالا من أمثال أبوبا كوجوانو ، وأغناطيوس ساسمو وجوستافوس فاسسا وأبطون ويلهلم عاموس وسبق لى أن ذكرت اسم كابيتين . ولد أبوبا كوجوانو فى أجوهاكو فى غانا ، وفد خطفه النحاسون الاوربيون ، وهو طفل مع عشرين آخريين من العلمان والعنيت بعد أن هددوهم بالسيوف والرماح . وفد روى فى سيرة حياته التى كتبها بالانجليزية وترجمت الى الفرنسية ، كيف سجن هو ورفاقه ، وكيف اقتصر ما كان يسمعه على رنين القبعود ، وصرب السياط وصياح الرفاق من السجناء . وتحدث عن رحيله وعن الصرع الى السماء . وعن الدموع التى اسنجم فيها هو ورفاقه ، وقال ان هذا المنظر « كان كافيا لاستثارة أفئدة أعتى العلوب وأغلظها ، من الوحوس بله البشر ، وأرجو أن تصدقنى أبها الصديق ان قلت ان النصر الذى نحقق على اللا أخلافيه والكبرياء جدير بالابطال أكثر من النصر الذى نتحقق فى ميدان الطموح وميادين الوغى والقتال » .

ولقد سيفغوا الى غرناطة ، حيت الهبت جلودهم بالسياط . وذلك لأبهم بدلا من العمل أمام الآحاد ، كانوا يقتلون أوقاتهم عن سعه وعمسه فى الكنائس . وبالطبع لم يسبق لأحد ، ان امتدح آراء الافريقيين فى أمام الآحاد . وكان هناك حاكم فى أفريقيا الغربيه مثلا ، أخذ بعلم الافريقيين الاناجيل فدعاهم ذات يوم الى الاجتماع به ، وأخذ يوجسه اليهم أسئلة

ليخبر معلوماهم عن الله ، وقد رد أحدهم ، بأنهم يحبون الله حباً جماً ، لأنه خلق لهم سنيين ، أولهما يوم الأحد الذي لا يعملون فيه ، وبانيهما النوم ، وهو العرة التي لا يعمل فيها الأسان ، وفي عرابته ، عندما رأى السادة أن عبيدهم الأفريقيين يجلسون كسالى يمسكون فصب السكر . راحوا يعالجون المسألة من جذورها فافعلوا أسنانهم ، ويمكن اللورد هوأ أخيراً من تحقيق الحرية لكوجوابو ونفله معه الى انجلترا . وانفل في عام ١٧٨٨ الى خدمه كوزواى الرسام الأول آنذاك للأمير ويلز . واسمر كوجوابو في لندن وبسى بامرأة انجليزية وقد أطراه صديقي له يدعى « بياولى » اطراء سديدا . وحدث عما يميز به من ورع ومن دماه خلق ونواضع وسمم ومواهب عظيمة .

أما اغناطيوس سانسو ، فقد ولد على ظهر باخره من بواخر النحاسية . كان نفل والديه في طريفهما الى حياة الرف والعبودية . وقد سمى باسم اغناطيوس في مدينة فرطاجنه . وكان جون لوك قد أبهر الى ساحل أفريقيا الغربى في عام ١٥٥٤ وحمل معه في طريق عودته الى بلاده سحنة وصفها سانسو بأنها من الأرقاء السود ، بعضهم من الفارعى العوام الأقوياء البنية ، وقد ذكر هذا النحاس أن الأفريقيين كانوا ينفلون الى حد كبير طعام الانجليز وطريقنهم فى الحياة وان كانوا يشعرون بىء من الأذى من برودة طفس انجلترا ورطوبه . ولم تستطع والدته اغناطيوس احتمال هذا النفل فى المناخ فانفلت من هذا العالم بهدوء محلفة ولدها . ويمال ان والده قد اسحر بعد أن أصيب بلونة فى عقله ، فقد من جرائها انزانه ، وكان اغناطيوس الآن قد بلغ سن الثانية من عمره ، فنفل النحاسون الى انجلترا حيث ابتاعه اخوات نلاب يعسن فى جرينوبتش ، كن فى مقبل العمر . وتميز بعد أن دب نحو السباب بالحكمة ، وروعة الحلوى ، حتى انهن أطلقن عليه اسم سانسو ، وحدث أن مر به ذات يوم دوفى موساج ، وكان الدوق يمنطى صهوة جواده ، فرأى هذا الصبى الأسود وقد اغرورت عيناه بالدموع ، فتوقف اليه بحدنه ، ويسأله ، وأعجب به . ثم أفرضه بعض الكنب . وأخذ الدوق بعد ذلك يوجهه فى تعليمه . وتوفى الدوق ، وبوفاه انفل سانشو الى حياة من المتاعب النى خاض فيها الى أخص قدميه حتى أحست الدوقة بالاشفاق عليه ، فنقلته الى خدمتها كساق فى قصرها . وعندما ماتت هى بدورها ، أوصت له بسبعين اجنيها نقدا وبجعل سنوى قلمره ثلاثون جنيها . وعاد يواجه الشقاء والمناغب الثانية الى أن استقر به المطاف أخيراً فى خدمة أسرة ذات مكانة محترمة . وأخذ سلوكه تتحسن بعد أن تردى فى فترة الشفاء التى مر بها ، وتزوج من سيدة ولدت فى جزر الهند الغربية . واستكان أخيراً الى الحياة ، وأخذ ببنى أسرته بكثير من النفر والاعتماد الرائع على نفسه ،

ولما يمض طويل وقت حتى كانت هناك أسره كبيرة تحمل اسمه .  
 وحقق لنفسه احترام الآخرين ، بفضائله ، ورصانة حياته البينية ،  
 وان كانت بعض المرات قد أخذت بحر في نفسه منذ عام ١٧٧٣ . وكانت  
 دوفة كنت صديقه له ، وقد نلقت منه عدة رسائل ، ملأها بالنصائح  
 والمواظ . وكان مولعا الى حد كبير بالافتباس من سعر النسيه . وقد  
 نشر آراءه في نجارة الرقيق وفي استعباد القارة الافريقيه وترجم كتابه  
 هذا الى الفرنسيه . وقد نوفى في عام ١٧٨٠ وصدرت بعد وفاته طبعه  
 تضمنت جميع رسائله .

وولد جوستاس فاسا تحت اسم أولاندو ايكويانو من أب يعمل  
 نابعا للملك بنين في نيجيريا . واختطفه النخاسون مع شقيقه وباعوهما  
 الى تجار الرقيق النصارى الذين حملوهما الى جرينيا . وهناك ابتاعه  
 ضابط هو الرئيس آم . اشى . باسكال ، الذى حملة معه الى انجلترا ،  
 حيث أسماه فاسا ثم أسكنه في «جيرنس» . وقد اشترك فاسا في الحملة  
 على لويزبرج في عام ١٧٥٨ تحت قيادة أمير البحر بوشافين . وكان يبحر  
 على نفس الباخرة التى أفلت الفريق وولف الذى شهد ساشا بدمانة خلفه  
 وكربم معاملته وتحول ساشا الى المسيحية في عام ١٧٥٩ .

وبلغ أسقف لندن في عام ١٧٧٩ الرسالة التالية :

« سيدي »

أقمت نحوا من سبع سنوات على ساحل أفريقيا كنت في غضون  
 معظمها الضابط المسئول . واني بما أعرفه عن البلاد وأهلها ، ميال الى  
 الاعتقاد بأن الحطة المرفقة ستلقى نجاحا عظيما ، اذا رعينها نيافتك  
 وأقررتها . واني لأستميحك العذر ياسيدي ، لأقول ان حططا مشابهة  
 لها قد لعبت نجاحا منقطع النظير ، عندما وجدت التشجيع من الحكومات  
 الأخرى واني لأعرف الآن ، شخصية محترمة كل الاحترام ، في قلعة ساحل  
 الكاب ، صاحبها قسيس من السود . ويدعى هذا القس جوستافوس  
 فاسا ، وهو رجل في منتهى التلق العظيم .

الى الشرف ياسيدي أن أكون خادم نيافتكم المطيع

ماثيو ما كنمارا

لكن نيافة الأسقف ، لم يلب ما طلبه كاتب هذه الرسالة وهو أن  
 يرسم فاسا قسا أنجليا . وبدلا من أن بسام كاهنا عين في وظيفة مدنية  
 كمقوض للمخازن والتمويل لفقراء السود في سيراليون . وبني في نفس  
 العام أى عام ١٧٨٧ ، بكريمة جيمس وآن كالين من أهالى بلدة ايلي . وقد



أدرج اسمه في لائحة السرف في مجله الساده «Gentleman's Magazine»  
أغسطس عام ١٧٩٢ وفي «مجلة الأدب وسير الحياة» في مايو ١٧٩٢ .

وولد أنطون ويلهلم عاموس على مقربة من أكسيم حوالى عام ١٧٠٠  
وكان والداه قد اعتنقا النصرانية على مذهب الكنيسة الإصلاحية الهولندية  
وأوفد هو إلى هولندا عن طريق جوهان فان دير سنار المبسر في ساحل  
الذهب . ليسنزييد العلم بالمبساىء المسيحية بعيدا عن تأثير مواطنيه  
الوثنين وليعود بعد استكمال الدراسة إلى بلاده ليكون مبشرا وواعظا .  
وعندما وصل عاموس إلى هولندا . برددت شركة الهند الغربية الهولندية  
المسئولة عن التجارة وأعمال التبشير في غانا ، فى تحمل نفقات دراسته  
وعجز أصدقاؤه عن العنور على أى شخص يتولى إيواؤه فورا ، وحذب فى  
ذلك الآونة أن أصدر أنطون أولريك ، دوى برنزيك ، بعد أن رأى ما فى  
المذهب السائد فى أوجزبرج من اهتراء ، كنيها صمته حمسين سببا يدعو  
المرء إلى التحول إلى الكنيسة . وافتنع عاموس بهذه الأسباب . وتحول إلى  
الكنيسة ، وراح يعيش فى داره الدوى فى « وولفنبول » إلى أن التحق  
بجامعة هال ، وراح يدافع فى رسالة سرها عن رده إلى الكنيسة ، وجاءت  
رسائلته وطنية إن لم نقل عنصرية فى موضوعها . وقال مسندا إلى  
بعض حجج التاريخ والقانون أن ملوك أفريقيا كانوا فى الماضى البعيد أنباغا  
للإمبراطورية الرومانية وإن كل واحد منهم ، كان يحمل براءة ملكية من  
الأباطرة من أمثال جوستينيان ، وكان يجد لزاما عليه أن يحصل عليها  
من رومة نفسها ، ومضى يقول أن الأفريقيين قد ورتوا عن طريق هذه  
العلاقة بالرومان بعض القوانين ، التى تؤكد أن شراء المسيحيين الأوروبيين  
لهم واستعبادهم ، أمران غير مشروعين . وكان عاموس يحاول التضييق من  
سمة الفروق القائمة بين الحضارتين الأفريقية والمسيحية وهى الفروق إلى  
كان المسيحيون يستخدمونها كمبرر لتجارة الرقيق (١) . وانتقل بعد  
ذلك إلى مدينة ويتنبرج ، حيث أصبح أستاذا للفلسفة فى جامعته . فى الوقت  
الذى كان فيه الفيلسوف الألماني « كانت » لا يزال صبيها ، يعيش فى تلك  
المدينة . ودافع فى عام ١٧٣٤ ، عن مؤلف قال فيه : إن الإحساس ليس  
من الأعمال العقلية مطلقا . وقد أنارت بعض النتائج التى وصل إليها  
فى حينه موجة من الاستغراب والدهشة . وكان يرى أن العقل إذا كان  
بستوعب بعض الأفكار المتعلقة بالادراك الحسى فإن استيعابه لها ، ليس

(١) لا بد أن لحا الإسماعيل الأوروبى إلى استخدام هذه العروق مررا لتجارة  
الرقيق فقد عودنا الاستعمار أيضا ، أن يلجأ إلى استخدام مايرمه من تأخر بعض البلاد  
فى القارتين الأفريقيه والاسيوية مررا لاستعمارها ، مدعيا الرغبة فى انهاءها ، بينما هو  
فى الحقيقة لا يهدف إلا إلى استغلال خيراتها ، وابتزاز ثرواتها .

بناجم الا عن طريق «الحال» ، وذلك لسبب الطريقة التى تتوالد فيها الأفكار عند دعاة الفلسفة التجريبية . ولما كانت هناك استحالة فى هذا ، فقد توصل الى الاستنتاج القائل بأن العقل يحلو والحالة هذه من أمثال هذه الفكر . وكان يرى أن أية فلسفة نجعل من العقل شيئاً ذاتي الساط ، وجامداً فى آن واحد ، هى فلسفة بلعائية التناقض ، كما أن حالة وجود الأفكار الحسية فى العقل البسرى ، مشكلة دائمة الحيرة بالنسبة الى الفلاسفة التجريبيين . وكان عاموس فيلسوفاً عقلياً من أنبساط ليبنتز ، الذى يعرف اليه ، وهو صبى فى دارة دوى برنزويك ، وقد أطرى الجميع ما حققه فى دنيا الفلسفة . وقد وصفه رئيس دائرة الفلسفة فى الجامعة وأساتذتها بأنه رجل من أنبل الرجال وأكثرهم شهرة ، جاء من أفريقيا فكان مملاً بارزاً للأمانة العلمية والذكاء والمباورة والمصافة التى بذ بها كلها جميع أقرانه . وقد أصدر فى عام ١٧٣٨ كتابه « العمل العظيم Magnum Opus » الذى ضمنه آراءه فى المنطق ونظرية المعرفة والغيبيات .

وكان الجميع يحبونه ويجلونهم ، وكان فى طليعة الموكب العلمى الذى خرج لاستقبال فريدريك ملك بروسيا عند زيارته لجامعة هال فى عام ١٧٣٣ . وقد أعجب الامبراطور بالموكب أسد الإعجاب حتى أنه قدم الى المشركين فيه وبينهم عاموس ، جراراً من خمر الراين . ولكن الفيلسوف الافريقى ما لبث أن تحدى الحظر الذى فرضه فريدريك على الفيلسوف « وولف » وآرائه ، وراح يحاضر فى جامعة هال ، عن أفكار وولف (١) السياسية . وانتقل فى عام ١٧٣٩ الى فيينا حيث أخذ يدرس فى جامعته وهكذا نرى أن عاموس قد درس فى جامعات وبنبرج وهال وفيينا . واتخذ له عبارة من ابيكتيتوس (٢) ، جعلها شعاراً له فى فلسفته ، وهى أن المرء الذى يعود نفسه على العسر رجل حكيم ، وفيه شيء من صفات الفداسة . ولقد ذكر عاموس أنه دون هذه العبارة على صفحات عقله ، ليظل ذاكرة لها على الدوام . وقد تعلم العبرانية والاغريقية واللاتينية والهولندية والفرنسية والالمانية ولو أجهد نفسه قلباً لتعلم الانجليزية ، لكما نعرف عنه اليوم أكثر مما عرفنا حتى الآن ولقد برز ما حققه من نجاح ضخم فى

(١) فيلسوف ومفكر سياسى المانى عاش فى دوقية برنبروك فى المانيا فى مطلع القرن الثامن عشر ، وقد بسيت مكتبة عامة باسمه فى المدينة على غرار الباشيون الرومانى .

(٢) ابيكتيتوس (Epictetus) . فيلسوف افريقى من أهل مقاطعة فريجيا . عاش رداً طويلاً كعدى روما ثم فى أيبروس . ومن نظرياته أن على المرء أن يجد السعادة فى نفسه .

ألمانيا ، فى سمينه مسنشارا فى محكمة برلين • وقد عاد الى غانا بعد عام ١٧٤٣ ، حيث توفى متأثرا من الضيق والسامة •

ولعل النشء المهم ، هو أن هؤلاء الناس قد أبيع لهم أن يحطوا بقسط من التعليم ، فى تلك الايام • أما اليوم فقد خففت الحواجز المفروضة على تعليم الافريقيين فى أوروبا بالنسبة الى ما كانت عليه فى الماضى • فلقد أصدر رئيس بلدية لندن وأعضاء مجلسها البلدى فى عام ١٧٣١ ملاء ، قانونا يحظر تدريس الحرف للزواج فى الجامعة • ولم يكن نصيب من نتاج له بعض فرص التعليم منهم الاعجاب والتقدير دائما • وقد كتب بوزويل (١) عما أحس به فرانسيس باربر ، خادم الدكتور جونسون من تحرف على الحرية يقول ٠٠٠٠ « وقد اكتشف فى خادمه سعورا أكبره كل الاكبار ، هو الحماس الذى لا حدود له للحرية » • ولكن بوزويل هذا حزن أشد الحزن للمحاولات التى يقوم بها البعض « لالغاء مثل هذا الفرع الضرورى والهام من مروع جنى الأرباح الجارية » •

وكان بعض الافريقيين بحسبون بسىء من القناعة والرضى لبقائهم عبيدا فى بريطانيا فى وقت كان بباع فيه الاسكونلنديون عبيدا أيضا • ويعرض لنا الفرنان النامن عسر والناسع عسر حالات لا عد لها ولا حصر من بيع الأزواج فى لندن لزواجهم بيجا علنيا • ولقد نشرت صحيفة التايمز اللندنية فى عددها الصادر بتاريخ التاسع عسر من يوليو عام ١٧٩٧ الرسالة التالية :

« لم يذكر بسبب خطأ غير منعمد فى النبأ الذى نسرناه عن سوق سميث فيلد ، معدل الأسعار التى بيعت بها الزوجات فى الأسبوع الماضى ٠٠٠ ويعتبر بعض البارزين من الكتاب ، ارتفاع أسعار الجنس اللطيف ، دليلا واضحا على انتشار الحضارة ٠٠٠ »

« وهكذا فان من حق سميث فيلد ، أن يدعى نحسنا ملموسا وواصحا ، اذ أن أسعار الزوجات فيه قد ارتفعت من نصف جنيه للزوجة الواحدة الى ثلاثة جنيهات ونصف الجنيه • »

ولعل أقرب شبه لاستعباد الافريقيين من قبل الأوروبيين هو ما لقيه

---

(١) جيمس بوزويل James Boswell ١٧٤٠ - ١٧٩٥ ) مؤلف اسكونلندى وكاتب سيرة الكاتب المشهور صمويل جونسون • ولد فى ادنبرة ودرس فى حامتها وفى حلاسكو درس القانون حيث تعلم على آدم سميث • له عدة كتب دفاعا عن الشعب الاسكونلندى •

اليهود من اضطهاد على الصعيد العالمى (١) ولكن تجارة الرقيق هي النمر الذي دفعه أفريقيا للثورة الفكرية التي عنها انصالتها بأوروبا لها .

وما زالت أفريقيا تدفع هذا النمر في القرن العشرين وإن كان في شكل مخفف . وكان من رأى اللورد بيرنهام ، في مطلع هذا القرن تقريبا أنه ما كان في الامكان أن نسير صناعات أوروبا فدما الى الأمام دون الذهب الناتج في جنوب أفريقيا . وكان في وسعه أن يقول ان أفريقيا هي العامل الوحيد الذي احتل أهمية مبعطة النظير بالنسبة الى أوروبا . وقد أمنت تجارة الرقيق أرخص يد عاملة في الوجود لأوروبا ، وكان الأوروبيون يحصلون على الذهب اما من المناجم أو من التجارة الشاذة غير المتكافئة في أفريقيا ، وضمنت هذه القارة لأوروبا الرساميل الضخمة التي مكنت الثورة الصناعية من الظهور . ولقد ظلت أوروبا تعتمد حتى في هذا القرن اعتمادا مباشرا على المواد المعدنية التي تحصل عليها من أفريقيا ، وبينها الذهب والمنجنيز والأورانيوم والبوكسيت والشمسفيح والزيت والحديد وهناك كميات لا عد لها ولا حصر من الماس .

وقد كان لمناجم النحاس في كاتانجا القول الفصل الى حد كبير في بفرير مصير الحرب الكونية الأولى . فلقد شجنت مئات الأطنان من هذا المعدن من الكونجو الى بريطانيا وغيرها من البلاد لتستخدم في صناعة العناد وفي انتاج مختلف أنواع الأسلحة . ويقال أن الألمان كانوا في نفس الوقت يتحرقون على أسد من جمر اللظى للحصول على هذا المعدن فأخذوا يصهرون ما لدى الشعب الألماني من أوعية نحاسية لهذا الهدف . وقد ساعد اكتشاف معدن المنجنيز في ساحل الذهب ابان الحرب ، أيضا

(١) جانب المؤلف في هذا السببه ، الحيفية كل المجانة ، اذ لاوجه للسببه مطلقا من الافريقيين الذين استعدهم الاستعمار واليهود . فهناك بالنسبة الى الافريقيين اولا قصبة ارض ووطن يستعبد الاستعمار ليسفل موارده ويستنفذها لمصلحته . بينما ليست هناك مثل هذه الاوضاع بالنسبة الى اليهود المتشرئين في كل ارض في العالم يستنزفون هم خيراها . وهناك بالنسبة الى الافريقيين قضية اعداء سافر يقوم به الدول الاوربية الاستعمارية العادمة من وراء البحار بقصد الغزو والاحتلال والاسجار بحرية الانسان وكرامته . أما بالنسبة الى اليهود فليست هناك من هذه الظواهر اى شيء . وانما هناك جماعات من اليهود بشعر بالتفوق المصري على غيرها لانها « شعب الله المختار » تتصرف تصرفات تثير المشاعر المصرية عند الآخرين ، وهيبك بالنسبة الى الافريقيين رفيع يستخدم في اعمال السخرة وتسر طاقاته الانتاجية محالاً لخدمة المستعمرين والراسمالين الاحباب اما بالنسبة الى اليهود ، فهم رغم أنهم اقلية في كل بلد من البلاد يسخرهم طاقات الشعوب الى يعيتون معها في الانحاج لضحيهم اموالهم ، وريادة ارباحهم بوصفهم الطغمة الراسمالية الحاكمة . ومن هنا يسر أن هذا التشبيه خاطيء كل الخطأ ولعله نجم عن تأثر بالدعايات الصهيونية الى تحاول خداع الشعوب الافريقية .

— المغرب —

على زياده كفاية الطائرات البريطانية زياده كبيره . وقد ضمنت هذه البلاد أيضا تمويينا مستمرا لبريطانيا من غاز الكلورين عن طريق هذا الاكتشاف النفيس .

وحصلت أوروبا من الفارة الافريقية أيضا على مواد كثيره وبينها المطاط والألياف والقهوة والسكر والزيوت والفواكه والفطن .

والعمال الافريقيون هم وحدهم الذين يشتغلون في مناجم افريقيا ومزارعها كلها سواء أكانت ملكا للافريقيين أو لغيرهم . ويكون هؤلاء العمال أحرارا أحيانا ويكونون مسخرين أحيانا أخرى .

ويقال ان عمل السخرة مضر بالاقتصاد المحلي ، اذ أنه بغفل من الطائفة الاناجية ويعزى السبب في ذلك الى أن العمال يفقدون اهتمامهم بالعمل . وهو اهتمام من المحتمل أن يكون قائما ، وهكذا نضع نسبه من الطائفة في تسويق العمال وابطائهم ، وكذلك في الحاجة الى المزيد من التشديد في الانراف والمراقبة وهكذا لايفسدو الطيبق واعيا ولا مستمرا . وينبع احساس بالبلل عن العمل . وهو احساس خطر اذا اسنمر دون اى كايح أو زاجر . وكثيرا ماسمع العمال في مناطق كثيره في افريقيا ، حتى بعد نوال الاستقلال يحاولون تبرير التسويق والباطء . أو بوصون بهما عن طريق القول بأن الانسان لاينعد اعمال الرجل الابيض بحماس وافبال .

ولكن عمل السخرة . لا يكون مؤذيا للاقتصاد المحلي في نظام اسنراكي ، بالفدر الذى يكون مؤذيا فيه فى النظام الرأسمالى ، اد أن الفرصة مناحة امامه فى النظام الاول لىكون مصبوغا بصبغة « المنالية » بنما لايمكن الحب عليه فى النظام النانى الا بأقوال سفسطائية بورائية . عن كرامة العمل عند الآخرين . وليس نمة من بناقس فى حق أية أمة فى خدمات مواطنيها . ولكن من الضرورى أن توجه هذه الخدمات بوجهها مباشرا نحو المصلحة العامة ، وأن بفعل ذلك جميع القادرين على الاسهام فى أداء هذه الخدمات . ولعل خير سبيل لأداء ذلك ، هو فوضى الضرائب ، بالاضافة الى الغرامات التى نفرض على مسعيد مسيق محصور .

وقد فرضت جميع الدول التى استعمرت مناطق فى القارة الافريقية على هذه القارة اعمال السخرة ، فقد اجبر الرجال فى الكمرون الفرنسى على نسق سكة حديد ميدلاند ، والعمل سبعة أشهر فى السنة بلا مقابل وقد اعترفت السلطات أن نسبة الوفيات بين العمال بسبب العمل المذكور بلغت نمانين فى الالف ، كما اعترفت أيضا بأنه لم يكن هناك أكثر من طبيب واحد لنحو ستة آلاف شخص .

وأصدر قاض للصالح في كينيا ، حكمه بالسجن على عدد من الافريقيين لانهم رفضوا الانصياع لامر بالعمل الانزامى في السكة الحديدية . لكن محكمة كينيا العليا ، نقضت هذا الحكم على أى حال في عام ١٩٢٥ .

وكانت السلطات في مستعمرات البرتغال وبلجيكا ، في افريقيا ابتز عمل السخرة ابتزازا ، وبنفس الطريقة لمد السكك الحديدية .

ورفض البريطانيون السماح بأعمال السخرة للمتسايرع الخاصة في افريقيا وان كان بعض أصحاب المشاريع قد تقدموا بطلب الى حاكم روديسيا الجنوبية فى عام ١٩٢٥ ، يرجون فيه السماح لهم بابتزاز عمال السخرة . وكان اللورد كرومر ، قد اسنكر هذا الاجراء ، واعبروه ، مرادفا للرفى . ومارال السخرة منبعة في جنوب افريقيا ، وموزمبيق وانجولا وافريقيا الاسبانية ، مصحوبة بقصص اسطورية من الوحشية والقسوة .

وصحح أن نظام الاندابات الذى افره عصبة الامم لأفريقيا ، قد سمح بأعمال السخرة ، الا أنه حصرها في الخدمات العامة . وحددها بشروط قوية صالحة . ولكن الفرنسيين بعقولهم الاستقرائية الاستدلالية النشطة ، فرضوا جباية فعلية بالعمل ، على أهل البلاد التى بحكموها . مبررين ذلك بأنها عوض عن الضرائب النقدية ، وهو نبرر سخف باطل ، في منطقة كانت فيها الاجور معدومة تقريبا ، وكانت هناك أربع وسائل أساسية لغرض الافناع عندما يكون الافريقيون في موقف المنعنت المتزمت ، فهم يحرمون من أراضيهم ، وهم يتعرضون لقوانين عتيقة تفرض عليهم . ولضرائب مباشرة تبتز منهم ، كما تستنار فيهم وفي ضمائرهم النواحي الجماعية .

وقد أدت هذه الاساليب من الاقناع على الصعيد الضيق المحدود ، الى قليل من الاحتكاك ، اذ أنها كانت تمس مع نواح أخرى ، القسوى الدافعة فى المجتمع الافريقى بالنسبة الى الجماعية ملا . وأدى ضسياع الاستغلال فى مل هذه الحالات العرصية الى اكتساب نواح وفائية . وبالنسبة الى الثغافات الافريقية بدل المخلفات الضخمة منها التى عاشت العهود الاستعمارية ، على أن الدول الأوروبية القاربة ، لم تحاول بطريقة منظمة ، القضاء على الروح الافريقية ومحوها (١) . ولعل النسبة

(١) أعتقد أن المؤلف قد أخطأ كل الخطأ في رايه هذا . ولقد حاولت فرنسا مثالا فريسة الحرائر تماما وحعلها فرنسية من طريق القضاء كل القضاء على عرويتها ولايمكن ان يقال انها لم تكن حدية في محاولتها المظلمة هذه ، وان فشلت كل الفشل . وما يقال عن فرنسا في الحرائر ، يصح قوله بالنسبة الى الاستعمار الايطالى الشيع في ليبيا .

الصغيرة من الافريقيين المستعربين ، الذين كانوا ذوى نفوذ ادارى فعال فى بلادهم ، يقيمون الدليل على صحة هذا الرأى الذى فلنا به (١) ولو لم يكن هؤلاء من أن يصبحوا قادة لسعوبهم .أيصلا فى مبادئ السقافة والأخلاق فان أشر الاسعمار ، يكون والحالة هذه كاملا .

ومع ذلك فقد تمكن الاسعمار من لثم ما لدى السعوب الافريقية من حماسة وحمية ، عن طريق ازدياء مساعيهم الهادفة الى عايات معينة والهامها . وقد حق لديهم الاحساس بانهم لايزيدون عن ديول وملحقات وانهم مجرد منطفلين على أعمال الآخرين . ولا أقصد بهذا أن أقول على أى حال بأن ، الاسعمار ، قد حطم ما لدى السعوب من قدرة على المبادئ والابتكار . فالنصميم الذى نم فيه الحصول على الاسغلال وما صحبه من نلفائية المفكر ، يشيران الى أن العدرة على الابتكار عند الافريقيين لم نزل ولم يمح مطلقا . والصحيح أن السعوب الافريقية بانفصامها عن الثقافات العربية ، وجعلها منعزلة عن نفاهاها بعد المرور بها من الكرام ، اسنطاعت الحفاظ على نفسها فى ووفعتها ، والاحتفاظ داخل هذه القوفة بقدرتها على الابتكار والمبادرة . ولا ريب فى أن حكم الاسعمار اللامباشر عن طريق السيوخ القبليين كان من أكبر الأخطاء التى ارتكبها الاسعمار ضد نفسه ومن وجهة نظره . إذ أن هذا الحكم هو الذى حافظ على الثقافات الافريقية فى قوفعتها ، وشجع على التباعد بينها وبين الثقافات الاوروبية ، التى نقف الثقافات الافريقية موقف العداء منها ، بحكم تطلعها الى الاستقلال سعيا وراء الحصول عليه فى الهند الغربية مثلا . حيث قطعت عمليات اقتباس الحضارات الأوروبية مراحل واسعة لا يجد أبناء الشعب من ثقافتهم الخاصة الكثير ليتمسكوا به ويصمدوا أمام الثقافات الغربية ، سواء اليوم أو بعد الحصول على الاستقلال . فلقد تحولت جزر الهند الغربية الى مناطق غربية فعلا . وفاتت فرص الاصلاح ، ولعل خير سبيل لها ، هو أن تغد السير فى عملية « التغريب » بعد أن غدت المجال الوحيد المفتوح أمامها .

ولو تطلع المرء الى واحدة من النواحي الشمولية للمجتمعات . وهى الناحية الغالبة عليها كلها ، وأعنى بها ، البنيان الطبقي ، لوجد أن الدور الذى تلعبه الفروق الطبقيّة فى الهند الغربية يوازى موازاة أساسية الدور

---

(١) يمثل هؤلاء المستعربون الذين أشار اليهم المؤلف الفئات الانهازية فى كل ارض وطنها الاسعمار باقدامه . وهى الى حاولت بعد أن تعالت عن الشعب الذى تنتمى اليه لتليد ثقافات الدولة المستعمرة تدعما لمركزها الانهازى ، فأصبحت عملية لها ومن الطبيعى والحالة هذه ان تعمد كل احترام لها عند الشعوب المتطلعة الى الاستقلال .

الذى تلعبه في العرب • فالبنيان الطبقي فيها أفقى لا عمودى كما هي الحالة في أفريقيا • ويجد المرء في الهند الغربية أوروبيين وأمريكين يملكون المزارع ، كما يجد أشخاصا من المولدين من أصل أفريقي وأوروبي مختلط أو من أصل هندي وأوروبي ، وكذلك أشخاصا من أصل أفريقي أو هندي ويعوم تصنيف المجتمع هناك على أساس هذا التريب • ويكون التصنيف على أساس الأصول موازيا للتصنيف على أساس الثروات • ومن الطبيعى أن يكون ادخال العمليات الانتخابية ومايرافقها من سياسات قد أدى الى تفوية مراكز الطبقات الحفيزة ، وبدأت فواعد التصنيف الطبقي القديمة ، تنهار شيئا فشيئا ، لتتألم مع الفسواعد الجديدة هنا وهناك ، ويبدو أن الميل متجه في الهند الغربية الى أن نفتزع الطبقة الوسطى جنبا الى جنب مع فئات العمه من الطبقات العمالية ، ويؤدى هذا الميل الى الربط بين الطبقة والسلطان أما في أفريقيا التقليدية القديمة ، فلم تكن الطبقة مرتبطة بالطبع بالسلطان وكانت الاختصاصات هي التي تقرر املاء مراكز السلطان • وهي تشغل عن طريق الانتخاب أحيانا بطرق تتخطى الحساسيات الطبقية ، وكان البروز في الحكمة وبعض الفنون ، شرطا أساسيا في الغالب ، للوصول الى بعض المناصب التي تتطلب اختصاصا تاما كما هو الميل المتزايد لدى المجتمعات الحديثة •

وقد دخلت عناصر جديدة من النوع الطبقي ، ابان عهود ضياع الاستقلال لتأخذ مكانها جنبا الى جنب مع البنانيات الطبقيّة التقليدية. وقد ارتبطت الطبقة منها بالسلطان الادارى • ولكن هذه الصلة ما لبثت ان منيت بالضعف الشديد من جراء نشوء الاحزاب الشعبية الجماهيرية والحركات العامة ولا ريب في أن البلاد الافريقية الجديدة تملك عن طريق اختفاء الطبقات الوراثية بالفعل والتي لا تتميز بالمهارات الخاصة والاختصاص وان نعمت بالسلطان ردحا من الزمن ، كل الدلائل التي تشير الى أنها خطت خطوات صادقة في طريق القومية الصحيحة • والطبقات هنا متعاونة مع بعضها ، وليست متصاعدة كما هو الوضع في الحساب الماركسي (١) • ومن الممكن القول بأن البلاد الافريقية الجديدة ، هي أقرب من البلاد الغربية الى طراز المجتمعات التي تقوم على توفير الرخاء

---

(١) أعتقد أن المؤلف متأثر هنا بالطراز الاصلاحى لا الثورى من التفكير الاجتماعى فلقد اثبتت التحارب الافريقية نفسها ، او بعضها على الاقل ، أن امكانية التعايش والتعاون بين الطبقات المتضاربة المصالح ، أمر مستحيل كل الاستحالة • ولعل اصدق مثل على ذلك ، مانشهده في بلاد المؤلف نفسها اليوم • وهى غانا من مؤامرات تقوم بها الطبقات الاقطاعية والراسمالية الكيرة • وفي التجربة التي مرب بها قينيا ايضا خير دليل على =



لجميع • فلقد نجحت هذه البلاد الى أقصى حدود النجاح فى استقلال كافة طاقاتها لتحقيق هذه الغاية •

وبالإضافة الى الآثار السياسية التى يخلها نبذ الحياة التقليدية للشعوب وادخال طرز جديدة من الفروع الاجتماعية ، وهو ما شهدته عهود ضياع الاستقلال فان فى وسع الانسان أن يرى وأن يسهل أيضاً بشكل ومدى النشاط الاقتصادى الجديد الذى أدخل حديثاً بكل ما فيه من فوى بناء وهداية ، وبالطراز الجديد من التعليم وماحمله من مفاهيم دينية وخلقية ، وبالتعديلات فى الفنون والموسيقى والأدب واللباس والغذاء • وبالتغيرات فى الأساليب التقنية ( التكنولوجيا ) ، وفى أنظمة الحكم وما تنطوى عليه هذه الأنظمة من بيانات قانونية سياسية • وكان لهذه التبدلات الاقتصادية آثار سياسية واجتماعية معا • فقد آحالت البلاد اللامستقلة الى اقتصادات منتجة للمواد الأولية • وفى الوقت نفسه الى اقتصادات تسويقية - مما أدى الى أن تغدو هذه البلاد ، وبصورة غير مرضية معتادة دون نصنيعها على المتع والمرات التى يحملها التصنيع الى الشعوب المستصلحة • وأخذت هذه البلاد تبيع منتجاتها بالأسعار المنخفضة التى تتاح عادة للمواد الأولية ، بينما تبعت دخلها الى حد كبير فى ايتياع السلع المصنوعة بأسعار مرتفعة كل الارتفاع نتيجة ارتفاع أجور العمال فى البلاد الأوروبية ، ونتيجة أساليب التسويق الجديدة ، ووصول عقيدة الربح الى ذروتها القصوى • وبينما يقال فى البلاد الأوروبية أن الأسعار تقرر على ضوء الأجور وعلى ضوء النقد الفائض فى الأسواق ، أكثر من تقريرها على ضوء الطلب ، نجد أن هذه العوامل ، لا تلعب دورها فى البلاد اللامستقلة • فهناك سلع كثيرة يتعادل تكليفها فى البلاد الأوروبية وفى البلاد اللامستقلة ، على الرغم من أن الأجور فى البلاد اللامستقلة ، أقل بكثير منها فى البلاد الأوروبية وعلى الرغم من أن النقد الفائض فى الأسواق أقل بكثير منها فى البلاد الأوروبية وعلى الرغم من أن النقد قد يكون واحداً فيهما ، الا أن من الواضح عدم امكان المقارنة بين القوة الشرائية هنا ، والقوة الشرائية هناك • ومن الواضح أن الحقائق الاقتصادية لا تكون دائماً اقتصادية فى طبيعتها ، وانها كثيراً ما تكون أيضاً حقائق وطنية تختص بالبلاد نفسها • ولو تحدث المرء من الناحية

= صحة مايقوله • واذا صح أن التعاون ممكن بين طبقات العمال والفلاحين والراسمالية الوطنية الصغيرة ، فانه مستحيل بالنسبة الى الراسمالية الكبيرة والافطاع والورجوازية الا اذا ظل النظام راسمالياً تتحكم فيه مصالح الاحتكار مع تحسنات طفيفة ولا جذرية فى أوضاع الطبقة العاملة •

- العرب -

الاقتصادية المجردة ، لكأن في وسعه أن يدعو ، وله الحق في دعواه ، إلى أن تقوم الدول الأوروبية بإقامة مصانعها في البلاد اللامستقلة . وإلى أن تصدر عمالها العنيين وخبرائها إليها فسيكون الورق في أجور العمال اللافنيين ، وهي دائما اجور ضخمة ، كبيرا يسحق أن يحسب حسابه . وفي إمكان العوائص من المنتجات التي لا تباع في البلاد اللامستقلة . أن تباع في البلاد الأوروبية نفسها ، التي يمكنها انذاك ان تكنفى بالانحاح لاسهلائها المحلي . وبالطبع لا يمكن اللجوء مطلقا الى هذا السبيل اذ أنه يعنى النقص في فرص العمل في هذه البلاد كما قد يعنى أيضا خفضا في طافات الأسواق منها . ولكن هذا الاستنكار الذي قد ينار في البلاد الأوروبية قد ينار أيضا وبصورة متكاثرة في البلاد اللامستقلة بالنسبة الى مصالحها . ولا يمكن حل الصراع العائم في المصالح بين الغربيين طالما أن البلاد اللامستقلة لم تدمج في البلاد الأوروبية ، وطالما أنها تحتفظ بمركزها كبلاد تابعة ليس الا .

ويعتبر ادخال الاجور المنظمة ودفعها الى الافراد بدلا من الاسر نظميما اقتصاديا آخر ، ترك أنرا ضخما على المجتمع النقليدى القديم . فلفد أضفى هذا التطور على الفرد احساسا بالسلطان الفردى . وقد ساعده على هذا ، السمعور بالتفتت عن الجماعة ، جبي الضرائب من الأفراد ودفع الفرد لها ومحاسبته شخصيا عن الديون التي بعترضها والفدية الشخصية التي يؤديها ، والغرامات التي يدفعها بموجب الشرائع الأوروبية عن جميع الجرائم والجنح التي يفترفها وتحول الافراد بدلا من الاسر الى المسيحية والنمى بالفردية التي تدعو اليها تعاليم العهد الجديد بدلا من جماعية تعاليم العهد القديم . ومحاسبة الفرد أمام ضميره وأمام الله . وهكذا تشجع الفرد على التفكير والعمل بصورة انفرادية بدلا من التفكير والعمل على أسس جماعية .

ولم تؤد الدبابة المسيحية الجديدة بشرائعها الاخلاقية القائمة على الاوامر والنواهى السماوية ، الى ادخال كثير من التغير ، الا بين المنقذين ثقافة غربية أما الفيرة الدينية التي يتحلى بها أولئك الذين لم يتلقوا مثل هذا التعليم فقد تم الحفاظ عليها سواء داخل الكنائس المسيحية أو خارجها . لكنها بالنسبة الى أولئك الذين تلقوا مثل هذا التعليم مالت على أى حال الى أن تكون طقوسية أحيانا على نحو يضاهى ، ماهو معروف ومألوف في البلاد الأوروبية نفسها . فلقد كان ارتياد الكنائس أحيانا « رياضة » لا على التقوى والورع في العبادة ، بل على المناسبات الاجتماعية ، وان كانت هناك دائما أعداد كبيرة بالطبع من المسيحيين الملتزمين والورعين كل الورع .

وتقوم الاخلاق المسيحية من الناحية العفائية المثالية على الاناجيل قبل كل شيء ، وعلى ما تضمنته من قواعد أخلاقية ولا سيما في المعاليم التي وجهها المسيح الى الحواريين فوق الجبل ، واذا فدر لانسان أن يتأثر بأمرها كافيا بما في رسالات الرسل من شروح وتفسير اضافية للاناجيل ، فان في وسعه أن يقبل بها أيضا . ويقبل المرء أيضا وبالإضافة الى ذلك ، الأوضاع الخلفية التي ترمز اليها الاناجيل نفسها عن طريق الكناية . ففي المجتمعات التي دخلتها المسيحية تقوم هناك هيولات لا فراغات اخلاقية . ولكن من الواضح أن هناك قضايا لا تتناولها الاناجيل بالإيضاح الكافي ، ولا تقدم فيها توجيهها واضحا كل الإيضاح . لكن بعض هذه القضايا قد قررت على ضوء السنن الاخلاقية الإضافية التي أوحى الإديان بها . ولعل هذه السنن نفسها هي التي تجعل المسيحيين في البلاد اللامستقلة مثلا منسالمحين تسامحا واضحا في موضوع تعدد الزوجات . ولا يمكن لأي نظام اخلاقي في أي وقت من الاوقات ، أن يكون نظاما مزمعا مقفلا حتى وإن قام على أسس عقلائية . فهي تترك عند بعض الحدود مجالات معينة للاختيار وللقرارات المفتوحة . مما يؤدي الى ظهور صفات تنعدم منها المميزات الخاصة . ولنعد الآن الى موضوع تعدد الزوجات فالاناجيل ليست واضحة كل الوضوح في هذا الصدد ، وعلى الرغم من أن بعض الناس قد يذكرون أن الله لو كان يرغب حقا في تعدد الزوجات لكان قد هبنا لآدم أكثر من حواء واحدة . الا أن المنطق المشروع في هذا القول . لا يمكن أن يلمس لمسا قويا . ولقد ذكر بعضهم أيضا أن المسيح قد أوضح بأن الزواج ، هو اتحاد يصبح فيه الرجل والمرأة جسدا واحدا . وعلى الرغم من أن المرء قد يصدق بأن رجلا واحدا يمكن أن يصبح في وقت واحد جسدا واحدا مع أكثر من امرأة واحدة ، الا أن النساء أنفسهن لا يمكن أن يصبحن جسدا واحدا ، ولكن هذا المنطق يفتقر أيضا الى الاشراف والبهاء . ويذكر المرء أن الزواج بواحدة ، قضية من الناحية التاريخية من وصايا المجمع المقدس في ترنت الذي عقد برئاسة البابا ليو الثالث عشر ولكن دفاع اسود الكثلركة وأباطينها من أمثال القديس توما ، والاسكندر اوف هيلز ، والقديس بونا فينتوري ، ودونس سكوتس عن فردية الزواج وجد دحضا عنيفا من رجال من أمثال دوراندوس من أهل بوركين وتوستاتوس وكاجيتان . ولم يشر لوثر نفسه أو ميلانكتون الى أي التزام بالزواج بواحدة ومن المحتمل والحالة هذه أن يكون الزواج بواحدة من السنن الاخلاقية التي أضيفت الى الديانة .

لكن اجراءات الدين هي ليست كل شيء بالطبع في الحياة ومن الضروري ألا يسمح للدين بأن يخلق الاضطرابات في مجالات الحياة

القرية منه أو التي تكمله ، ولا سيما من صور الحياة التي تمت الى الاقتصاد السياسي ومن حسن حظ افريقيا ، ان الخلافات الدينية ، لم تتخذ فيها اليوم طابع القوى الهدامة . لكن في وسع المرء أن يتذكر انه في حقل المفاسد الدينية في الفسادة ظهر الكثير من الحوار والمناقشات بين دعاة الاسلام ودعاة المسيحية . وان بعض الاحكام قد تكون مفتقرة الى المعنى في افريقيا ومن المعروف أن الدوافع وايقوى التي تقرر الاصلاحات الدينية لا تنبع دائما من طبيعة الله ، وتعتمد الديانة الحديثة الظهور في الميدان في عمق نجاحها ، على المدى الذي تستطيع فيه أن تقهر العناصر القائمة في المجتمع الذي دخلت اليه أو تكيفها لتعاليمها . ويبدو أن الاسلام كان أكثر نجاحا في هذه الناحية في افريقيا من المسيحية .

وقد حملت عهود ضياع الاستقلال الى افريقيا بالطبع فوائد التعليم انظامي كما حملت غناء للحياة الدينية والخلقية وتقدما في الفن والموسيقى والادب واللباس والطعام . وجهزت هذه العهود افريقيا ايضا بأساليب الحكم التي لاغنى عنها في ادارة الدول المعاصرة بشكل مؤثر فعال .

وقد تم في القرن العشرين تنظيم مطالبة افريقيا بالاستقلال السياسي ولكن هذا لا يعني ان انقضى القرن التاسع عشر قد خلا من الصراعات ذات الطابع السياسي التي تركزت على اغتصاب الارض وكان الأثر الهينيف الذي خلفته أوروبا على افريقيا قد بدأ في الظهور ولا ريب في أنه بدأ في صور تجمع بين الاشراف والكافة ولقد كان من الاساليب التعبوية التكتيكية في القرن العشرين وبعد الاتجاه الذي اتخذته حركات المقاومة المطالبة بالاستقلال . التأكيد على النواحي القائمة من الاستعمار (١) ولا ريب في انها كانت خطيرة الاثر على افريقيا . وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية نقطة تاريخية هامة في مستقبل افريقيا السياسي . ومن واجب المرء أن يعترف دون أي تحفظ بأن عددا من الافريقيين الذين قصدوا أوروبا وأمريكا طلبا للعلم ، قد تحولوا الى قادة وطنيين بارزين . فلقد تميز هؤلاء وبنوا لشعوبهم ، بعد أن رأوا في أوروبا ما هناك من تناقض صريح بين ماصدر في أوروبا من بيانات عن

---

(١) انا اختلف مع المؤلف تمام الاختلاف . فليست هناك للاستعمار أية نواحي مشرفة ، وانما كله ظلام ، وقتام ، وكافة . ولا أدري ما الذي يدفنه أحيانا الى محاولة اظهار أن للاستعمار حسنات وصورا مشرفة . أما الاصلاحات التي يقوم بها الاستعمار في البلاد التي يسيطر عليها فهي لزيادة فرص استغلاله لتلك البلاد ، تماما كالرحل الذي يطعم « الخروف » جيدا لبسمنه ليجنى منه أحسن اللحم وأكثره .

الحرية والديموقراطية من ناحية ، وبين واقع الاستعمار من الناحية الأخرى . وكان تبينهم لهذه الحقائق مدعاة لاستفزازهم . وراح الافريعيون يعلنون انهم يؤثرون حياة الاستقلال الذاتي مع المتساعب والاختار ، على حياة العبودية مع الراحة والاستقرار ، وأدركت بريطانيا قبل غيرها ، حقيقة الصورة ، فسارعت إلى اعداد تربيئاتها لمنح الشعوب الافريقية استقلالها يساعدها في ذلك ما قام في افريقيا من حركات سياسية وطنية وظهرت للافريقيين الآمال الجديدة في ان يروا الاخلاص المثالي والجدية في التعابير السياسية .

وعندما أصبح ساحل الذهب في عام ١٩٥٦ بقيادة حزب مؤتمر الشعب على أبواب الاستقلال . أخذ زعماء فرنسا السياسيون يوجهون «التهجمات الى بريطانيا والاتحاد السوفييتي بأنهم يحاولون عن طريق إثارة مشاعر الغيرة عند أهل المستعمرات الفرنسية تحطيم الامبراطورية الفرنسية وهدمها ، وقد نخلصت بريطانيا وفرنسا اليوم ، وكانتا أكثر الدول الأوروبية التزامات استعمارية في القارة الافريقية ، من معظم هذه الالتزامات ولكن هذه الاجراءات ، لم تمض في طريقها دون أن تصبحها مناقشات . تعتبر ان يوم من أكثر المناقشات أنهاكا وتعديا . وهناك عناصر معنية لها علاقاتها بمنح الاستقلال ظلت بعيدة عن أجواء الجدل والنقاش في الميدان العام .

فليس في وسعنا على سبيل المثال أن نتجاهل الحقيقة الروسية ولكن علينا أن ننظر إليها نظرة صحيحة فعلى الرغم من أن روسيا قد شجعت الاتجاه نحو الحركات السياسية ، إلا أنها ماكانت في أي يوم ماضيا أو حاضرا لتمضي الى الحرب من أجلها . ولا ريب في أن مثل هذا المضي حمق وجنون إلا اذا كانت روسيا على ثقة من كسبها لهذه الحرب عن طريق الاقتصاد . ولم تكن روسيا قبل حقبة من الزمن واثقة من الكسب اطلاقا وهي اليوم ليست على ثقة من كسبها عن طريق الاقتصاد . ومهما كانت رغبة روسيا قوية في تأمين التحرر السياسي للبلاد الافريقية ، إلا أنه ليس ثمة في الاوضاع من الحرجة ما يكفي لإثارة اهتمام روسيا الى الحد الذي يدفعها الى النزول الى المعركة . ويظهر من كل هذا ان تأثير روسيا على القضية الاستعمارية ليس من النوع الذي يهدد أوروبا تهديدا مباشرا .

وكان الغرب يشك في أن النظام السياسي في الاتحاد السوفييتي وما ينطوي عليه من تنظيمات اجتماعية يستهوي الى حد ما الشعوب الخاضعة للاستعمار والمتطلعة الى الحرية ، والى تحرير نفسها من التبعية الأجنبية وكان الغرب يخشى نشوب اضطرابات عنيفة على نطاق واسع وأدرك انه ما لم يوفر الحد الأدنى من عوامل التهدة والثرضية

في المناطق المستعمرة فان بقاءه في هذه المناطق لا يحقق له الكثير من المصالح التي يتوخاها ، وأدرك الغرب أيضا أن منحه الاستقلال لهذه البلاد يؤمن له هدفين أساسيين أولهما الحفاظ على مصالحه الاقتصادية، لاسيما وأن الاستقلال الاقتصادي لا ينفك بنفس السرعة التي يتحقق فيها الاستقلال السياسي ، ولا ريب في أن مصالح الغرب الاقتصادية يمكن الحفاظ عليها عن طريق منح الاستقلال بصورة أقوى منها عن طريق فرض النبعة السياسية . أما الهدف الثاني فهو أن الغرب طمع في أن يستخدم منحه للاستقلال السياسي ، حجة قوية يذرع بها في الحوار الفاسم مع الشرق ، للبرهنة على أن الغرب وعقائديته خير من الشرق ومذهبه . وطمع الغرب أيضا في استعمال هذه الوسيلة لاقتناع المناطق التي قد ندعن لغواية الروس بأن الرأسمالية يمكن أن تكون كريمة أيضا لكن الشعوب الخاضعة ، كانت ترى على الرغم من اهتمامها الشديد بالاستقلال السياسي كفاية ، في هذا الاستقلال شرطا لازما للاستقلال الاقتصادي وغيره من الانصارات ومن هنا كان لابد لكرم الغرب وجوده أن يظهر في المبدان الاقتصادية وغيره من الميادين .

ولنضرب مثلا آخر ، أعقد انه خاص بفرنسا ، فلقد اعتقدت أن بإمكانها عن طريق التسليم بامبراطوريتها أن تظهر للعالم عظمتهام وضخامة انرها . ومن المحتمل أن تكون فرنسا مثلا ، قد أرادت أن تظهر في الامم المتحدة أن هناك مبررات لعضويتها الدائمة ، في مجلس الامن ، عن طريق ما تملكه من نفوذ في الجمعية العامة . وليس ثمة من شك في أن هذه الغاية هي التي كانت تسيطر على فرنسا عندما جزأت امبراطوريتها عن طريق « الاطار القانوني » فمنحت مستعمراتها استقلالها . ولكنها فوجئت بتحدى غينيا لها ، وكانت هذه المفاجأة ضربة عنيفة لامجادها ولعظمتها لا لان غينيا طالبت باستقلالها الفوري . فقد كان هذا في متناول يدها في كل حين بعد الاستفتاء بل لانها نحدث . هذا الاحساس بالعظمة الذي سيطر على فرنسا .

وكان هناك أيضا ، مساس باحساس الملكية ، ومشاعرها . فهي المناطق التي لعب فيها عامل الاستيطان الاوروبي دوره ، أخذت الدول الأوروبية تثبت اقدامها بصورة ملحوظة .

وكان الاعتراف السائد قبل الحرب الكونية الاولى ، أن الشعوب ستقبل في كل مكان في العالم على نظام الديمقراطية الليبرالية . اذ كان المظنون أن هذا النظام هو الطراز الطبيعي للحكم ، ولما كان هذا الطراز طبيعيا ، فان حتميته لا شك فيها ولا جدال . وكان الكثيرون يرون القضية مسألة وقت ، ليس الا . فهناك قانون للتطور السياسي ، يدفع الشعوب جميعها دفعا نحو « الديمقراطية الليبرالية » حتى ولو ظلت ، كاملة راضية بالعمل بطرق غامضة خفية . اذ أن معجزاتها ستتحقق .

ولقد كان هنالك راسمالى امريكى فى مطلع هذا القرن حاول مع بعض رفاة افهامنا بأن الآله الخبر ، بواسع رحمته ، وعظيم حكمته ، قد عهد بسعادة الناس اليه والى رفاة من الراسمالين الطيبين . وعلى نفس الفرار ، إذ لم يفاعسب بعض الشعوب عن تطبيق هذه الآراء الليبرالية الديمقراطية فان من واجب الدول الأوروبية ان تقودها فى هذا الطريق قيادة قد نكون بطيئة ولكنها ثابتة الخطا نحو هذا الوضع السعيد . وفى وسع الدولة الغربية ان نقبض على ناحية السلطان عند هذه الشعوب الخاضعة وصاية عنها الى ان تصبح فى وضع يمكنها من اعناق نظام كنظام البرلمان البريطانى كشيء خاص بها وقد فقدت هذه الفصة فى الايام الاخيرة الكثير من اشراقها المتفائل بالزفاه : فلقد اخذت مقالات صحيفة « التايمز » الافتتاحية بأسلوبها الذى لا يضاهى تندب انهزام الديمقراطية فى بلاد افريقيا وآسيا . واخذت تصور وجود اجناس بشرية ممتازة . فهى تقول احيانا انه يبدو ان الاجناس البشرية فى اسيا وافريقيا لم تخلق على سبيل الاحتمال ، للعيش فى طرائق ديمقراطية للحياة . واستنتجت من كل ابحاثها ان الديمقراطية الليبرالية اما وجدت خصيصا لشعوب أوروبا الغربية ولبلاد القارة الامريكية الشمالية بوجه خاص ومن هنا انبثق ايمان صحيفة « التايمز » المحترمة بان بلاد افريقيا وآسيا لا تستطيع ان تقيم مطالبها فى الاسفلال السياسى على انه رغبة أو طاقة على شد ازر الديمقراطية ونشرها ومن هنا يجب ان لا تطبق الديمقراطية على هذه البلاد الا بالقدر الضئيل الذى تسمح به أنظمتها الفاسدة وأميتها المنتشرة وعجزها الكلى عن التفكير تفكيراً صحيحاً ومنسجماً ، ومنطقياً لا عاطفياً . وليس نمة من شك فى أن هذه الاستنتاجات كانت قاسية وساقطة .

ولا يستطيع الانسان بالطبع ان ينسى تمام النسيان النكسات التى منيت بها الديمقراطية الليبرالية فى أوروبا ، حيث كان الاعتقاد سائداً بأن الثورة فى طريقها كانت كاملة . فلقد حدثت مثلاً تلك القضية الصغيرة المسماة بالثورة الروسية حيث يستطيع المرء ان يرى حكومة اطيع بها ، بوسائل لا ينص عليها مذهب الديمقراطية الليبرالية فالاشرار من الناس وحدهم الذين يلجأون الى الاطاحة بحكومة بلادهم فى عرف الليبرالية الديمقراطية بأسلوب غير اسلوب صناديق الاقتراع (١) اما

(١) هذا هو الفرق بين النظامين الليبرالى والثورى - فالثورة فى حد ذاتها هى انتفاضة على المذهب الليبرالى ، الذى مكى أصحاب النفوذ الحفيظين فى المجال الاقتصادى والاحتمالى من السيطرة على السلطان السياسى ، فعدا هذا السلطان آلة مسخرة و ايديهم ، او حتى عاجزا من الخروج على ارادتهم حتى لو اراد هو هذا الخروج .  
- العرب -

إذا لم تكن هناك صناديق للاقتراع فهذا مجرد سوء طالع ليس الا على أى حال لم يكن هناك احد يفكر بغيره جديا بان روسيا بلد أوربي ، فصحيح أن القياصرة يتحدثون بالفرنسية ، والفرنسية هي لغة أوروبا بالطبع الا انه بالنسبة الى الآخرين فان الشك في انهم من الاسيويين عميق ومتأصل .

وعندما زحف موسولينى على رومة بعد ثلاث سنوات من الحرب فجع اصحاب العقول الضعيفة الرقيقة وحدهم حقا بحركة التطور التى عفت هذه الطرق المنحرفة .

ولم يتجنب الفرنسيون مؤخرا جدا كل التجنب اساليب العمل السياسى التى لا تقيم وزنا للحكم البرلمانى ، وقد اظهروا افتقارا كبيرا للاخلاص الى صناديق الاقتراع .

ولو حصر الانسان نفسه في موضوع الديمقراطية الليبرالية فان في وسعه ان يوجه سؤالين منفصلين اولهما يتعلق بدوافع هذه الديمقراطية والقوى المحركة لها وثانيهما يتعلق بالوسائل التى يمكن استخدامها للحفاظ على هذه الدوافع وضمانها .

ولقد كان الدافع الرئيسى لها من الناحية التاريخية الاعتقاد بان الحكم الشعبى يجب ان ينسجم مع الحكم الطيب الخير . فالحكم الشعبى الصحيح تعبير على الأقل من ارادة الشعب ، وكل نقد يوجه اليه هو من قبيل النقد الذاتى . وانسياقا مع هذا الرأى يسمع المرء من يقولون ان الشعب ينال الحكم الذى يستحق ، لكن النقد الذاتى يعنى على أى حال الرغبة في عمل الافضل ، وهو لهذا ينشد الفرصة التى تحقق هذه الغاية . ومن هنا تثبت الضرورة في ان تعود الحكومة المنتخبة انتخابا حرا الى جماهير المقتربين بصورة منظمة وبين آونة واخرى لاتاحة المجال امام كل انسان لتقويم اخطائها اذا اقتضى الامر . وتكون وسائل الاثارة الوحيدة التى تسمح بها في ظل الديمقراطية الليبرالية هي تلك التى يمكن وصفها بانها وسائل سلمية كارسال الرسائل الى الممثلين المحليين أو الى الصحف أو السير في مظاهرات احتجاجية سلمية . وقد يكون الصيام الا محدود احتجاجا ، حالة متطرفة تنطوي على التهديد بشئ من التشهير اما حمل السلاح والاحراف العمد والتخريب المقصود فكها اساليب تحظرها الديمقراطية الليبرالية .

وقد يتساءل المرء عن اساليب الاثارة المتاحة الى الشعوب الخاضعة المستعمرة التى لا تمثيل لها في حكوماتها كما هي الحال في المستعمرات الاسبانية والبرتغالية في افريقيا والجزائر ( قبل الاستقلال



طبعاً !! ) وجنوب افريقيا ، أو حيث لا يكون التمثيل كافياً كما هي الحالة في اتحاد افريقيا الوسطى وكينيا .

ولقد قال من يعارضون في منح الاستقلال للشعوب التابعة الآن، ان الحرية والديموقراطية الليبراليتين ، كمثليين من الامثلة العليا ، قد ظهرتنا في انغرب أول مظهرتا . ويبدو ان المقصود من هذا القول ، ان هناك أنظمة واجراءات معنية تؤمن الحرية ، وتمكن من تحقيق الديموقراطية في المجتمعات الضخمة التي تضم الملايين العديدة وان هذه الانظمة والاجراءات قد ابتكرت عند الشعوب ذات الاصل الاوربي . واذا كان الانسان يضع التأكيد على حجم الشعب فان هذه الملاحظة لا تلقى أى وزن على الادعاء المتعلق باصول الحرية وأديموقراطية . اما اذا وضع المرء التأكيد على الانظمة والاجراءات المعنية التي يعتقد بانها تؤمن الحرية ، ونمكن من تحقيق الديموقراطية فان هذه الملاحظة لا تلقى أى وزن على الاطلاق على هذا الادعاء الذي يمكن للمرء ان يشير الى ما فيه من زيف واضح ، فليس تمة من نظام أو مجموعة من الانظمة يمكن ان يقرن أو تقرن بالاهداف الديموقراطية ، وليس تمة من نظام يصح ان يقال فيه دون الاشارة الى الاوضاع المحلية بانه فريد في تحقيق الاهداف الديموقراطية ، وقد ارتبطت الفكرة القائلة بان هناك انظمة ترتبط ارتباطاً فريداً من نوعه بالغايات الديموقراطية عند الافريقيين بتوكيد أساسيين اثنين فيقال أولاً أن « الوطنية » من حيث انها نشيدان للحرية والديموقراطية هي من الامور التي ادخلتها أوروبا الى افريقيا ، ويقال ثانياً ، ان ليس تمة ما يمكن لأوروبا ان تتعلمه من افريقيا ومن هنا تكون المطالبة كما يقال احياناً ، بالحكم الذاتي مطالبة بالحق في احتذاء حذو الغرب وتقليده . وهكذا فعندما تناقش الحجج التي تستخدم لتأييد منح الحكم الذاتي أو معارضته فان الانسان يقيم في الحقيقة مدى ما يمكن منحه من حقوق للمستعمرات لتقليد الغرب .

وقد ربطت قدرة شعب من الشعوب على حكم نفسه بنفسه بأربعة أشياء مختلفة فلقد قيل ان هذه القدرة هي الطاقة ، على تأمين الامن والطمانية للتجارة والصناعة الحديثتين . وتختفى وراء هذا القول العقيدة الاقتصادية للانسان ومن المفروض هنا ان يكون المعنى بالتجارة والصناعة الحديثتين ، تجارة الغرب وصناعته . ولاريب في ان هذا المعيار شاذ كل الشذوذ وغريب كل الغرابة اذا كان القصد منه قياس طاقة الشعب على حكم نفسه بنفسه ، على ضوء احتياجات الآخرين فالطاقة على توفير الطمانية للتجارة والصناعة بالقدر الذي تحتاجان اليه ، ليست باكبر مطلقاً من الطاقة على الحفاظ على قوى النظام والقانون ، بل لعلها فرع مساعد لها ومن هنا يبرز التناقض ، وتظهر

القاعدة وكأنها لا ترمى الى تحديد القدرة على حكم الذات بل الى تحديد روح الاسنعمار وجوهره ونبذو القاعدة أيضا وكأنها تحسر انغاب عن باوره الاهتمام الاوروبى بالنشئون الاقتصادية وهو الاهتمام الذى يسمح بمنح الاستقلال السياسى اذا لم ننصرر بهذا المنح المصالح الاقتصادية للدولة المستعمرة فى المناطق التى كانت خاضعة لها .

ولا يقل الحساب السابى عن الحساب الاول خطأ وتصيلًا اذ انه يعود بقدره التعيوب المستعمرة على حكم نفسها بنفسها ، الى طاقنها على تأمين الأمن الشخصى والحكم الطيب ، على أساس المعايير الاوروبية الغربية وبحساج كلمة أوروبا الغربية هنا الى شىء من التعريف الا ان فرص تأمين الأمن الشخصى والحكم الطيب ليست مساوية فى أوروبا الغربية نفسها . ويختلف حقوق المواطنين الاوروبيين العربيين وكذلك الاجراءات الحكومية باختلاف البلد الذى يقيم فيه الانسان فى أوروبا الغربية أو أمريكا . وهناك مناطق مستعمرة فى افريقيا ، يتمتع فيها المواطنون بحقوق أوسع من تلك التى يتمتع بها المواطنون فى البرتغال نفسها أو فى أسبانيا أو فى بعض الولايات فى أقصى جنوب الولايات المتحدة (١) .

وبقال ثالثا ان القدرة على الحكم الدامى تتمثل فى الطاقة على خلق عدد من الحكام الوطنيين الفادرين على احترام القانون الدولى . وهناك بعض القوانين الدولية التى يفترض المرء ان جميع البلاد وحتى اتحاد جنوب افريقيا تحترمها ، أما الحساب الرابع وهو اكثرها انحرافا فهو القول بأن هذه القدرة لبست الا الطاقة على تطبيق الانظمة التى تضمن تنفيذ الديموقراطية والحرية .

ولعل من المأمون الفسول بالنسبة الى الأنظمة أن لكل نظام هدفًا معينًا وأسبابًا تجعل منه قوة مؤثرة . فلقد استدعى وضع الانظمة السياسية وخطبتها دائما بعض التمرين على مفاهيم التفكير . فالانظمة السياسية وتخطيطها دائما بعض التمرين على مفاهيم التفكير . فالأنظمة ويتم هذا التكيف وذاك التألف طبقا للاوضاع والموارد المحلية . ولما كانت الاوضاع والموارد المحلية عرضة للتغير فان النظريات السياسية توصى باحداث تبدلات موازية فى الانظمة بطريقة لا تضعف معها الصلة بالمثل السياسة القائمة ، بل تبقى على حالها أو تسبر فى طريق الزيادة

(١) يعنى المؤلف هنا حكم سالارار فى البرتغال وورانكو فى اسبانيا كما يعنى الانظمة التى تطبقها بعض الولايات فى جنوب الولايات المتحدة مع العيد والزواج وهى الانظمة التى تعد كل العد من كل تفكير ديموقراطى أو قواعد انسانية .

وتعمل الضرورة في اقامة الانظمة السياسية على اساس الموارد المحلية، عملها ايضا في البلاد المستعمرة ومن الواجب ان تأخذ الانظمة فيها بعين الاعتبار الاوضاع المحلية لتكون مجدية وفعالة ، ولتستطيع الحفاظ على كرامتها وتختلف الظروف التاريخية لافريقيا عن ظروف اوروبا تمام الاختلاف . وقد يتطلب تنفيذ المثل السامية والاهداف عن طريق المنظمات والحالة هذه مهارات تختلف من بعض النواحي عن تلك التي يتمتع بها الاوروبيون والامر يكون اليوم في اوساطهم ولعل في وسع افريقيا وآسيا ان تحملا اوروبا على ادراك هذه الحقيقة . ولعل في الامكان ابتكار أنظمة مغايرة تستطيع أن تشتمل على نفس المسائل في ظروف مختلفة كل الاختلاف . ونختلف أنظمة الغرب نفسها باختلاف البلاد التي تقوم فيها وهذا امر لا ريب فيه بالنسبة الى الاوضاع المختلفة السائدة .

واذا ماسأل سائل عن الأنظمة والاجراءات التي تنفرد في تأمينها الحرية وفي تمكيناها من الديمقراطية يجد الانسان أنها تضم في العادة بعض التشاريع اللامتحيزة والخدمة المدنية ذات الكفاية والحكومة الدستورية ، والاحزاب الحسنة التنظيم ، والجماعات من اصحاب النفوذ. والصحافة الحرة . وعلى الرغم من ان هذه الانظمة لاتتحقق الديمقراطية أو تعرضها الا ان من الصعوبة بمكان عظيم اجتنابها تماما . وسواء اكان المجتمع قائما على نظام الحقوق الفردية أو على نظام الجماعية ، وسواء اكان قائما على نظام الحقوق الفردية او على نظام من الواجبات ، فان الديمقراطية تكون عسيرة على هذا النظام الا اذا صاحبها تشريعات قضائية بعيدة عن التحيز وقد يكون من العسير على هذه المجتمعات الخالية من وجود الدولة أن تتوقع الكمال في الالتحيز . والديموقراطية أمر عقلائي لانها ترفض الالتزام من ناحية كما ترفض الاغراء بالعطاء من الناحية الاخرى . والالتحيز عقلائي ايضا . - فهو يعنى المساواة الجوهرية ومهمة جهاز الخدمة المدنية ذى الكفاية ان يكون وسيلة في التقليل من الالتزام ومن الاغراء بالعطاء . ولكن عندما يتحول الجهاز الى بيروقراطية فان خوفه من التحول الى الاستبداد يقدو خوفا عصبيا محموما ، وهو خوف اوتوقراطي النزعة في حقيقته . والحكم الدستوري اداة مماثلة ولا يمكن اعتبار الاحزاب الحسنة التنظيم امرا اساسيا بالنسبة الى الديمقراطية . واذا كان لاند من وجود مجموعة من الاحزاب فان حزبا قويا للمعارضة يقدو امرا جوهريا ايضا . وعندما تكون ثمة مصالح قوية التضارب ، تمثل فئات مختلفة من السكان ، فان تنظيم الاحزاب يقدو وسيلة معقولة كل العقل ، لاضعاف عنصرى الاستبداد والاغراء بالعطاء . ولكن الاهمية الوحيدة لهذا الوضع تتمثل فقط عند ما يكون هناك حزب قوى او مجموعة احزاب

متحدة في المعارضة تستطيع أن تؤلف خطرا حقيقيا على الحزب الحاكم. أمام جماهير الناخبين . ولا تكون المصالح القوية والمنظمة لاقلية متطرفة مبررا لخلق حزب ينشد التحكم في الامة كلها . ولعل من المعقول كل العمل أن تتفق أية بلاد ذات عدد صغير من السكان كل الاتفاق على القضايا القومية الكبرى ولعل ارغام الشعب على تأليف عدد من الاحزاب لا يقل استبدادا عن ارغامه على تأليف حزب واحد ليس الا . وقد لا تعنى المعارضة المنظمة بحكم الشرطية المفروضة وجود شعب ذى مصالح متناقضة . ولا ريب في أن الاحزاب البديلة تزداد قوة عندما تكون منبقة بصورة طبيعية . ولقد استدعى الحاكم العام في تنجانيقا قبل بضع سنوات جوليوس نايري (١) وقال له . . اسمع يا نايري انك تقول انك تنشد الاستقلال . ولكن أين هي المعارضة لك؟ ليس في وسعك أن تفوز بالاستقلال . بدون أن تكون هناك معارضة لك . ورد عليه نايري ردا مفجعا بقوله : « ولكنني لا أستطيع يا صاحب السعادة أن أنظم معارضة لي » .

ومن الواضح كل الوضوح . ان ظهور مجموعة من الاحزاب في أى بلد من البلاد لا يعنى وجوب منح الاستقلال لهذا البلد . ولهذا فالأفضل للجميع أن تتوحد الجهود في جبهة واحدة ، أو حركة للفوز بالاستقلال . وعندما يطالب حزب للأغلبية ملحقا ، بالاستقلال لا يبقى هناك مجال أمام حزب الاقلية الا أن ينسحب من الميدان ، وأن ينسجم مع حزب الاغلبية في المجهود الوطنى وقد يكون حزب الاغلبية بالطبع اقل نضالية من حزب الاقلية . ولكن هذا يتوقف قبل كل شيء على تعاون الدولة الاوروبية . والاقتراع على أسس حزبية — حيث لا توجد خلافات جوهرية فلسفية أو دينية أو عقائدية — ادى قبل الحصول على الاستقلال الى تجزئة افريقية . فى صور ساخرة وغير جدية ، كما ادى الى انهيار تأثير الضمير العام على القضايا الانتخابية . وعندهما لا تكون الفروق السياسية مستندة الى البرامج وانما مرتكزة على الاولويات أو حتى على الشخصيات بينما فى البلاد اتى لا كثافة للسكان فيها والتي تكون نسبة التعليم فيها منخفضة جدا . لا يتوافر عدد كبير من الأكفاء ولا يكون فى إمكان أى حزب سياسى احتكارهم كما هم ، ليعالجوا القوى الانقسامية اذ تفقد القوات السحرية كل تأثير لها .

وقد يكون الحزب فى بعض الاحيان التعبير السياسى عن أية طبقة.

١- (١) جوليوس نايري . زعيم تنجانيقا الوطنى ، واول رئيس لجمهوريةها بعد استقلالها الكامل .

أو مجموعة من الطبقات ، وهناك اذا لم تتعرض البلاد الى اية أزمة سياسية فان الحزب الطبقي الحاكم يشرع فوراً وبهدوء في تثبيت اقدامه وتوطيد مصالحه . وقد يجد هذا الحزب في اوقات الأزمات القومية ، الوقت الكافي لعمل أى شئ في سبيل تثبيت اقدام طبقته ومصالحها . وفي افريقيا التي تعيش على تقاليدها ، لا يعنى التصنيف الطبقي ، تنوعاً في المصالح السياسية ، أو مصالح محصنة بالعمل السياسى . وهى لا تعنى أيضاً وجود تعارض بين هذه المصالح . وعند ما تكون الاهداف سياسية فانها تكون جماعية في مصالحها ومن هنا تكون الأساليب جماعية القبول والاعتماد ، حتى وان لم تكن جماعية الصورة مباشرة . ولعل هذا هو السبب الذى أدى الى ظهور بعض الوطنيين الافريقيين الذين استهجنوا نشوء الاحزاب السياسية كشيء مستقل عن الحركات الوطنية نفسها وفي الامكان اكتشاف مثل هذا الاحساس في الجهود المتواصلة التى تبذلها بعض الاحزاب السياسية الناجحة للتوسع والانتشار على معايير الحركات الوطنية العامة .

ولا تؤلف مشاكل افريقيا الراهنة حوافز كبيرة للدوافع الانقسامية الغربية فهى تتعلق بوحدة افريقيا وتقدمها ، ولا ريب في ان وحدة افريقيا أكثر أهمية لهذه الناحية من الناحيتين القارية الشاملة والمحلية ، من سيادة أمة منطقة من المناطق ، ولا يمكن في الوقت الذى تحمى به بقية أنحاء العالم ، بأن مصالحها مهددة وتتصرف وكأنها قد ابتلعت السم ، أن يشاء القدر الروم أن تظل افريقيا فى منجاة من الانزعاج من هذه المشاكل . وقد حاول الآخرون ايجاد بعض الحلول أو على الأقل تخفيف حدة مشاكلهم عن طريق التجمع في وحدات أكبر لاهداف تشكل النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية . ترى هل تستطيع افريقيا في أوضاعها التى لا مثيل لها اكتشاف طريقة جديدة ؟ وفى وسع افريقيا أن تعد نعم الله عليها . ولا ريب في ان ايجاد مبرى يحل لها مشاكلها عن طريق التجزئة ليس من هذه أنعم مطلقاً وحيثما يكون حزب واحد ، لا يكون من الضروري أن يكون هناك

في الداخل انسجام في المصالح أو ربط بينها عن طريق التمهصل ولا ريب في أن التوفيق الذى تخلفه المصالح القطاعية المفصلة داخل الحزب الواحد يكون أكثر أهمية بالنسبة الى ديمقراطية الامة وسلامتها ، من أى أثر قد تتركه المعارضة الضعيفة . وقد يخلف وجود معارضة ضعيفة تتميز بكثرة الضجيج والعجيج قبل الحصول على الاستقلال ، عدم التسامح والغلظة عند جميع الفرقاء . ولكى تكون المعارضة معقولة على هذا الصعب وضمن هذا الاطار يتطلب الامر منها ان تكون قوية وذات حظ في الكسب والفوز .

وليس ثمة من شك في أن الميل في افريقيا اليوم متجه الى قيام الدول ذات الحزب الواحد . ولقد أعلنت أحزاب المعارضة فى بعض المناطق أحزابا غير مشروعة ، أما فى المناطق الأخرى فان وجود أحزاب الاغلبية ذات القوة الطاغية انضخمة يجعل من أحزاب المعارضة ان وجدت أحزابا لا وجود لها فى الواقع . وقد حقق النسييم الاقليمى لافريقيا الفرنسية وهو النسييم الذى نعه الاطار القانونى شيئا من الاستقرار عن طريق تكلل الفروع فى أحزاب موحدة . ولعل غينيا هى أبرز مثل من هذه الاملة الكاملة . ولقد توحدت الاحزاب بحرية فى مالى أيضا وبدون أى عنف اما الحكومات الائتلافية كما فى الفولتا العليا مثلا فى ظل اوفسرين كوليبا الى الموهوب . أو فى داهومي ، أو فى تشاد فى ظل بوغاندا الموهوب ، فقد كانت أضعف حالا من دول الحزب الواحد الصريحة والواضحة . وتسيطر الاغلبية سيطرة تكاد تكون كاملة فى ساحل العاج والسنغال . أما فى غانا وسيراليون ، فالاغلبية مسيطرة سيطرة فعلية كاملة . ويصدق هذا القول أيضا عن نيجانيقا التى نالت استقلالها مؤخرا وتطفى الاغليات الاقليمية طفيانا كاملا فى نيجيريا ، وهى تكاد تكون كاملة فى الاقليم الشمالى أما الكيان الاتحادى « الفيدرالى » فهو على الغالب العامل الخطير الوحيد الذى يحفظ توازن القوى ويصونه .

وهناك جماعات أصحاب النفوذ وهى لا نعمل جهارا وعلانية واما من وراء الكواليس ، وهى بعيدة كل البعد عن الانظمة الديمقراطية . وليست جماعة أصحاب النفوذ فى الحقيقة إلا قلة تنشد الضفط ، وفرض قوتها على الاغلبية وتكون مصالح هذه الاقلية خاصة ، وعلى الرغم من أن هذه المصالح قد تحتل أحبانا المكانة الأولى فى تسلسل المصالح القومية ، الا أنها يجب أن تظهر بوضوح على أنها ذات المكانة الأولى فى هذا التسلسل . ومن الواجب أن تظل واضحة وان لا تكتنفها سحب من الشك والفموض . أما اذا اكتنفتها هذه السحب فانها نصيب فى موقف التعارض الكلى مع النظام الديموقراطى .

وكان موضوع الصحافة الحرة ، هو البند الاخير من البنود التى ذكرت بالنسبة الى منظمات الديمقراطية واجراءاتها . ويقال بالنسبة الى تطبيق هذه المسادة على المواضيع المتعلقة بالاستقلال . ان غالبية البلاد التابعة فى افريقيا هى فى المناطق التى تسودها الامية وفى الامكان وضع القواعد المتعلقة بهذا الموضوع على النحو التالى : لبس ثمة من جدوى للصحافة الحرة والحسنة الاطلاع بالنسبة الى الشعوب التى تغلب الامية عليها ، ولما كانت الصحافة الحرة وانحسنة الاطلاع ضرورة للديموقراطية ، فان الشعب الجاهل الذى تسوده الامية ، لا يستطيع

أن يحقق الديموقراطية . وعلى الرغم من أهمية الوصول الى المعلومات الصحيحة وحرية النقاش للديموقراطية الا أن في الامكان تأمينهما بطرق أخرى غير طريق الصحافة الحرة والحسنة الاطلاع . فالاذاعة التي تعتمد على الاصوات والانترطة السينمائية ، وحتى قرع الطبول من المادين في القرى وحتى نشر الشائعات وتقلها ، كلها وسائل بفضل الصحافة الحرة في المجتمعات الجاهلة الى سيودها الامية فلهذه المجتمعات وسائلها الخاصة في الاعلام وفي نشر الانباء . والصحافة الحرة والحسنة الاطلاع وسيلة نلائم بصورة خاصة الشعوب المتعلمة . ولو طاع المرء بدقة الى الامور وحرى عن صحافة العالم . فانه يدرك على الفور ، بأن الصحف لا تنشر في الواقع الا القليل أو أقل من القليل اذا ما قسنا ذلك بالامكانات ، من المعلومات الصحيحة والدقيقة ولا تعمل الا القليل في قيادة الرأي العام وبوجيه نحو الخير وكذلك في الدفاع عن الديموقراطية وتثبيت مواقعها وأقدامها . وبدو صحيفة الدبلي ميرور ، في بريطانيا العظمى لا صحيفة «التايمز» أو «الدبلي بلجراف» أو حتى صحيفة «الحارديان» المعمورة الى حد ما هي أقرب الصحف الى تحقيق هذه الغاية ومن المعروف أن «الدبلي ميرور» لا تسلك سلوكا مهلبا ، في موضوع التفكير بغيرها صحبها بالمبادئ التي نفذ عرضا وهي تتحدث حديا مباشرا وصرخا ، في المواضيع المتعلقة بمثل النوانا الديموقراطية دون أن تتأثر بالجماعات من ذوي النفوذ وهي جماعات جمة النشاط دائبة الحركة ولعل أقرب صحيفة لها في فرنسا هي صحيفة «لوموند» وتؤلف الصحافة الحرة في البلاد التي نقل فيها نسبة المتعلمين خطرا معينا وهو خطر الاغراف في الاهتمام بمصالح الفئات المسعلة وهي فئات بميل مالا طبيعيا الى الانسواء في طقة معينة حسب العرف الماركسي . ولا يحقق الصحافة الحرة عند الافله نظرية أرسطو وهي النظرية التي تقول بأن رجلا واحدا لا يمكن أن يام بالحقيقة الكاملة من جميع أطرافها ، وان هذه الحقيقة هي بمررة اسهام عدد من الرجال بمسكون بنواح وجوانب مختلفة منها .

ومن واجب المرء عند الحديث عن الشعب المتعلم أن يكون واضحا كل الوضوح في التعابير والاصطلاحات . وهناك كترون برون أن الجهل عند سعب تابع مستعبد يبدو معادلا للجهل في بلد أوروبى ناحدى اللهجات الاهلية الدارجة وهناك بالطبع عدد غير محدود من الأشخاص في البلاد التابعة أو في البلاد التي كانت تابعة حتى عهد قريب لا يعتبرون أميين بالنسبة الى لغاتهم وان كانوا أميين بالنسبة الى الفرنسية أو الاسبانية أو البرثغالية أو الانجليزية .

وفد دأب الناس على الحديث عن الشعوب التابعة . وكأنهاصفحات

ناصعة بضياء ، لم يسبق لعلم أن جرى عليها ، ولهذا فهي على استعداد للتأثر بما يحلقه الدول الأوروبية عليها من آثار . وكثيرا ما قبل أيضا أن من الأفضل أن يقطع عملات «التغريب» و «الاستئراق» مراحل كبيرة وفي أقصر وقت ممكن ، حتى تتمكن الشعوب النابعة ، من أن نحد ما يصلح لها ، قبل أن نترك وسأبها لاسكاراتها. وكأنها شعوب مسهلة . وقد يكون «التغريب» في بعض المناطق متصلا ، الى حد كبير ، بالأساليب والمهارات أكبر من اتصاله بملوكوت القيم ، وهو الملوكوت الذي يستطيع المرء عن طريقه على أي حال يفهم فهم المهارات نفسها وتقديرها ، ومن الممكن أن نصور المرء بلادا مسفله ، لها وجهات نظرها الخاصة بها في بعض الأمور . وتقرض بعض المهارات المعينة من مجتمعات أخرى بطريقة نقف معها هذه المهارات المسعارة ، مسجحه مع الاطار الأكبر ، وبطريقة أيضا ، لم بعد فيها مكان للعبور على الخصائص المميزة لاي شعب من الشعوب ، وقد نفال بالطبع أيضا ان عملية «التغريب» ليست مجرد عملية انتقاء أو اخسار . ومن المحتمل أن يكون هذا القول صادقا الى حد ما . ولكن يجب أن لا نغنى هذا بحكم الضرورة أن درجة «التغريب» وآثارها المحتملة وتواؤمها مع كل ما هو أهلى أصيل في البلاد المستغربة ، كلها أمور يجب أن تظهر بالعين المرئية ، أو أن عملية «التغريب» نفسها يمكن أن توجه وراقب . وبالطبع يمكن أن سير عملية التغريب على أساس نخطط منظم وأن تكون خاضعة للإرادة والقرار . وما نصح قوله عن التغريب يمكن أن نفال بالنسبة الى الاستئراق .

واسترخى البريطانيون والفرنسيون في منح المناطق التي يفهم فيها المستوطنون الأوروبيون استقلالها بعض الاسترخاء . أما الاسبانيون والبرتغاليون فمبدو أنهم لم يفكروا حتى في الموضوع كل التفكير . وعلى المرء عندما يبحث في موضوع استقلال المناطق الأفريقية التي يفهم فيها المستوطنون الأوروبيون ، أن يأخذ بعين اعتباره الحقيقة المجردة وهي أن الديمقراطية لم توجد لخير الاقليات وحدها ، ولا ريب في أن احاطتها بساج من الاخرعات المبكرة ، التي لا فصد لها الا ارضاء الاقليات بعبير نخطيا لأسس الديمقراطية القائمة على التكافؤ ، ومساعدة البعض على الكره واصفاء حقوقي خاصة على الاقليات خارج نطاق الاطار العام للحقوق المسركة بعبير بجاورا لمصالح الاقلات المسروعة وبالتالي مناقضة صريحة لأسس الديمقراطية . ولعل من أبرز خصائص الديمقراطية ، هو أن المزايا المعينة كلون البشره ومسقط رأس الحدود فبلى نحو من قرن ، لا تحمل أي مبرر للتمييز أو التفضيل .

ويعبر نظام التمييز في الافراع ، وهو النظام الذي ابتكره أحد عافرة السياسة ، هداما بدوره للديمقراطية . وهداما أيضا للروح:



البشرية . فتحديد سن الناخب باحدى وعشرين سنة على الاقل . نحدد  
 تعلبدى متواتر ، يتطابق تمام المطابقة مع المسئوليات القانونية للراشدين .  
 ولكن عندما يفوم بحدبد الاقتراع على أسس ضمن سن اترسد . فان هذا  
 التحديد يقدو جائرا وظالما ، فمن الصعب كل الصعوبة على المرء أن يصور  
 حالات فجائية من الوصول الى المسئولية والحكمة ، ضمن سن الرساد  
 وهى مسئولية وحكمة ، كان الاسعار اليهما فى سن الواحد والعشرين  
 بجعل الشخص غير أهل للاقتراع . ولقد اكسب تعبير « الاقتراع العام  
 للراشدين » مكانه السائدة على أساس عبارته « الراشد » ولكن هل سمع  
 اسنان من قبل ، بىء عرب كنعبير « الاقتراع العام لمن هم فى أوسط  
 العمر » ؟ وبدرك كل انسان أن هذا الاصطلاح لس الا واحد من الابتكارات  
 التى وضعت لحماية امنايات المسوطنين . وليس نمة من سك فى أن  
 جميع البلاد الاوربية ككيبا وباسالاند وروديسا الشمالية وروديسيا  
 الجنوبية وانجولا وموزمبيق وأفريقيا الاسبانية والجزائر وجنوب أفريقيا  
 ستمستقل فى النهاية ( استقلت الجزائر وبعض هذه البلاد والحمد لله ) ،  
 وسيمقى المسوطنون فيها . وليس نمة اجمال فى قيام أنه هجره جماعية  
 للاروبيين والآسيويين من أفريقيا . فلهؤلاء المسوطنين من المصالح الكثيرة  
 والعمقة مايجعل من المتعذر عليهم قسم هذا الرباط القوى الذى تسدهم  
 الى أفريقيا . ولكن هذه الحففة تجعل من المعذر على المرء أن يفهم النفاص  
 العرب الذى تدفع الدول الاستعمارية الى محاولة الحفاظ على هذه المراكز  
 المميزة التى يحملها الاقلية المسوطية بوسائل فيها الكثير من الجور والاكراه  
 والتمييز ، اد من المفروض أن هذه الاقلية بود أن نسمر فى العيس فى  
 أفريقيا بأمن وسلام ، ولكن الضمانات الاضافة الخاصة ، لا يؤدى الا الى  
 استساره السخط والحق . لكن المهارات سنظل موضع البجلة . وسنقبى  
 مرموقة فى أفريقيا . وحبازة هذه المهارات فى أى مكان فى العالم ، صمان  
 طسعى لمستقل اصحابها . أما الاقلية التى لا مهارات لها فتستطيع  
 الحصول على الضمان فى الحففة الواقعة ، وهى أنها لا تملك سسنا بخاف  
 عليه من الضياع .

وبقال أحمانا أن بوسع حق الاقتراع فى البلاد التى بوق عدد  
 الافريقيين فيها عدد المسوطنين الغرباء الى حد كبير ، بعى حرمان هؤلاء  
 المسوطنين من أفريقيا . ومن الاقوال السائعة أيضا ، أن المسوطن لم  
 يكتف بالعيس فى أفريقيا لعدة حفب وأجبال فحسب ، بل أنه رفع من  
 شأن أفريقيا وأوصلها مما كانت عليه كأرض قاحلة جرداء ، الى ما هى  
 عليه الآن . ولكن اذا كان المسوطنون قد عاسوا فى أفريقيا حفبا وأحبالا ،  
 فان الافريقيين عانسوا فيها فرونا لا عد لها ولا حصر . وعندما سحدث  
 الانسان عن بناء المسوطن لافريقيا ، يرى هل نأخذ فى حسابه ما للعمل

نفسه من فيمة ٥ وما دمنا في موضع الحديب عن العمل ، فإن في وسعنا أن  
نعول ان حكومة جنوب افريقيا نحظر حق الاصراب على الافريبيين . وليس  
مة من شك في أن الجهد الذي بذل والعرف الذي سال في بناء أفريقيا ،  
لم يكن جهدا أو عرفا أوروبيا ، بل كان جهدا أفريقيا وعرفا أفريقيا .  
ونحن لا ننكر أن الاوروبيين قد أسهموا اسهاما كبيرا بمهاراتهم . لكن  
الحقيقة التي لا ننكر هي أن الافريبيين هم الذين بنوا افريقسا فعلا ، وأن  
الافريبيين هم الذين سموصلون بالطبع عملية بنائها .

ومن مبادئ القومية الافريقية وعقائدها ، أن الاستقلال السياسي  
شرط أساسي للثورة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية . لكن  
أنصار فكرة اتحاد افريقيا الوسطى ودعاتها ، يعارضون هذا الرأي تمام  
المعارضة بالطبع . ولكي أكون واضحا ، أود قبل كل شيء القول بأن فكرة  
« الاتحاد التعاوني » لا تعنى بحكم الالتزام ، السرور والمساوى فهناك  
اتحادات تعاونيه معروفة ، نشرت العظمة والرخاء والاستقرار على  
أعضائها وإذا ما أقررنا بهذه الحقيقة الواقعة ، بات في وسع الانسان أن  
يدرك ، أن الظلال تقوم دائما بين المعاهيم والوقائع ، ويقدم أنصار اتحاد  
افريقيا الوسطى الحجج التالية لدعم رأيهم ، وهي أن الاتحاد أولا ، سبأى  
بالرخاء والازدهار الى الافريبيين وأنه ثانيا سيحول بين روديسيا الجنوبيه  
وبعين الاتجاه نحو اتحاد جنوب افريقيا ، وأنه ثالثا سيحول بين المنطقة  
كلها وبين الادعان للتبوعيه ، ولم تكن روديسيا الجنوبية في حالة يسرافصا  
عندما ظهر الاتحاد الى حيز الوجود ، فليقد كانت في حاجة الى المزيد من  
اليد العاملة الطيبة والرخيصة ولا ريب في أن اكتظاظ سوق العمل ،  
بالايدى العاملة العاطلة من نياسالاند ، على الاخص كان فرصة عظيمة  
لا تفوت لروديسيا الجنوبية والمنطقة انتاج النحاس في روديسيا الشمالية  
أيضا . ولكن فرص « الاتحاد » دون موافقة الافريبيين وعلى الرغم من  
رغبانهم ، مع أن نسبتهم العددية بالنسبة الى الاوروبيين تبلغ (١٨٤) الى  
واحد ، لم يؤد ، كما يعرف كل انسان الى ادخال سبعة ملايين افريقى في  
هذا المجتمع الذى يعيش في فيض عميم . ولهذا فان المنافع الاقتصادية  
التي نجمت عن الاتحاد ، كانت لمصلحة المسوطنين الأوروبيين على الغالب .  
ولقد فشل الاتحاد فسلأ ذريعا في تحقيق أهدافه . ولعل المرء يذكر أن  
ادارة نياسالاند وروديسيا الشمالية كبليدين منفصلين قبل قيام الاتحاد ،  
لم تؤد الى افعال عابث الخراة البريطانية بالاعماء وتحميلها أية خسائر .  
ولا ريب في استحالته الادعاء بأن الاتحاد أزال أى عجز كان يظهر في ميزان  
هذين البلدين .

ولم تكن روديسيا الجنوبية في يوم من الأيام بعيدة عن جنوب افريقيا ،  
ولا كانت سياسته الاضطهاد العنصرى دائما تنفذ فيها بشكل عنيف من تنفيذها

فى جنوب افريقيا . ولعل هذا يظهر فى أن ادارة مدرسة داخلية جعلت طالبة افريقية تعبس وحيدة فى قاعة كبرى من فاعات النوم لئلا تختلط بزميلاتها من بنات المستوطنين الأوروبيين ويوصف الأوروبيون المستوطنون مجلس السنون الافريقية الذى أنفسه الحكومه البريطانية والذى أسماه أحد وزرائها ، أوليهر ليلتون بأنه قلعة حصية لا يمكن الوصول اليها بالحمق والغفلة ، ويبدو أن ويلينسكى (١) بما عرف عنه من صراحة وصلافه قد تمكن من العاء هذا المجلس ، ولا يمكن لأى اتحاد أن يستند فى وجوده ، الى مجرد الحجج ، أو العواطف أو الولاء وقد فشل الاتحاد فى تنفيذ أى من وعوده ، وسيرفسله هذا التساؤل ، عما اذا كان الاتحاد فى اى يوم من الأيام مخلصا فى اغداها أو راعيا فى تنفيذها . ولعل الخطر الاكبر الذى يواجه الأفريقيين هو أن تسفل هذه الأقطار الثلاثة النى ينألف منها الاتحاد قبل أن يكون الأفريقيون قد وصلوا الى مراكز الحكم والسلطان فى كل منها .

والاستعمار من الناحية الجوهرية الأساسية عدوان صريح . ومن واجب المرء فى متابعتة حركته النضالية طلبا للاستقلال ان لا يخجل من الظهور بمظهر النطرف فلقد كان عادى مثلا منطرقا فى موقفه الصلب والمنصر على الرعم من الحجة الواقعة وهى أن موقفه الصلب هذا ، كان بعدا كل البعد عن العنف ، اذ أنه يقوم على سياسة اللا عنف . ومن الواجب أن تستمر الحركة النضالية من أجل الاسفلال على سبيل الحكمة والنزوى ، وان أمكن ذلك ، بأساليب اللا عنف ولئن هذه الأساليب اللا عنفة يمكن أن تستمر وأن يمضى الى حدود النطرف ، وكثيرا ماتتطلب هذا النطرف ليكون فعالة ومؤثرة . وتتلخص فكره الأوروبيين عن الانسان اليوم ، بأنه حيوان انصاى ، ولا ريب فى أن من واحب الوطنيين الأفريقيين أن يرجعوا الى هذا الاعتبار كيرا فى جهودهم طلبا للاستقلال . وقد تكون أساليب اللا عنف التى يهدد المصالح الانصاى للمستوطنين أحدى أقوى فى النضال الاسفلالى من بلاغة القول وحجج المنطق ، وقد يكون من النطاق فى بعض البلاد المستعمرة ، كالجزائر ( كان هذا قبل اسمقلالها ) ، وجنوب افريقيا وانجولا وموزمبيق وافريقيا الاسبانية ، سدان الاستقلال عن طريق وسائل اللا عنف هذه لأنها تتطلب ابتكارا لاسيما وأن الحكومات الاستعمارية البعيدة النظر قد اتخذت احياياتها المسبقة ، فحظرت القيام سلفا بأى عمل من أعمال اللاعنف . فالاضرابات

(١) السير روى ويلينسكى ، رعيم المستوطنين فى روديسيا الجنوبية ورئيس حكومة الاتحاد وهو من أشهر أنصار الاصطهاد المصرى . ومعدى سياسه الاستعمار . ناصر حركه تشومى الانفصالية فى كاتانجا ومن أشد أنصار اسرائيل .

مثلا في الجزائر محظورة تماما . ومن حسن الحظ أن الابارة الديموقراطية والسلمية مازالت ممكنة في البلاد المستعمرة الأخرى ، وان كان سيرها يطيئا كل الطء وصعبا كل الصعوبة .

ولبسب القومية الافريقية حركة عنصريه . وان كانت قضايا العنصر تفرص نفسها فرصا عليها . ونسجه القومية الافريقية من ناحيتها الخارجية الى ندعيم الاستقلال بالنسبة الى البلاد التي حصلت عليه ، والى استعادته بالنسبة الى البلاد التي مارالت مستعمرة . فالنظام الذي تعتمد فيه ارادة شعب من الشعوب كل الاعتماد على ارادة سبع آخر يعتبر من الناحية الرئيسية السعب الأول أو يعامله على أساس أنه عاجز أو لا يملك حقا في تقرير شكل الحكم الذي يريد العيس فيه . وقد فشلت المحاولة في تطبيق نظام التجليل الاقتصادي للانسان على الفارة الافريقية . ولم تكن الطريفه التقليدية المألوفة في افريقيا أن يحلل الانسان على أساس أنه حيوان اقتصادي ، فعندما يقال بأن السعب الجائع لا يسغل فكره بقضايا الديموقراطية ، فان هذا القول المأثور لا ينسجم مع سمدان افريقية لاستقلالها ، وانما يحسر النفاذ عن مذهب كلبى مرعب يقوم على الشك في كل شيء . وليس صحيحا القول مطلقا بأن لكل انسان نمته الخاص به . ولم نعد نسمع بالرأى القائل بأن الاستعمار يقوم على أسس وحوافز انسانية محضة . وان كان قصة تلك السيدة التي ذهب الى المستعمرات في الهدى ، وأعلنت بكل صراحة ، ان الحياة بدون شعوب مستعمرة شيء لا يطاق ، ماثلة في الأذان حتى الآن .

وخيل الى عدد من المتعلقين بحبال النظريات وأوهامها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أن في وسعهم توقع ظهور الانسان العاقل الصادق ، كظاهرة عالمية بحيث يتميز بالمعرفة ورقينى الاحاسيس والتحرر من كافة مشاعر الولاء الاقليمية الصفة . وكان لابد لعمال هذا الانسان أن تركز الى فكرة الاخوة العالمية لبنى الانسان دون تمييز أو فوارق . ويبدو أن الأمل في ظهور هذا الطراز من الانسان في الحياة السياسية قد خاب في النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفي أوائل هذا القرن . أما أولئك الذين كرهوا هذا الطراز من الرجل العالمى النزعه فقد رأوا فيه انسانا قاسما حم الاعتماد على العقل ، مفرط الركون الى الادراك ، معزولا كل العزل عما فى الحياة من دفاء وعواطف ، أما أنصار فكرة هذا الانسان فقد كانوا يرون في تعب المساعر القومية رجعية وراية أو حنى وحسنة بشرية .

ولم تحتف فكرة الاخوة العالمية لبنى الانسان تمام الاخفاء ، فهى مازالت ماثلة في الامم المتحدة ، وفي البنك العالمى وغيره من الوكالات والمظمات الدولية الاخرى .

والقومية حتى في حالة عودتها الى جذورها . ليست بالطبع رجعية وراية أو وحشية بسره . وفي الامكان الموفيق بينها وبين النزعة الدولية العالمية ، فهذه النزعة هي التي توحى بالقومية . ولا ريب في أن هذه القومية هي التي تضمن أن يكون النطور والمقدم في العالم على نطاق علمي شامل .

ومن الطبيعي أن القومية تعود الى التحدث عن الجذور المشتركة عندما يكون القوى الانصالية العاملة على الجزئة قوية الى حد كبير . وقد يكون الاهتمام بالجذور أمرا تاريخيا . ولكنه لا يخلو من العملية من ناحية أخرى ، لاسيما وأنه يخلق أساسا للاشتراك ووحدة الهدف . ويؤدي وجود لغات مختلفة ، نسعمل استعمالا فعلياً في المناطق التي تمت الى بلد واحد ، الى التجزئة والتفرقة ، ما لم يحس النقاب عن وجود وحدة بعيدة الاعماق . وتعتبر هذه الوحدة البعيدة مدينة بسوء من وجودها الى الحقيقة الواقعة وهي أن الاقاليم المختلفة كانت تدار في الحقيقة الاستعمارية كبلد واحد (١) . ولكنها قد يركز ارتكازاً أهم وأضخم على الوحدة الثقافية ، فالهدف الواحد أكثر أهمية بالنسبة الى القومية من الاصل الواحد والجذور التاريخية الواحدة (٢) .

والقومية الاوربية فكرة نضالية . وإن كانت لا تحصل طابع العدوان أو العصاب « التوفيني » . ولعل التحول من النزعة القبلية الى السرعة الافريقية الجامعة عن طريق الاقليمية ، هو تأكيد لهذا الرأي ولو كانت القومية الافريقية عدوانية أو عصابية توفينية لتوقفت عند حدود الاقليمية وعلى صعيدها . ولا تتطلب اقليمية خلق مجتمع مغلق غير متفتح وإن كان من الطبيعي أن تنطوي على شيء من الاساطير . وهناك دائماً

(١) من المعروف عن الاستعمار أنه نظام ذكي يتفنن التكيف طبعاً لظروفه الموصومة التي يحتاجها للحفاظ على مصالحه ، فهو يتظاهر بالرأفة المصطنعة أحياناً إذا كان فيها ما يحقق له غايته ، سيما يلجأ الى التسدة المعركة التي تلغ حدود الوحشية أحياناً أخرى إذا رأى فيها ما يضمن له الحفاظ على هذه المصالح . وإذا كان قد اتبع في بعض أنحاء افريقيا سياسته الوحيد بين بعض الانظار التي لا تربطها جذور تاريخية مشتركة فإنه قد اتبع في أنحاء أخرى ولاسيما في الوطن العربي سياسة التجزئة للوطن الواحد والشعب الواحد ليضمن الحفاظ على مصالحه عن طريق تفرقة الاحراء الواحدة من الوطن الواحد .

— العرب —

(٢) يحلظ المؤلف هنا في تحديد معومات القومية بين المفهوم المادي والمفهوم الروحي للقومية وتكون وحدة الهدف فعلاً قوة فعالة عندما تكون مستندة الى جذور تاريخية واحدة أما عندما تنعدم هذه الجذور فإنها لا تؤلف وحدها الأساس للوحدة القومية الا على سوء الاشتراك في المصالح المادية ليس الا .

— العرب —

عنصر من الاسطوره فى كل ثقافة ، وتعرض الفومية عندما يعالج موضوع الجنود التاريخية الى خطر الانطواء على سىء من الاساطير ، ولعل هذا هو السبب الذى دفع فينوبها بهافان الهندى الى تحطيم ما قد سببه الجموح فى القومية من انعزاليه ومن نعصب ، عندما استبدل أسلوبه فى المحية من « حى الهند » الى « حى العالم » .

ولم يكن السوفيات بالطبع معنفين الى العناية بأحداث افريقيا وواقعها ، فلقد كانوا الى حد ما متوقعين لبعض هذه الاحداث مام التوقع . وقد طبنوا نظريهم عن السطور ، نطبيعا مباشرا على قارتنا وتعلق أولى هاتين النظريتين بالمجتمعات بسما تنعلق النظرية النائية بالافراد، ونخطط النظرية الاولى لمجتمعاتنا ، طريقة من التطور ننقل بهذه المجتمعات انتقالا تقليديا كلاسبكي من الجماعات البدائية الى المجتمعات التى يسودها نظام الرق عبر سلسلة متلاحقة من الاقطاع والنظام الرأسمالى والاشتراكية، وهى العقبات الموصلة الى فراديس الشيوعية وكان المؤرخون السوفيات مفترين الى شىء من الجزم فى موضوع الدقة فى الانفصال من احدى هذه المراحل الى المرحلة التى نلبها . ويلمح بعضهم تلميحاً غامضاً الى أن هذا الانفصال قد شتم بصورة سريعة ومتفاربة فى بعض الحالات وبسال سرحاً لهذا رأى ان السلافين الشرقيين انتقلوا فوراً وبصورة مباشرة من مرحلة الجماعة البدائية الى مرحلة النظام الاقطاعى ، وبغال أيضاً ان بعض المناطق المتخلفة فى الاتحاد السوفيانى نفسه قد انتقلت بسرعة الصاروخ وعن طريق الاجراءات النورية من اليثيان الاقطاعى الى البنبان الاشتراكى لكن بعض المولعين بدقة الالفاظ يرفضون تقبل هذا الخروج على القاعدة ويصر حوكوف مثلاً على التقيص من زميله جريكون على حمسة النسق الماركسى ، اللينينى فى التحول من مرحلة الى مرحلة .

وتقول النظرية السوفياتية المطورية بالنسبة الى الانسان الفرد . أن الانسان يبدأ كمخلوق لا سلطان له على الظواهر الطبيعية ولذا فهو بفضى حياته فى فزع دائم منها . ويتمو مع الانسان - رغبة منه فى كبت هذا الفزع والتغلب عليه ان أمكنه ذلك - اعتقاد بالسحر والتسعوذة والسحرة والمسعوذين . وترفض هذه النظرية الدين على أنه فلسفة للسحر لاسيما وان هذا الدين نفسه ، يمر فى فترة تحول وانسلاخ انقلابى من الشرك الى الوجدانية ، وسرعان ما تتخلى النظرية أيضاً عن المفاهيم المثالية للمجمع والطبيعة ، كما تتخلى عن فكرة الوحي والتكسف الدينى لتأخذ بدلا منها بفكرة التحول الى « العقلانية » وهم يقولون أن « العقلانية » قضية مادبة مجردة ولذا فانها تتناقض مع الدين كلّ التناقض . وقد تميزت آراء السوفيات فى افريقيا بالتوجيه التابع عن موقفين،

يتحدو بهما من هذه الفارة ، وأولهما موقف النظر اليهها كمجموعة من المجتمعات الوجودية الى تعرض عدة نواح مختلفة من الجدول الديالكتيكي الماركسي ، وبايهما موقف النظر الى افريقيا على انها أثر فلسفى من آثار أوروبا . وقد طمقت نظريتنا التطور على افريقيا ضمن محورى الموقف الاول ، أما التوجيه بالنسبة الى الموقف الثانى ، فقد استمد ابعاءه من آراء بينين فى الاستعمار . واستخدم السوفيات مجهر التحليل التطورى فى نظريتهم الى افريقيا فرأوا انها تمثل مجموعة من المجتمعات لا يزال تعيش فى القرن التاسع عشر وإن كان النظام القبلى فيها قد سرع فى التحلل والذبول . وعلى الرغم من ظهور جماعات من الاعنياء وأخرى من الفقراء إلا أن هذه الجماعات لم ينظر اليها قط على أنها تمثل طبقات منافسة إذ أن النسئون الجماعية ظلت وفقا على تصرف الجماعات العسيرة ولم تكن هناك بالنسبة الى وجهات نظر السوفيات أية تنظيمات تحمل طابع الدولة وإن كانوا قد أبدوا اعجابا منقطع النظير ببطولة شاكَا ودنجان الاول لخلقه امبراطورية عسكرية موحدة والثانى للجهود التى بذلها فى طريق ضمان مركزية الحكم وقد ادعى السوفيات أنهم يرون فى هذه النددات تحفيفا للبرنامج التطورى الماركسي - اللينينى وكان كل مايجب على الناس فى رأيهم أن يفعلوه هو أن يستكينوا ويستسلموا الى الاسترخاء وانتظار العملية الجدلية الديالكتيكية ، لسننرف فواها نفعسها اذ لم يكن الاسعمار وبنا لاسف قد انقص على كل سىء أمامه وكأنه السر الجارج . وهكذا فإن السوفيات بقولون بأن الاسعمار الاوروبى وسباساب الارص الاستعمارية قد تمك عن طريق تقبب الجماعات ذات الاصل العرفى الواحد فى أقاليم محزاة من التدخل بدخلا فعلا فى عملية التطور الطبيعى على الرغم مما فيها من حمية ومن هنا يظهر ما لدى السوفيات من اطلام محير للفكر عند هذه النقطه بالذات اذ انهم بدون وكانهم يفكرون بأن الحكم الاسعمارى قد أدخل فى الواقع الانقال السريع من مرحلة الجماعات البدائية الى مرحلة النظام الاسعمارى المباشر متجاهلا كل التجاهل الهوى المضائق الديالكتيكية الواسعة التى نفصل بين المرحلتين . ولكن ألا تفرض الاوضاع نفسها بين آونة وأخرى فى أى مكان فى العالم سرعة التطور داته ومده ؟

ولقد عالج السوفيات فى محاولتهم انقاذ ما يمكن انقاذه من البرنامج المرسوم لعملية التطور التاريخى المنجمدة وغير المتعجلة الذى اخنارته هذه العملية لنفسها ، نظام مزارعة الاراضى النقليدى فى افريقيا ، وكأنه فى مجموعته نظام اقطاعى ، على اعتبار ان هذا النظام الافريقى يبدو وكأنه يلجأ الى استخدام مفاهيم التصرف والحق والالتزام بدل اصطلاحات البيع والشراء والعمل والاجور . وكان الحفاظ على منطق المشيخة

«القبلي» . حافزا آخر دعا السوفييات الى اطلاق صفة الاقطاع على النظام التقليدي الافريقي . وكانت قوة الحافز على اطلاق العملة التطورية ، معبوءة بالطبع ، اذ انها هدت الى طمس معالم الاجحاف ابان الانتقال من مرحلة الى مرحلة وكان هذا الاجحاف يبدو لسوء الحظ بصورة دائمة ومستمره على الصعيد الاقتصادي وكان منطق المتسخة القبيلة في حد ذاته اقتصادي الصبغة . وهكذا كان في امكان السوفييات عن طريق سمية النظام التقليدي بالقطاع مع ما تضمنه هذه التسمية من فروق اقتصادية أن يقللوا الطبيعة الاقتصادية دون الطبيعة الدينية لنظام المتسخة اقبله وهكذا ظهر الثبوح على الفور مصدرا للشقاء الاقتصادي الدائم والمستمر .

وهنا اصطدم السوفييات عند هذه النقطة بحميته مزعجة لهم كل الارعاج وهي قوة القوى التقليدية في افريقيا ونحن عليهم أن يعرفوا بأن الزعيم القبلي لم يكن الا أداة ذلك الحمار الضخم الذي يملئه الاقطاع ويمثل سلطه على الجماعات البدائية ، وتطلب هذا السير في التنظيم وفق النظرة السيوعية السير جنبا الى جنب مع سبق مماثل نحو الواقعية ونحو العقلانية . ولكن السوفييات يعرفون العقلانية في حوض الاقتصاد . وقد انعكس السر في طرفي العلانية الذي يملئه الاقطاع على الجماعات البدائية في الاقتصاد أكبر من انعكاسه في الطبيعة الدبية وهي المنطق الذي يعتمد عليه الشيخ القبلي في تنبئ سلطانه .

وقد رأى السوفييات الاهمية المسمرة للشيخ كجزء من القوى التقليدية النافية ولكنهم في الوقت نفسه شكوا في أن يكون الاستعمار هو الذي دعم مركز النموذج عن قصص وعمد لخدمة أهدافه وغاياته . ولا سيما في أفريقيا البريطانية التي ظل سلطان السيوخ فيها أقوى منه في المستعمرات الفرنسية أو البرتغالية أو الأسبانية أو البلجيكية . وقد منعت جميع هذه الدول المستعمرة باستثناء بريطانيا بحكم مستعمراتها في أفريقيا حكما مباشرا . أما البريطانيون فقد هدتهم حاسة الشم عن طريق أنوفهم الحساسة والبارزة الى وجوب المكر في أحداث التبدل ، فاخترعوا طريقة الحكم المباشر عن طريق السيوخ القبليين المحليين (١)

(١) ليست هذه الطريقة التي أسكرها الانجليز في افريقيا ، والتي لمسها السوفييات بالحديدة عليهم فقد طبقوها في البلاد العربية التي حكموها ، كما طبقوها في الهند ، ممثلة في ملوك العرب وامرائهم وسلطابهم ومشايخهم ومراجات الهند وامرائها . وقد على الانجليز في تطبيق هذه الطريقة الى درجة « اختراع » الشيوخ والامراء ، حيث لم يكن لهم وجود ، كما حدث في العراق عن طريق توزيع الاراضي الاميرية عليهم ليصحواسادة اقطاعيين يتلون الدمى في أيديهم او كما عملوا في سلطات وامارات الخليج والجنوب العربي .



وهكذا بدلا من أن يسنزفوا طافهم في مفارقة العوى التقليدية العميفة الجذور أخذوا يستخدمون هذه العوى لمصلحتهم ويسخرونها في خدمتهم و يرجع الفصل في هذا الموقف الذى وفوه الى عقلاهم من علماء الأجناس البشرية الاجتماعيين وبينهم بالطبع راترى • وقد أستغل لوجارد اكتشافا اجتماعيا في هذا العلم كل الاستغلال ولم بغال السوفيات كل الغلو في تعديهم للدعم الحمى الذى قدمه بريطانيا في مستعمراتها الأفريقية لنظام المسيخة العبلية ، وان كانوا قد قللوا من أهميته نظرا لاعتقادهم بأن ما في المواقف الدينية التى تتركز اليها أفريقيا التقليدية القديمة من معيد يحتل مكانة ارفع وأعلى في ايضاح القوى الاجتماعية المحركة للسيوخ العبلين ، وقد أبرزوا كأثلة على رأسهم هذا حكم الامراء في نيجيريا الشمالية وحكومة هوبوى - بوينى في ساحل العاج •

ولم تكن القوى التقليدية هى التى استفزت السوفيات وحدهم واسنارت غضبهم وانما اسنارت أيضا عقول الصينيين الذين استفزتهم كذلك الطبقات الافريقية المنقفة وسببت لهم الكثير من القلق فصحيح أن التناقضات الذاتية الداخلية في صفوف الرأسماليين والاسعماريين قد أوضحت نفسها في المستعمرات وكشفت عن سريرتها في الصراعات التى قامت بين الدول الاستعمارية وكان من المتوقع أن نعصف بالاسعمار وفواه ، ولكن السوفيات رأوا في هذا الصدد أن من واجب الثورات نفسها أن تساعد على سير العملية التطورية وأن نمضى بها • ولا ريب في أن السوفيات رأوا في هذا الصدد أن من واجب الثورات نفسها أن تساعد على سير العملية التطورية وأن نمضى بها • ولا ريب في أن السوفيات قد أبرزوا ونسوة العرج تغمر نفوسهم الصراعات التى قامت بين الدول الاستعمارية على الرغم من مؤتمر برلين - الذى قرر اقتسام أفريقيا بين الدول الرأسمالية كما أبرزوا الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة الأمريكية لاحباط مشاريع الفرنسيين عند اعلان استقلال ليبيريا في نهاية القرن التاسع عشر •

وكانت الفكرة السائدة أن التحرر الوطنى لا يمكن أن يتحقق بالطرق السلمية المسروعة (١) وليس نملة من شك في أن صحة هذه

---

(١) يبدو أن المؤلف ميل الى سياسة الصال السلمى التى اتبعها غاندى في تحرير الهند ولكنى أرى أن الظروف الدولية وخروج بريطانيا من الحرب الكوبية الثانية وهى أقرب الى الهزيمة على الرغم من انتصارها هى التى أرغمتها على منح الهند استقلالها • كما أن التحارب الى مرت بها حروب التحرير في أفريقيا وآسيا قد أثبتت أن الاستعمار لا يستسلم بسهولة وأن الكفاح ضده لابد وأن يتسم بطابع العنف •

الفكرة نعلمد أولا وقبل كل شيء على المستوى الفعلي للعابون فى أفة منظمفة من الماطق فهناك أساليب مشروعة للانارة وخلق الهياج . وان لم يكن هذه الأساليب بحكم الضرورة قانونية ، فالعصيان المدني مثلا مشروع ، وعلى الرغم من أن العابون قد سمح به فى إفريقيا البريطانية الا أنه كان محالفا للعابون فى جميع المستعمرات البرفالية والاسبانية والبلجيكية فى أفريقيا ولا ريب فى أن حكومه الاتحاد جنوب إفريقيا لم نسن قانون مكافحة السيوعية الا بقصد معارعه هذا الأسلوب النضالى وكان السوفيات يرون أن الثورة الانجائية بمعناها العسكرية هى خير سبل النضال بل ولعلها فى رأيهم السبيل الجوهرى له . ولكن هذه الفكرة لم تعد الرأى الذى يصر عليه السوفيات الآن ، وقد نفاها حروسوف بعيا فاطعا فى الآونة الأخيرة . .

ومازال العالم الشيوعى يؤمن بما فى السورات البورجوازية من مكر وافسغار الى الاستمرار وهم يعنون بهذا الاصطلاح السورات ، التى نعلن من على منبر مؤنم مائدة مسندبرة . وليس بمة من بملك فى أن القيادة البورجوازية لأفة بورة وطيه فادره على أن نسرق السورة وعلى أن نخرمها من الاستمرار ولكن اعتبار هذا الاحتمال ، الذى قد يقع أو لا يقع أساسا لمعاداة هذه النورة هو نعصب جنوبى لفكرة خاطئة . واصرار السوفيات على أن الطبقات العاملة وحدها فى أى مجمع من المجمععات هى المخلصة للتححر الوطنى وهى القادره دون غيرها على السير بهذا التححر اصرارا تربط بسوء فهم السوفيات لاحتمالات النورات وامكاناتها . ولست أسك فى أن أفة توره سياسية فى أفريقيا لن يكتب لها النجاح دون بؤيد العمال لها ، ولكن العمال ليسوا وحدهم العنصر النورى أو النورة كلها . وقد أودع لينين آراه فى احتمالات النورات وامكاناتها فى كتابانه عن القوميات وسياسنها . فلقد أوضح فى هذه الآراء أن السورة هى بورة البروليتارية العالمية وحدها ، وبص على وجوب فمع الأمانى القومية عندما تفف موفف المعارض مع حاجات السورة البروليتارية العالمية كما وقع فى المجر مثلا . ونصت آراؤه أنصا على أن من واحب المفاهيم القومية أن تستعبط بالعمليات السياسية عن النواشز العنصرية واللغوية وكانت ثمرة مفاهيم لينين هذه الشعار الذى رفعه ستالين فى عام ١٩٢٣ . . « انستراكى المحتوى وطنى النشكل » .

وهكذا نرى أن السياسات السوفياتية نجاح الحركات الافرنمة الوطنية وحركة الوحدة الافريقية لم يكن مستقرة او ثابتة تمام النبات فلقد ربح السوفيات مثلا بكل حركة تؤدى الى تحطيم قبضة الاستعمار على اعتبار ان هذه الحركة ستعمل على نقوبض نفوذ الرأسمالية وسلطانها . او انها ستكون على الاقل نقطة وبوب مثالية فى معركة هزم

الرأسمالية والانسصار عليها . ومن هنا كان ابطال الحركات الوطنية وقادتها يظهرون في بعض الاحيان وكأنهم يمتلون ادوارا لا نكاد تصدق . ولكن السوفيات سرعان ما عثروا على الطريقة التي يعززون انفسهم بها . وهى أن هذه الادوار مهمة على اى حال . لكن نحول الطاقات الافريقية نحو الوحدة الافريقية الجامعة ، لم يكن لعجب السوفيات اندا كما انه لم يعجب الغرب اطلاقا ، فالسوفيات يرون في هذا التحول نزعة تمثل خطر القفر فوق اخدود الثورة البروليتارية العالمية بدلا من المضي في اداء المهمة الاساسية وهى ازالة ما للرأسمالية والاستعمار من سلطان في كل مكان . ومن هذا المنطلق مال السوفيات الى النظر الى حركة الوحدة الافريقية بعين الخيال الرومانطيقى لانهم كانوا دائما اكثر اهتماما بتصمية الغرب وقواعده منهم باعادة بناء افريقيا وتعددها . أما الغرب فيرى في حركة الوحدة الافريقية شيئا رهيبا اذ ان قيام افريقيا موحدة يؤلف خطرا اقتصاديا مباشرا على مصالحه بينما يؤدي وجود افريقيا مجزأة الى اضعاف نفسها تلقائيا عن طريق التنافس على ود الغرب ومساعدته .

وانا ارى في سياسة لينين عن القوميات محاولة خففيه لتوسيع ما ينطبق على املاذ كبلاد ، وتحويله الى طابع الشمول على أساس طبقيه على صعيد عالمي . فهناك امبراطوريات متعددة القوميات . وهناك جامعات للشعوب متعددة القوميات ايضا كما ان هناك احلافا أو عائلات متعددة القوميات ولكن ليس بمة دولة واحدة متعددة القوميات ، وانما هناك دول قومية ليس الا (١) ولا ريب في ان محاوله اعسار

(١) اعتقد أن المؤلف قد عالى في اطلاق هذا المصميم فالالاتحاد السوفياتى نفسه مثل على وجود الدولة المعقدة القوميات اد أن فيه بالاصافه الى الشعب الروسى عدة شعوب أخرى محلله القوميات كالاوكرائيس والروس البيض والعوراي والتتار والتركس والارمن والتركمان والخورجيين والمغول ، وكانوا كلهم خاصعين للامراطوريه الروسيه في عهد القيصرية ثم أصبحوا في نطاق الاتحاد السوفياتى بعد الثورة الشيوعية وقد يعال ان العقيدة الشيوعية هى التى تجمعهم في دولة واحدة ، ولكن هذا القول يطل عدما يرى أن القوميات الاخرى الى دانت بالشيوعية بعد الحرب الكويه الثانية لم تضم الى الاتحاد السوفياتى وانما ظلت جمهوريات اشراكية قائمه بذاتها وان شدتها الى الاتحاد السوفياتى سياسة واحدة هى سياسة الحجه الاشتراكية وسواء اصح مايقوله الغرب من أن القوميات النامعه للاتحاد السوفياتى هى في حكم الشعوب المستعمرة أو صبح مايقوله الاتحاد السوفياتى من أن هذه القوميات انصهرت في بوتقة المصلحة المادية المشتركة وارتضت بواقع المشاركة في الحكم التمثل في الاتحاد السوفياتى كدولة متعددة القوميات فان الشيء التات والمؤكد أن الاتحاد السوفياتى دولة متعددة القوميات كما أن الولايات المتحدة تضم قوميات عدة انصهرت في بوتقة الدولة الواحدة ، واحسن يرى ايضا أن فكرة قيام ولايات متحدة أوروبية يضم عدة قوميات آخذة في السو ، ولعل السوق الأوروبية المشتركة هى أول مظهر عملى من مظاهرها ، بالنظر الى قوة العامل الاقتصادى في تكوين الوحدات الدولية .

— العرب —

الاقليات الصغيرة داخل اية دولة من الدول كجماعه قوميه حيانه لاساس الدولة وفكرتها ، وكانت هذه هى المحاولة التى قامت بها فرنسا فى الجزائر لتثبيت اقدامها كما انها هى السبب فى فشل بريطانيا فى تسديد قبضتها على كينيا ورودسا السمالية وجنوب رودسيا وكذلك فى معالجه مشاكل المستوطنين فى مستعمراتها .

وقد بانث معظم ارجاء العارة الافريقية مستقلة الآن من الناحية السياسية وقد بات لديها احساس معين بالرغبة فى المبادرة فى القضايا السياسية المجردة ، ولكن عندما تكون للعصاة الساسية نأثرها الخطر على الآمال الانصا دية فان السياسية لا نعكس فى مثل هذه الحالة ، الاستقلال الكامل . ويصبح فى وسع الانسان ان يعلق الكثر من الاهمية على الابتسامات الودودة التى يعايل بها فى خارج افريقيا . ولقد كان من التسائع فى افريقيا ان عمور العالم باسره ينظر الى فارنا . وكانت بمره هذه النظرة من الناحية العملية، انها جردنها من الاخلاص والانزاع فعيون العالم كله لسب مركزة على افريقيا ، ولو يمكننا من بحول عيون افريقيا الى بلادهم ، ونوقفنا عن عمد المقارنات التى لا اساس لها مع الفارات الاخرى . فان المعجزة الافريقية تتحقق حتما . ولا يمكن لاستقلال افريقيا ان يعتبر سيئا مهما الا اذا كانت افريقيا مركزية فى عملها . وفى الصورة الدابة التى نفلها لنفسها .

## بعث أنريمتيا

المشاكل الاقتصادية - الموارد الاقتصادية - فضائل الوحدة الإفريقية -  
 - المشاكل السياسية - الحزب الثوري - الاماني المتساوية - مشاكل  
 الحكم - دور المثقفين - الحياد - جامعة الشعوب البريطانية - الثورة  
 والاخلاق - أهداف التربية والتعليم - نهضة افريقيا - شعار الوحدة  
 الإفريقية .

من حق افريقيا أن تشكر الايام لانها حبثها بأشياء كثيرة . فعلبها  
 أن نحمد ونشكر . لان نجارة الرقيق قد الفيت في النهاية . بعد أن  
 نوطدت أقدامها ، وعلها أن نحمد لان المدارس قد أقيمت فيها ، ولأن  
 سبل التعلم قد بوافرت لها ، ولانها زودت بمعاهد الطب العلمى  
 ومعاهد الزراعة العلمية ومكافحة الاوبئة والحثرات ، وعلبها أن نشكر  
 للعثات التتسيرة ما قام به من اعمال في ميادين التشير بالمسحبة،  
 والاصلاح والتربية والتعلم والطب ، وان نحمد للمكتشمين والجوابن  
 كشهم لمجاهل فارهم وخفابها ، وعملهم على ربط اجزائها بشبكات  
 واسعة من طرق المواصلات ، ولموظفى الحكومات المختلفة نكرانهم الذات  
 في ادائهم اعمالهم الادارية (١) .

لكن هذا التعبير عن الاعتراف بالجميل يجب أن لا نوحى بأن  
 «الوجود» الاوروبى في افريقيا لم يكن الا لخدمة افريقيا نفسها  
 ويجب أن لا نسمى هذا الشعور بالحمد اعبننا عن الحقيقة الواقعة، وهى  
 أن بعض المشاكل التى نواجهها افريقيا اليوم ليسب الا نمرات لانصالحا  
 بأوروبا . وتنبع كثر من هذه المشاكل من الافتقار الى التخطيط ، ومن

---

(١) انا أختلف مع المؤلف كل الاختلاف ، في هذه المعايير عن التشكر والامراف  
 بالجميل حتى وان كان بن في العفراء التالية جميعه الاهداف التى حملت الاوروبى على أن  
 بفعلوا هذه الاعمال الى يرى المؤلف انها حديرة بشكره . فلايكن للانسان أن يشكر على  
 عمل ، هدفه منه بحقيق مصالحه هو ، حتى وان عاد هذا العمل ببعض الفائدة على الآخرين  
 وليس تبه من يكر أن كل ما فعله الاستعمار في افريقيا هو لخدمة مصالحه لا لخدمة  
 الافريقيين .

- العرب -

الافتقار الى انه جادة في تناول ميم النظم الافريقية الخاصة بها . ويرى الافريقيون ان موقف أوروبا من قارتهم كان موقعا يعوره الدراسة . بل موقف الهواة المقتدر الى القواعد والمبادئ ، لا سيما وهم يرون أن أوروبا قد حملت اليهم الآراء العنصرية .

وقد كيف الاستعماران البريطانى والفرنسى نفسيهما كبيرا ، نجابا منهما مع النظرية الاقتصادية عن الانسان ، فتأخر الدولتين الاستعماريتين في اعطاء الاستقلال للجزائر وكينيا ، انما نجم عن دوافع ومخاوف اقتصادية ، تتلخص في الخوف من انتزاع الملكيات من الاقليات البيضاء عن طريق حصول الاغليات الافريقية على حق الاقتراع . وقد يكون من الضروري عند حصول هذين البلدين على استقلالهما اجراء اعاده توزيع للمواد الطبيعية ، اذ ان هذا الاجراء ، هو السبيل الوحيد لتحقيق شيء من العدالة الاجتماعية التي لا وجود لها في هذين البلدين . وكل ما هنالك ، هو أن يسعى الساسة في هذين البلدين الى شراء استقلالهما عن طريق التعهد بمنح التعويضات الكافية في حالة تعديل التوزيع الذي يعنى انتزاع الملكيات من الاقليات البيضاء (١) .

ويعتمد مستقبل افريقيا على حاضرها ، وليس الحاضر الا ممره من تمار الماضي ، ويود المرء ان يربط بالحاضر نتيجة العملية القائمة من جراء الامتراج بين قوى افريقيا التقليدية القديمة وبين القوى التي ادى الاتصال مع أوروبا الى اطلاقها من عقالها على قارنا . ومن واجب الانسان أن يوضح بنىء من التفصيل البفسافه الى كانت أوروبا على اتصال بها ، حتى يستطيع أن يقدم الصورة الحقة للمشاكل التي تواجهها . والصورة الحقة هي التي تمكننا من تشخيص العلة تشخيصا صحيحا ، وأنداك تكون وصفة العلاج التي نضعها على ضوء هذا التشخيص الفرصة الصالحة للنجاح في العلاج .

وتتلاحم موارد افريقيا الطبيعية مع مساكلها تلاحما ويني الوشائج وبعض هذه المتساكك ذاتى الوجود أى قائمه في قلب افريقيا ، وبعضها وصفى ، أى لا علاقه له بجوهر الوجود . ويوجد المتساكك الوصفية في ذلك الطرار من التبدلات التي تواجهها افريقيا اليوم . وفي سرعة

(١) اختلف مع المؤلف في حديثه عن شراء الاستقلال والاستقلال يؤخذ ولا يعطى ولم تنتر الحرائر استقلالها بصمانات يصدرها أنأؤها لمنح التعويضات الكافية الى المستوطنين كما يقول المؤلف وانما اشترتها بالدماء الركبة دماء شهدائها الاربار ، الذين فاق عددهم المليون ، وبعد كعاج استغرق سبع سواب أو يزيد ، ويطبق هذا القول أيضا من كينيا التي جاهدت طويلا وصحت بالوف الارواح من أنأها للحصول على الاستقلال .

— العرب —

هذه التبدلات وغذ سرها . وقد اجتذبت مشاكل النبدل أو النحول في افرقيا عناية علماء الاجتماع . وعلماء الاجناس البشرية ، ورجال التربية والاطباء وعلماء النفس والاطباء النفسيين والمرضات والكنائس والحكومات ورجال الادارة ، ونظهر أعراض الانتكاسات المؤلمة النانجة عن هذه التبدلات بصورة طبيعية ، عن طريق الثقافات الافريقية المحلية، وما لم يعم المرء بتحليل هذه الاعراض تحليلا صحيحا ، فان عمله لا يقوم ولا يمكن ان يقوم على اساس صحيحة . وما لم تعتبر التفافات التقليدية القديمة النى ما زالت مؤبرة فعالة ، مؤثرات بابتة ومستمرة فان التقدم الذى نبغيه يقدو محدودا ملتويا ، بدلا من ان يكون معفولا ومستمرًا .

ويمكن تصنيف المشاكل النانجة عن هذه التبدلات فى عدة فئات : منها الاقتصادية ومنها السياسية والاجتماعية والتربوية . ويعتمدتقدم افرقيا على قدرها على فهم مشاكلها هذه وعلى معالجتها علاجة صحيحة .

ولقد ركب أوروبا بالاضافة الى ادخالها الى القارة الافريقية احتمالات جديدة فى مجالات الاقتصاد والسياسة والتنظيم الاجتماعى ، والتربية والتعليم ، آتارا نفسخية مؤنرة . وقد جاء هذا التسيح مع الدانة المسيحية ومع الاقتصاد الاوروبى ، وانظمة المواصلات وقوانين أوروبا وانظمه الحكم فيها . فالدانة المسيحية ناصرارها على محاسبه الفرد امام صميره وامام الله . تركت فى افرقيا آرا مسيحا يؤدى الى بصدعها ، وأدى التنظيم الاقتصادى الاوروبى بربطه بين الاجر والجهد الفردى ، وظهور الطرف والسكك الحديدية والمواصلات المائية والهوائية . وانساع مدى الاتصال بين الناس وسرعته ومعدل الاتصال الثقافى وما لحق به من نبدل ، وحشد مجموعة من القبائل فى وحده اداريه اقليمية واحده وخلق فرص الهجرة من مكان الى آخر الى آتارنفسخيه فككت التنظيمات العائلية والعشيرة عند الافريقين . وأدى ادخال نظام كسب الاجور على اساس النشاط وحده ، الى المدخل فى انوشائج التقليدية القائمة فى الحياة العائليه والى ايجاد الفرق بين العمل والملكية، وادت الهجرات سعيًا وراء الاجور الى ايهان الروابط العائليه ، كما ادت الى نزاد اجراءات نعدد الزوجات لان الأزواج لا يستصحبون زوجاتهم معهم فى رحلاتهم سعيًا وراء الاجور واكتساب الرزق .

ويرجع التنوع فى المشاكل فى افرقيا حتى بعد تصنيفها فى فئاتها المختلفة الى حد كبير الى الفروق فى السياسات التى انبعتها الدول الاستعمارية فى مستعمراتها ، واعنى بها بريطانيا التى كانت سيطرعلى نحو من أربعة ملايين ميل مربع من الاراضى ، وفرنسا التى كانت سطر

على مثل هذه المساحة ، وبلجيكا الى تسطر على مليون ميل مربع والبرغال التي تبلغ مساحة مستعمراتها سبعمائة وخمسين الف ميل مربع واسبانيا التي تسطر على مائة وسبعين ألف ميل . وكانت الساسة البريطانية قد انجحت منذ ايام ماكولى (١) نحو ضمان الاستقلال لمستعمراتها على الرغم من ان السير في هذا الاتجاه كان يطيئا كل البطء (٢) وكانت الفكرة تقوم في زراعة الحضارة البريطانية في افريقيا عن طريق تطعيمها في ثقافات افريقيا وتقاليدها ولغاتها وعمائدها ان كان ذلك ممكنا . أما فرنسا فقد اتبعت سياسة تتعارض مع هذه السياسة بعارضا قطريا وعكسيا ، اذ اتبعت بايجاد نكل مركزي من اشكال الحكم الاستعماري ، ولم تسجع فرنسا نظام المشيخات الفعلية ، اذ انها لم بر دورا تستطيع التسويع ان يؤدوه في عملية دمج المستعمرات بها وكانت يرى أن رعاياها يمكن أن يصنعوا في فئتين : فئة الصفوة المختارة ، وفئة الجماعات «البلدية» من اهل البلاد . وكانت تدأب على سعي أفراد الفئة الاولى بالنفاة الفرنسية . ونعلمهم على عادتها واساليب حياتها لبقوا فرنسين قلبا وقالبا . أما ابناء البلد فلم يكونوا يتلفون الا سكلا خفيا من اشكال التعليم الاولى ، في مدارس اقرب الى «الكتائب» منها الى المدارس . ومن هذا يبدو بجلاء ان الفرنسيين آمنوا بسياسة الافتباس أى وضع الامور كلها على اساس قياس واحد معب ، بينما لم يؤمن البريطانيون بهذه السياسة اطلاقا . وابع البلجيكون خطأ لا يختلف عن الخط الفرنسي ، بتمييزهم بين الصفوة المختارة وابناء البلد ، وأن اختلفوا عنه في أنهم كانوا يرون في ممتلكاتهم الامريفة مجرد شيء يملكونه . ولم تساورهم الفكرة التي ساورت الفرنسيين في ان يدمجوا مستعمراتهم ببلادهم فرنسا ،

(١) اللورد توماس ماكولى (Thomas macaulay ١٨٠٠ - ١٨٥٩ ) مؤرخ وسياسي بريطاني معروف درس في كلية ترينيتي في جامعة كامبردج . شرع يكتب في صحيفة «أدبرة ريفيو» ثم انتخب نائبا في البرلمان في عام ١٨٣٠ ، عين عضوا في مجلس الهند الاعلى حيث اشترك في اعداد قانون الحزاء الهندي . عاد الى بلاده بعد خمس سنوات تم انتخابه نائبا واصبح وريثا للحرية في عام ١٨٣٩ ، أهم كتبه « تاريخ إنجلترا » .

(٢) اختلف كل الاختلاف مع المؤلف في قوله هذا . فقد عرف عن بريطانيا في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين انها كانت زعيمة جبهة الدول الاستعمارية وكانت دائبة السعي لتوسيع امراطورتها الاستعمارية لا في افريقيا وحدها بل وفي آسيا ايضا ، ولقد كان استعمار بريطانيا لمصر والسودان في هذه الآونة كما كان استعمارها لأجزاء كبيرة من الوطن العربي بعد عهد ماكولى كثير . ومن هنا لا يحق إطلاقا القول بان بريطانيا فكرت في منح الاستقلال لمستعمراتها منذ أيام ماكولى ، وذلك لانها كانت طيلة هذه المدة دائمة التفكير في توسيع امراطورتها الاستعمارية .

- العرب -



ولا الفكرة التى ساورت البريطانيين فى ان تقف هذه المستعمرات على اقدمها فى وقت بعيد . ولم يكن هناك فى المستعمرات البلجيكية أى تعليم بعد حدود التعليم الاولى . أما البرتغاليون والاسبان فقد رأوا بعين انظمتهم الحاكمة فى بلادهم ، فى المستعمرات الافريقية مجرد مواد طبيعية وأولية يستغلونها بشئ من التجرد عن الانسانية ، بل وبشيء من الوحشية تماما كما يستغلون اية مواد طبيعية تقع فى متناول ايديهم . وينطبق هذا الوصف الاخر على الالمانيون عندما كانت بلادهم فى عداد الدول التى تسعمر افريقيا .

وتعبر هذه الفروق فى مواقف الدول الاوروبية الاستعمارية من افريقيا اليوم فى المشاكل التى نواجهها القارة فى عملية سحولها الجديدة بكل ما فى هذه المشاكل من خطوره ومعقدات .

ولا يقوم السبب فى ان افريقيا قد استغلب بصورة مفاجئة ، لتجد نفسها متقلبة بأعباء المشاكل التى لم تفكر من قبل حتى فى رسم أى مخطط لها ، فى جذور السياسات الاستعمارية واعماقها ، اذ على الرغم من ميثاق الاطلسى بنقاطه النماى (١) وهو الميثاق الذى وقعته بريطانيا وأعلنت عزمها على تطبيقه بالنسبة الى افريقيا ، فان التكهات حتى عند اصدق العارفين ، لم تكن تتوقع حلول استقلال افريقيا قبل مضي ستين عاما أو مائة عام على الأقل . وانى لأذكر مقالا نشرته صحيفة « تايم اند نايد » فى عددها الصادر فى العاشر من فبراير عام ١٩٤٠ ، عن « مستقبل المستعمرات » عرض فيه كاتبه نبوءة سبقت صدور ميثاق الاطلسى ، واعلن ، وهو الدكتور دبليو . بى مفورد ، ان مشروعا يوضع لمنح المستعمرات استقلالها فى غضون ستين عاما . ولم تتوقع اللجنة الامريكية لستون افريقيا التى عقدت جلساتها فى عام ١٩٤٢ ، لدراسة أهداف الحرب والسلام ، ان يحصل الجيل الذى ينتمى الى امثال قوامى نكروما و آكو ادجيبى وروسى لوهر وابانجا أودوا كابو ، الذين قدموا اليها المذكرات باسم بلادهم غانا وسيراليون ونيجيريا على استقلال افريقيا ، وحريتها ، او حتى ان يطالبوا بهذا الاستقلال .

وبحدث ماجيرى بيرهام فى سلسلة مقالات نشرتها فى صحيفة «التايمز» اللندنية فى عام ١٩٤٢ تحت عنوان « امريكا والامبراطورية »

(١) ميثاق الاطلسى ، هو البيان الذى اصدره كل من تشرشل وروندلت ايان الحرب الكونية الثانية فى آب عام ١٩٤١ اثر اجتماعهما على نارجو فى المحيط الاطلسى ، وقد تضمن الميثاق ثمانية مبادئ أهمها تلك التى تمن حق الشعوب كلها فى تقرير مصيرها .

عن الاحطار التي قد سجم عن سوء فهم امريكا لنوانا برطانسا . وعن الحاجة الى تحديد هذه النوانا واضاحتها ففالت .

« أكثرنا عليا أن نأمل في طلوع صوت من هذه البلاد ، يحمل طابع القياده يعلن للعالم خطبة صريحة وواضحة عن التقدم الذي بفيه والذي يجب أن يستهوى رجل السارع في برطانيا وفي المستعمرات . ويدعوه الى العمل مع اخوانه هنا وهناك في تعاون وتبقي لتحقيق هذا التقدم ؟ هناك مصاعبه واخطار في اعلان الخطط وأذاعتها . أما اليوم فهناك مصاعبه واخطار في عدم اعلانها . فمن السهل أن نفهم هذه اللغة التي تقترحها في امريكا ، وان نعمل على كسب ذلك التعاون الكامل الذي يتعدى بدونه بوقع أى استعاده لممتلكاتنا الضائعة ، أو ضمان مستقبل امبراطوريتنا وجامعة شعوبنا ورحائنا . وقد يطلق البعض على أقوالى هذه صفة الانهزامية ، لكنها واقعية لا انهزامية ، ان نعرف بالتضييق النسبى لحدود مركزنا العالمى ، وهو تضيق يختلف كل الاختلاف عن تدهورنا الكلى المطلق . وسيكون مركزنا أقوى وأشد اذا نقلنا مواقعنا من الدعائم غير السلسلة الى اخرى سلسلة وبابته » .

ومن المحتمل انه كانت هناك اوضاع ثلاثة مكنت حملات الاناره السياسيه لتحقيق استقلال امريكا من النجاح ، وكانت حيازة بعض الدول الاوروبية ، وبينها دول ضعفة بالطبع كالبرنقال واسبانيا لمستعمرات في القارة الافريقية ، مع حرمان بعض الدول القوية جدا كالماسلا منها ، حافظا دائما للحرب وسننها . ولقد أشار مالينوفسكى الى أن الرخف على افريقيا بعد الثورة الصناعيه فى أوروبا لم يكن بالشئ العارض الذى لامسبب له . فقد أتاح هذا الزحف لأوروبا فرصة السيطرة على موارد افريقيا وعلى الأبدى العاملة الرخيصة فيها . ولقد لقيت أوروبا في رخصها هذا العون والمساعدة من الأمريكيين المتشبعين بالحرص على المصالح الماليه والتجاره . وفى وسعنا أن نضرب مثلا بالكونجو ، اذ لولا العون الأمريكى لما تمكن لوبولد ملك بلجيكيا من وضع هذه المستعمرة فى جيبه ، ولقد عثرت أوروبا فى افريقيا ، على مصدر ضخم للموارد الاولية ، وعلى سوق مستسلم لتصريف منتجاتها ، ولم يكن فى وسع المانيا ان تسمح بعد الحرب الكونية الاولى بصياغ نصيبها فى هذه المستعمرات ، وان يستمر هذا الضياغ . وبدا حل الامراطوريات كحل بديل عن الزحف الجديد على افريقيا . يضاف الى هذا ان الامراطوريات كانت اوسع بكثير من ان تتمكن صاحباتها من الدفاع عنها فى وقت واحد .

ولقد اوضح في مكان سابق ، ظهور روسيا كدولة عالمية جديدة وكعوة غربية بالنسبة الى الغرب . أما تأثر امريكا على الدول صاحبة الامبراطوريات فلم يكن يختلف كثيرا في الواقع عن موقف الروس . ولا ريب في أن نجاح العرب في الفصل بين الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي يجب أن يعتبر بحكم الطبيعة والواقع حافزا كيميائيا يحلل الموقف السياسي نفسه .

أما وقد نحقق لافريقيا الآن استقلالها السياسي ، بكل ما يصاحب هذا الاستقلال من مشاكل يمكن تصنيفها لمشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية ودينية ، فقد بات لزاما عليها أن تقرر ما يصنع بهذه المشاكل ، والطريقة التي تعالجها بها .

ولقد كانت بعض المشاكل الاقتصادية بمرحلة عارضة لتحول المفطاعات والاقاليم بصورة تفجيرية الى دول ذات سيادة . وفي وسعنا أن نحسب المشاكل الاقتصادية اللازمة لعملية التمدين ، أي الاسكان في المدن ، من ضمن هذه المشاكل ففي افريقيا لم تكن عملية التحول الى المدن مصحوبة دائما وبصورة عامة بالتصنيع أما في غير افريقيا فقد كان التصنيع دائما سببا من اسباب التحول الى المدن . وقد ادى الافتقار الى هذه الصلة في افريقيا الى اثاره قضايا متعددة عن طاقة المدن الاقتصادية في تأمين الحياة لاعداد من السكان تتزايد باستمرار . ولقد اتيح لكثيرين من النازحين الى المدن أن يكسبوا المال ، وأن يحولوه الى القرى التي ينتمون اليها . وهذا يعني أن جزءا فقط من دخولهم أو مكاسبهم على الاصح ، تتوفر لحاجاتهم الفورية في المدن التي انتقلوا اليها . وكثرا ما يفهم هؤلاء النازحون في اطراف المدن الكبرى وفي مساكن متناهية في الفقر والوضاعة . وأدى انتشار التعليم في افريقيا أيضا الى التحول الى حياة المدن كعامل من العوامل الرئيسية فيه ، فهناك الفروق الشاسعة في مستويات العيش بين المناطق الريفية والريفية ، وهناك ايضا ما يحفز اليه التعليم من اثار للحياة الاولى أي في المدن وأدى انخفاض عدد السكان في افريقيا مصحوبا بالاساليب البدائية في أعمال الزراعة وصيد الاسماك ، الى خفض الوفور الفائضة من المواد الغذائية التي يمكن تزويد المدن والبلدان الكبيرة بها . ومن هنا نشأ وضع مضحك في افريقيا كل الاضحك ، وهو أنها في أمس الحاجة في كل وقت الى استيراد المواد الغذائية من الخارج .

ومن الصحيح ، أن النشاط الاقتصادي في افريقيا قد ازداد زيادة هائلة وعجيبة في عهود ضياع الاستقلال ، ولكن تركيب هذا النشاط كان عجيبا وملئًا بالمفارقات وقد اعتصرت جهود ارباب الحرف

في افريقيا في هذه العهود كل العصر ، اذ على الرغم من ان السكان في افريقيا ، قد باتوا اكر استفارارا بل وأوفر عددا ، الا ان منتجات حرفهم هذه لم نحظ بأى تمدد معقول في أسواق التصريف . فلقد كان هناك من يعملون في حياكة الملابس وصناعة الغزل ، وصنع المنسوجات وحلج الاقطان ، وتصميم الابنية ، ومقاولة البناء وصياغة الذهب والفضة والحداده ، وصناعة الارائك والخزف وصيد الاسماك والزراعة . وقد انصم الآن ابي صانعي الارائك عدد كبير من النجارين والمنجدين الذين يحطون بأسواق داخلية واسعة ومزدهرة . ونحظى صناعة الذهب والفضة أيضا بأسواق مماثلة . أما حاكاة الثياب ، فقد افلحوا ، بتركيز نشاطهم على الانواع الاكثر جودة وبدخا من القماش ، في تحديد الاسعار العالية التي يريدونها . وحمل الاوروبيون الى افريقيا سلعا جديدة وحاجيات من النوع الذي يفوق في انقائه الموجود منه في افريقيا . وبنو التجار الاوروبيون تزويد الاسواق الافريقية بهذه السلع مستعبدن الى أوروبا جميع الاموال التي ستنزف على صناعاتها وتجارتها . ونشأت الاحتكارات بكل ما تعنيه من تحديد استبدادى للأسعار ، واستغلت الارباح البسيطة التي يجنيها المحتكرون في افريقيا ، في اقامة صناعات تنتج السلع التي نحدثنا عنها - ونمى الاجراءات القيدية بصورة ضخمة ، اذ ارغم الصناعون الاوروبيون بجار افرقضا على ان يدركوا بأن لهم وكلاءهم التجاريين في افريقيا .

اما بالنسبة الى التطور الصناعى في افريقيا . فقد ترك امره الى الشركات الخاصة التي اظهرت بعض ائتمنع عن طريق دفن رساميلها وعدم اظهارها ، اذ ان نسبة الفائدة لم تكن مرتفعة الى الحد الكافى ، وكانت مجالات الربح اكثر اشراقا بالنسبة الى الاستثمار المباشر . ولم تكن المصلحة الاجتماعية ذات وزن كبير ، ولذا لم يجر تطوير طرق المواصلات على نطاق قومى واسع . ولم تتطور السكك الحديدية ولا الطرق البرية او الطرق المائية تطورا كافيا . ولا سيما الاخيرة منها فقد ظلت مفتقرة الى أى تطوير . وعوضا عن ذلك فقد قذف بأموال ضخمة في حفائر المناجم ، اذ أن الشركات الخاصة كانت تأمل ، ولها الحق في هذا الامل ، في اسرع المربح وأوفرها عن طريق هذه المناجم . واتجهت الجهود في الحقل الزراعى الى انتاج الحاصلات لتصديرها لا لاستهلاكها محليا . واسعت متلا ، زراعات البن والتسالى والكافا والفطن ، اتساعا كبيرا ، بينما ظل الافريقيون يعانون من نقص الغذاء . وعلى الرغم من ان افريقيا محاطة من جميع جهاتها بالمحيطات ، فانها مضطرة الى استيراد الاسماك المحفوظة والمعلبة من الخارج ، ونحن نرى اساطيل الصيد اليابانية والاوروبية تجول في مياه الساحل الغربى

لا فريقيا حاملة ما بصيده منها الى بلادها ، حث يجرى عليه ، ويعاد تصديره في صفائح حمراء الى افريقيا الغربية نفسها . ولم يجر أى تطوير للمهارات الصناعية فى الفارة . أما البد العاملة الافريقية فيستترف نسطاها ، وتبتز حيوبتها فى الاعمال العادية فى المزارع والمناجم .

واحتياجات افريقيا الاقتصادية ضخمة كل الضخامة . فهى فى حاجة الى المدارس والجامعات والكليات والمعاهد الفنية ، والى المستشفيات والطرق والسكك الحديدية ومتاريع المياه والكهرباء والغذاء واستغلال التروات المعدنية . ولا يستطيع الافريقيون الاعتماد على انفسهم كثيرا فى تأمين حاجاتهم . اذ ان دخولهم الشخصية ضئيلة بينما الاسعار مرتفعة كل الارتفاع . ومن هنا اصبح من واجب الدولة ان تؤمن الخدمات للناس على نطاق غير مألوف فى كثير من البلاد . ولذا بات لزاما تأمين الاموال اللازمة للانفاق على هذه الخدمات . وبات من الضرورى ايضا ان تنتج افريقيا التروة التى سحتاج اليها .

وليس نمة من شك فى ان هذه المشاكل هى من الشدة والخطورة بحيث تتطلب حلا جذريا . والحل الجذرى هو التصنيع ، وسيؤدى هذا التصنيع ايضا الى توسيع منتجات افريقيا الاولى . وهناك طريقان مفهومان للتصنيع : احدهما رراعى والآخر صناعى . وعلى افريقيا ان تقوم بعملية تقيم صحيحة لمواردها فى كل من السيلين لتقدير امكانياتها . وبلغ عدد سكان افريقيا مائتى مليون فقط ، بينما تبلغ مساحتها نحو من ثمانية عشر مليونا من الاميال المربعة ، وهى مساحة تعادل اوربا والولايات المتحدة والهند والصين معا . ومن الواضح ان ارضا مساحتها فى مثل هذا الاساع لا يمكن ان تكون مشكلة لافريقيا . ففى القارة مساحات شاسعة من الاراضى التديده الخصب ، والتى لا نحتاج الى وسائل كيمياوية لتأمين خصوبتها . وفى افريقيا موارد هائلة من الاحرات والحيوانات والمواد المعدنية ، ولكن عددا العمال الفنيين فيها محدود ، ولذا فهى مفتمة الى البد العاملة الفنية والى الرساميل . وقد لا تكون الحاجة فى الصناعات الزراعية كبيرة الى البد العاملة الفنية بفدر ما تحتاج اليها الصناعات المصنوعة .

وفى غابات افريقيا الوسطى كميات كافة من الاحتباب لاستهلاك الافريقيين وللتصدير أيضا . وهناك كميات وفيرة من الاحتباب التى تستخدم فى استخراج الصباغات ومن الاحتباب اللازمة لصنع الخزائن . وفى الامكان اعداد ودبان افريقيا وسهولها وهضابها لزراعة الحصر والحبوب والفواكه . وفى الامكان ايضا رراعه كميات ضخمة من الطباق

والبطاطس والتوفان والتعير والبن وفصص السكر وجوز الهند والنباتات التى نخرح الزيوت والذرة والطماطم والبصل والفستق والسوايل والككاو والمطاط والفطن وعشترات أخرى من الحاصلات المهمة . وفى الامكان كذلك أن نصبح المساحات المزروعه فى افريقيا الشرقية وحدها معادلة للولايات المتحدة ، وأن نزرع بمحاصيل البلاد الحارة والمعتدلة لتصديرها . ويمكن عن طريق تنوع الفواكه المتوافره الآن تأمين الوفور اللازمه لاعدادها للتصدير . فالاناناس الذى ينتج فى افريقيا الغربيه يعتبر من اجود انواع الاناناس فى العالم ، ولكن طاقته على البقاء مده طويله غير متوافره ولو امكن العتور على طريقه لحفظه، فانه سيجد سوقا عظيمة للتصدير ولا شك .

وليس نمة من شك فى ان هذه الاهداف الزراعيه بحلق بالطبع المتسايل الخاصة بها ، سواء منها التقنية أو الثقافية . وفى الامكان حل جميع المتسايل النفقيه . وأما اذا أخذنا بعين الاعتبار أن نسبة كبيرة من العمال الافريقيين قد امتصتهم الاعمال التى لا علاقة لها بانتاج المواد الغذائية فاننا ندرک اننا اذا استئسنا الككاو فان جميع ما ينتجه فلاحو افريقيا يستهلك فى اطعام كاسبى الاجور من الافريقيين . وهناك اجراءات زراعية معننه لم تؤد الى أنة نتيجة . وقد ادت طريقة تحويل الزراعة من مكان الى آخر ، وتوسيع مساحة الافدنة لكل فرد الى الاضعاف من خصوبة الارض فى بعض المناطق الافريقية . ولما كانت المساحات بالافدنة التى يملكها الناس آخذة فى الازدياد ، فان العائض من الاراضى آخذ فى النقصان ، كما ان الفتره الزمنية التى يسمح فيها ببقاء قطعه من الارض فى حكم «الراحة» للاستجمام من عناء الفلاحة، استعدادا لاعاده زراعتها تنخفض انخفاضاً كبيراً يضاف الى كل هذا ماتحده عوامل التعرية الطبيعية فى الارض من سلب لتربتها. وما لم يسارع الافريقيون الى استخدام الوسائل الفعالة لحفظ التربة وزيادة خصوبتها عن طريق الاسمدة الكيماوية ، فان الزراعة التى يقوم بها الافريقسون أنفسهم ستسير فى طريق الاضمحلال والانحطاط ، ويحتاج الافريقيون الى وسائل محسنة للذار والتعهد والحصاد ، للحصول على نتاج اجود وافضل ، ولما كانت الاسمدة الكيماوية باهظة التكاليف فان فى الامكان استخدام الاسمدة العضوية بكميات اوفر ، كاجراء اقتصادى يوفر المال ، وقد اجرب التجارب والبحوث العلمية فى مواضيع اختيار المحاصيل ونحدد الدورات الزراعية لانتقاء المحصول الذى يصلح لكل شكل من اشكال التربه . ولا ريب فى ان الافريقيين قد استخدموا نظام الدورات الزراعية حتى قبل بوغل الاوروبيين فى بلادهم ، وهم يستخدمون على سبيل المثال الذره والقطن والفول السوداني والفول

في دورة زراعية كاملة، ومحاصيل الدورة الزراعية هي الوسيلة الفعالة للحفاظ على محاصيل جاهزة دائما في افضل مستويات الاسعار بسبب عامل الموسم الزراعي ، كما انها وسيلة من وسائل تقليل الفترة الزمانية في اراحة الارض الزراعية .

وتصلح المناطق الجافة من افریقا كشمال غانا وبيجريا والفولتا العليا وغيرها . كأراض للمراعى أكثر من صلاحيتها للزراعة . وفي وسع الاكتناز من تربية الحيوان في هذه المناطق وفي غيرها ككينيا ونيجانيا مثلا ان تنتج كميات كبيرة من الحيوانات التي تستخدم في استخراج الحليب وتأمين اللحوم ، أكثر من حاجات افریقا نفسها . وصحيح ان هناك جماعات من الرعاة في افریقا يحسبون مواشيهم بما يملكونه من رءوس منها بدلا مما ينتجونه من حليبها ، وهؤلاء تحول تفاليدهم سبه الدينية بينهم وبين سوق حيواناتهم او بيعها . ولكن هناك اماكن أخرى في افریقا كافية لتربية اعداد كبيرة من الماشية . وصحيح ايضا ان تربية المواشى في افریقا كافه لتربية اعداد كبيرة من الماشية . وصحيح ايضا ان تربية المواشى في افریقا تتعرض لنكات من الاوبئة المنتشرة كالحمى الاستوائية والبول الدموى وامراض المثانة والجمره والطاعون البقرى وحمل الساحل الشرقى . ولكن في الامكان التغلب على جميع الاوبئة عن طريق خلق المناعة أو التطعيم أو القصد أو العزل . وقد ازداد عدد الماشية في كينيا واوغندا حيث ارتقت أساليب مكافحة الامراض الحيوانية رقا كبيرا بنسبة هائلة . ويمكن حل مشاكل المرعى عن طريق تربية اجود انواع الماشية لانتاج الحليب واللحوم وكذلك عن طريق السيطرة على عمليات الرعى للحيلولة دون ضياع سهيلات المرعى ضياعا كلياً عن طريق اضعاف المراعى ، وكذلك بزيادة هذه المراعى في المناطق الفاحلة والمحددة . وفي وسع متاربع الرى ان تؤمن المياه للاراضى الصالحة للمرعى حيث تتوافر العشب ولكن ينعدم الماء الصالح للشرب ونحصل بعض الماشية في جنوب افریقا على الماء من الاحران التي يحمرن الرعاى المياه فيها ، وينتظر من بعض المواشى ابضا ان تخزن الماء في ابدانها عندما يصل الى احد الحداويل . ولا ريب في ان تحويل تربية الحيوانات الى عملة اقتصادية نافعة عند قبائل «الانكول» في افریقا ، يحفف الضغط على الاراضى التي تستخدم في الرعى .

وفي الامكان ايضا حل المشاكل الرعابه ، اذ انها تتعلق على الغالب بالموقف العام من الارض . وكثيرا ما نعقد المفارقة بين الحقوق الفردية للمزارعه وبين الحقوق الجماعية في الارض لمصلحة الاولى طعما . ويقال ان الحقوق الجماعية تنطوى على بعض المخاطر التي تهدد أى تطوير خاص بالارض ، بينما يقال ان الحقوق الفردية في المزارعة تدفع

اصحابها الى ابداع سياسات بعيدة المدى لتطوير الارض . ويقال ايضا ان الانسان اكثر اندفاعا في اقتراض المال لتطوير الارض التي يملكها منه لتطوير الارض التي تسمح له مجرد سماح باستخدامها . وقد يطلق على هذه النظرية الانمائية اسم نظرية السماره الخاصه مقابل نظرية سياره الباص التي سنستخدمها الفرد في بنفلايه .

ولكن النظام التعلبدى لمزراعة الاراضى لا بنطوى على اى اخطار تهدد استقراره وضماناته ، لان تخصيص الارض للاسره كان دائما فى حكم الالتزام المدنى وقد اوجد اسغلال الاراضى دائما حقوقا تفصيلية او انتارية . ففى روديسيا السماله مثلا حيث سنب الحكومة نظاما لاجار الارض ، نجد ان المنصرفين بالارض يجدون فى عدم وتوقعهم من مكنهم من دفع قمه الاجار فى السنة التاله سببا للامتناع عن القيام بعمل كبير فى الارض التى تنصرفون فيها فى هذا العام . ولاتقوم المشكله الرئيسيه فى وجود اخطار يهدد اطمئنان المراء لبقاء الارض فى حيازته ، وانما تقوم فى توفر القروض وفى طراز هذه القروض التى يمكن بوافرها . وهناك دائما خطر مائل فى ان القروض التى سنب الحصول عليها من مصادر بعيدة لا علاقه مباشرة لها بالزراعة كالمصارف مثلا ، قد تستخدم فى الانفاق على اغراض اخرى غير الاغراض الزراعية . وتكون نتيجته مثل هذا الوضع ان المزارع بدلا من ان يعمل على تحسين مزرعته وبالتالي على زياده دخله ، يكتفى بمجرد تفدير ما قد تنتجه ارضه من دخل فى محصولها المقبل ، ويرهن هذا الدخل مقابل الحصول على قرض اقل منه بكثير ، وذلك لان الفرق يستنفد فى دفع فوائد القرض نفسه ، وقد اضاع عدد كبير من المزارعين مزارعهم ، بعد ان استولى عليها المرابون الثريرون ، والدين بعشمون على المضاربات من هذا النوع .

وهناك من يقول انه يجب ان يعهد بكافه اراضى الدوله الى الحكومات المركزيه بوصفها السلطه الجديده المطلقه فى المنطقه ، ولكن مثل هذا الاجراء يؤدى الى المفلايه فى اضعاف الانجهايات التصديعيه والتفسيخيه للونسائح القبليه ، وحتى لو نحقق هذا الرأى ، فانه سيجعل من الاداره شسئا مستحيلا ، ويؤدى الى قيام اكثر الانظمه الليبروقراطيه تعمسا وطلما ، لاسيما وان وسائط النفل فى افريقسا ما زالت فقيره بوجه عام . وسيكون من المستحيل بالنسبه الى أنة حكومه افريقيه ولا سبما فى البلاد التى يسود الاححاف فيها توزيع الارض كما هى الحال فى كينيا مثلا أو فى جنوب افريقسا الا نصادر الارض لتتولى اعاده توزيعها بشكل اكثر عداله وانصافا .

وفى وسع نمو التعاونيات الزراعيه ان يحدث بورة زراعيه فى



افريقيا وفي مكنة هذه التعاوتبات ان ضمن بحسين الاحوال الزراعية عن طريق قيام الزراعة الآليه والمشاركة في مساحات اوسع من الاراضى . وتؤدى الاساليب التعاوتية ايضا الى تبسيط مشاكل النقل عن طريق امتلاك التعاوتيات لسياراه ، وستطيع الانظمة التعاوتية ان توفر القروض للمزارعين وان تشرف على ادارتها ونوزيعها بحيث تضمن ان جزءا كبيرا منها على الاقل سيصرف على مشاريع تحسين الزراعة. وفي وسعها ايضا ان تملك الآلات التى تستطيع ان تؤجرها الى المزارعين بأسعار ارخص من تلك التى يدفعونها فى الوقت الحاضر للحصول على اليد العاملة لزراعة اراضهم ، مع ما يعنه ظهور هذه الطبقة من دوات اتقال عائق الفلاحين بالدون والاجور التى يدفعونها .

وسيكون من الضرورى بالنسبة الى اية حكومة افريقية فى شرق افريقيا وجنوبها ان تحصل على الارض لتوزيعها توزيعا عادلا . وعندما نفعل اية حكومة ذلك ، فانها تجد نفسها مضطرة بصورة طبيعية الى التعويض على الملاك السابيين على ما قاموا به من تحسينات للارض . ولكن عندما ترتفع قيمة اية قطعة من الارض المملوكة ملكيه خاصة ، بسبب التحسينات التى ادخلتها الحكومة عن طريق المشاريع العامة . فان الحكومة المشترية للأرض لا نجد نفسها مضطرة الى دفع هذه الزيادة الانزامية للمالك الذى لا فضل له فى رفع سعر ارضه . ويذكر القارئ انى قلت فى مكان سابق ، ان الأنظمة التعددية الافريقية كانت تفرض دفع التعويض للفريق المتضرر من سرقة او اذى ، لا بالنسبة الى قيمة سلعة المسروقة او ملكيته المتضررة فقط ، بل وبالنسبة الى ما كان سيحصل عليه من ارباح محتملة ومفعولة من هذه السلعة أو تلك الملكية ، وهى التى حرم منها الآن نتيجة السرقة او الضرر ، وذلك بالنسبة الى الفترة الواقعة بين ارتكاب الجريمة وسوية القضية بصورة نهائية . لكن هذا النص لا يدخل فى الحساب على اى حال اية تقديرات مستقبلية للمدة التى تفج بعد التسوية . وهكذا لما كانت اية ريادة فى قيمة ملكية خاصة ، ناحمة عن عمل تطويرى قام به الحكومة فى منطقة قريبة من تلك الملكية الخاصة ، وانفج عليه من الموازنة العامة . تعسر منطقية فى حكم التقديرات المستقبلية ، فان العدالة الاجتماعية القديمة لا تسمح بدفع هذه الزيادات فى قيمة الملكيات الخاصة عند تقدير التعويضات التى يجب على الحكومة ان تدفعها لاصحاب هذه الملكيات .

وتحتل احتمالات الموارد الناجمة عن مشاريع التصنيع مكانا مشرقا كل الاشراف . وفى افريقيا ننتج اكبر كميات من الصفيح فى العالم . وقد أفادت أساليب الانتاج المكثف فائدة كبرى من الكوبالت الافريقى ، الذى لم يكن غنى عنه فى يوم ما فى صناعة الفولاذ اللازم للآلات السريعة ،

وإذا ما استثنينا الموارد السوفياتية . فإن الكونجو وكندا ، هما المنطقتان الوحيدتان في العالم اللتان تنتجان الكوبالت بكميات كبيرة ومهمة ، وتقوم أضخم مخزونات للنحاس في إفريقيا وذلك في الهضبة المنتجة للنحاس في كانانجا وروديسيا الشمالية ، ونمثل مخزونات الرادوم في الكونجو ستين في المائة من موارد الغرب من هذا المعدن الثمين النادر . وهناك كميات ضخمة من الذهب في جنوب أفريقيا وفي غانا ، وتعتبر ماسات إفريقيا من أجود أنواع الماس وأضخمها في العالم . وفي غانا وسيراليون كميات كبيرة من الماس الصناعي ، وتنتج إفريقيا ثلث انتاج العالم من معدن الكروم والهندوم ، كما تنتج خمس الانتاج العالمي من المنجنيز . ويمكن القول بأن أراضي غانامجبولة بالمنجنيز والبوكسيت ولا تعتبر إفريقيا مفتقرة الى الحديد الذي يوجد متوافرا في جنوب السودان وجبال إفريقيا الشرقية ، وفي القارة بعض الفحم والنفط . وليست هناك من قارة حبتها الطبيعة بالموارد الطبيعية كما حبت إفريقيا . ولا تفتقر الا الى شيئين هما المهارة الفنية ، ورأس المال ، وهذان العاملان ضروريان كل الضرورة لتحويل الموارد الطبيعية الى منتجات جاهزة . ولو قدر لإفريقيا أن تحسب مواردها على صعيد قارى ، فإن في وسعها أن تقول بأنها تملك ثقافة موحدة وسكانا صالحين ونشاطا ومخزونات معدنية ، واحتمالات زراعية ، وحسن نية دولية ضمن حدودها . وتملك إفريقيا في داخلها كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة جميع الموارد الأولية التي تحتاج إليها في مشاريع تصنيعها الصناعية .

وفي وسع إفريقيا أن تقلل من خطورة افتقارها الى الرساميل عن طريق تحسينها لزراعتها وتجويدها . ويمكن اعتبار نقص السكان في القارة على هذا الصعيد موجودا له قيمته الناقصة ، إذ أنه يوحى بالتصنيع الزراعي كوسيلة من وسائل التقدم الاقتصادي ، وتعتمد الدانمارك ونيوزيلنده مثلا على الاقتصاد الزراعي كل الاعتماد ولقد ساعدهما نقص السكان في أراضيها على بناء مثل هذا الطراز من الاقتصاد ، إذ سهل عليهما تجميع كميات كبيرة من الفائض لتصديرها . وهناك في الواقع ميزة للصناعة الزراعية وهي ان المهارات الفنية التي تتطلبها أكثر بساطة ، وأسهل على التوفير إذا ما قورنت بالمهارات التي تتطلبها صناعة المواد الصناعية على المدى الطويل . كما ان المنتجات الزراعية أسهل على التصريف من السلع الصناعية .

وهناك اجراءات أخرى أكثر حماسة يجب على إفريقيا اتباعها اذا كان لا بد من علاج النقص الخطير في الرساميل . ومن الواجب اتخاذ الخطوات اللازمة للتأكد من عدم الاغلاق على الرساميل التي يملكها أناس من إفريقيا في صناديق المصارف الأجنبية وعلى إفريقيا أن تؤمن

لنفسها مصارف كبيره ذات طابع قارى ، لتسد النقص الظاهر في النشاط عن طريق تأمين الموارد الاضافة اللازمة للنشاط المتزايد ، أما بالنسبة الى عمل المصارف الاجنبية في افريقيا ، فان مبالغ محدودة من المال الذى تجمعه هذه المصارف بحفظ بها محليا فى هذه المصارف لفتح الاعتمادات وتأمين السلف ببدا ينزل العسم الاكبر منه الى أوروبا . ولعل الطريقة المتألفة فى اصلاح هذا الخلل تقوم فى انشاء مصارف للدولة ، ومصارف تعاونية تتولى اقراض الافريقين ما يحتاجون اليه للنهوض باقتصادهم .

ومن الواجب تشجيع التوفير فى المصارف الافريقية ، شريطة أن يحرص كل الحرص على اضعاف الاثر الحصرى الذى يتركه التوفير على عمليات الاستثمار ، اذ أن توفير المال يعنى عدم استثماره ، ومن الصحيح على أى حال ان المصارف الرسمية والتعاونية تستطيع أن تستخدم ما يجمع من الودائع فى اقراض المشاريع الاقتصادية الشافعة (١) .

ويعبر الاشراف على تحديد الارباح اجراء آخر من الاجراءات التى يمكن اتخاذها لمساعدة الرساميل على التكون . اد طالما أن الارباح التى تجنى من الارض الافريقية تسرب الى خارجها ، فان هذه الارباح تضع قيودا منظما على نمو الرساميل فى افريقيا . ومن الواجب ايجاد التناسب أيضا بين الاجور والانتاج ، فحسب لا يبلغ الانتاج الحدود القصوى ، يجب ألا يرفع الاجور من قبل الدولة ، لما يؤدده رفعها من عرقلة لنمو الرساميل . وقد يكون من الشاق فى بعض الحالات بالطبع ، نحمين ما يحفظه العمل من انتاج ، والجهاز الحكومى ، والمكتب السياسى والجهاز الاكاديمى ، هى المجالات الثلاثة التى تقدم الامثلة على استحالة تحديد الانتاج وقياسه بحديدا وقاسا معقولين ، وعندما تحدث المرء عن الانساح ، بنحتم عليه أن يقول بأن السطيم العائلي فى افريقيا لا يؤدى نأه حال من الاحوال الى خفض الانتاج وهبوطه .

واستكمالا للبحث فى الامثلة عن الطرق التى يمكن بناء رءوس الاموال بوساطتها ، أرى أن أقول ، ان من واجب افريقيا ، ألا نكون

---

(١) يدو من هذا القول ومن الاقوال التى تليه ، ان المؤلف قد حصر تفكيره فى النظام الاقتصادى الرأسمالى ، الذى يعتمد المشاريع الفردية أو القطاع الخاص أساسا له . وهو يدو من هذا القول ، وكأنه يريد أن تتولى الاموال العامة ترويد القطاع الخاص فقط بما يحتاج اليه من الرساميل لمشاريعه الاقتصادية ، بينما يعفى النظام الاشتراكي وهو الاصلح كما ست علميا للبلاد الافريقية ، بأن تستخدم الاموال العامة فى تمويل القطاع العام ، الذى يعود نفعه على المجموع بدلا من الامراد .

شديده الخجل ، وأن لا يحول خجلها دون اقدامها على الاقتراض ، من الواجب دعوة الرسامبل الاجنبية الى العمل في افريقيا ، شريطه أن تدار بأيد افريقية ، وذلك عن طريق ضمان الحماية الوقائية اللازمة للاسراع في انقباس الافريبيين للمهارات الفنية .

ويجب اقامة عدد من مراكز التوزيع لتصرف بعض المستودعات الاستهلاكية القادمة من أوروبا ، ولقد قبل بأن الصناعيين الاوروبيين كابوا يرفضون في الماضي تحويل بعض صادراتهم الى وكلاء تجاريين من الافريعيين مرتببين خطأ كبيرا في اظهار اياهم للولاء الاوروبيين الموجودين في افريقيا . ولكن في الامكان بحطيم هذا الطرار من الايتار الاحتارى ، فلو أخذ المرء السبارات على سبيل المثال ، امكن خلق هيئات افريقية لنوزيعها ، تتولى الحكومة صماها ، وفي وسع هذه الهيئات أن تتفاوض مع الصناعيين الافراد في أى بلد من البلاد لتصرف مايتجونه من سيارات ، فلو فرض الاتحاد البريطاني لنجارة السيارات وصناعتها متلا اجراء مثل هذه المفاوضات مع الهيئات الافريقية ، كان في مكنة هذه الهيئات أن تتفاوض مع شركة رينو الفرنسية للسيارات أو مع شركة فولكسفاغن الالمانية أو مع منظمات انتاج السيارات الصغيرة في روسيا أو ايطاليا ، ولا ريب في أن أية واحدة مها على استعداد لعقد الاتفاقات اللازمة مع الهيئات الافريقية ، وسيكون في الامكان عن هذا الطريق الاحتفاظ ببعض الارباح النى بجنى من توزيع السيارات داخل افريقيا لتأمين الرسامبل اللازمة للمشاريع الاقتصادية . وسيكون من الخطورة بمكان عظم استخدام هذه الطريقة بأسلوب جماعى بالنسبة الى جميع المستوردات الاستهلاكية ، اذ انها قد تؤدي الى الخفض من الكفايات في التوزيع وقد تشجع على قيام الاحتكارات لكل ما في هذه الاحتكارات من ضرور (١) ولكن في الامكان على أى حال اللجوء اليها كأسلوب ناجح بالنسبة الى نماذج متفرقة من السلع المصنوعة .

وحرى بالمرء عند دراسة المشاكل السياسية في افريقيا أن ينظر الى اشكال المنظمات السياسية التى نشأت في النار ونعزعت ، اذ أن هذه المنظمات هى النى ستتولى حل هذه المشكلات السياسية ، وان ادراك هذه المشاكل وتصويرها لافومان الا على صعيد هذه المنظمات وضمن

(١) برهان جديد على التفكير الراسمالى التسلط على المؤلف اذ أن قيام القطاع العام عن طريق المؤسسات العامة بهذه العملية يزيل المخاوف التى تصاور المؤلف ، أما موضوع الكمايات ، فتفكير يشر الى شيء من العقد والمركبات النفسية التى بحث 'ن' تحرر افريقيا مها التحرر .  
- العرب -

مجالاتها ، وهناك مسكلتان أساسيتان مائتان في أعماس السياسات الوطنية الإفريقية ، أولاهما مشكلة السلطان ، وبانيتهما مشكلة الوحدة أى مشكلة الطريفة التى نتمكن بواسطتها جماعه فرعية من أمة أو فى بلاد من الحصول على السيطرة السفيديّة والنشريعة ، ومشكلة الطريفة التى يمكن بواسطتها الحفاظ على ولاء السعبد أو ضمان تسليمه بالامر الواقع على الأقل ، وقد شعلت المسئلة الأولى أذهان المظمات السياسية الإفريقية أكبر من المسئلة الثانية ، وهذا شأن الحركات الوطنية دائما . فهذه الحركات تفرض باستمرار سكرلا من أسسكال الاسجام والوحدة الوطنية . وحدة بضسم الصفوة ، وانسجاما فى السياسات الوطنية . ومن هنا ننسأ المعارضة الجديدة التى باث مألوفه بين الأحزاب الظهيرة المناصرة وبين الأحزاب الجماهيرية ، والتى تعتمد أسلوب التنظيم ، بعد أن كانت تعتمد فى الماضى وجود الصفوة فى هذا الحزب والجماهير فى الحزب الآخر .

وسيطر الأحزاب الجماهيرية فى إفريقيا اليوم سيطره كامله لاشك فيها ولا جدال . وان السائد على الاعتراف قبل بصع سموا أن أحزاب الصفوة فيما كان يدعى بأفريقيا الفرنسية هى التى سيطر على المسرح بدعم من الادارة الفرنسية . ولكن باننصار الحزب الديمقراطي لساحل العاج ، انتهى عهد سيطره أحزاب الصفوة فى أفريقيا الفرنسية ، ونحن نطلق على هذه الأحزاب اسم « الصفوة » لأنها منظمه حول عدد من الشخصيات من دوى النفوذ والمكانة . ولأنها لا يحصل على ولاء الابباع لها عن طريق الجاوب المباشر مع رعاياهم ، بل عن طريق مافى أسمماء الشخصيات الإفليمبة التى يؤلف هذه الأحزاب من هالات سحره ، وما تسنيره هذه الهالات من ولاء ، ولكن لما كانت أحزاب الصفوة بهمل تفاصيل البيانات التى يستخدمها أشخاص كراعى كنيسة «برى» فى نهدة المناطق التى يهيوها ويسلبوها ، وبهمل أيضا نبيب أقدامها على صعدان الفروع المحلية ، فان هذا الاهمال يؤر تأثيرا خطيرا على استقرارها ، إذ أن الصعبد الذى قد نصاب به شخصية مركبة من هذه الشخصيات يؤدى الى ضعف الدوامه التى بنيرها صاحب هذه الشخصية ضمن نطاق حزب الصفوة الذى ننتمى اليه ، ونخذ البعاش داخل هذه الاحزاب ، فى أوقات الازمام صورة لامنطهية ، ويجول الى سكرلها مرات تتعلق بالتشهير بالشخصيات الحزبية بدلا من المحادلات المنطقيسة التى تناول حسنات الحزب ومساوئه . ويتخذ سلوك الاساع المحالين للحزب صورة هسترية حقيقيّة . وهنا يعرض الحزب صوره من صور العفد والناقضات التى بطبعه بطابعها ، وهى الانفجار الى الانضباط المنسوق الذى نتميز به الأحزاب الجماهيرية ، كما يعرض مدلا واضحا الى الانقسام

الجنونى . وتمثل الشخصيات التى يركز حولها بأليف أحزاب الصفوة فى أفريقيا ، فى صورة الشيوخ القبليين ورجال الاعمال الناجحين ، ولعل أصدق الأمثلة على أحزاب الصفوة هذه حزب «الاتحاد النيجيرى للمستقلين وانصارهم» فى النيجر وحزب مؤتمر الشعب لشمال نيجيريا فى نيجيريا وهناك أحزاب عنصرية يمكن أن نحسب فى هذه الزمرة من أحزاب الصفوة لأنها تسند الى الاحاسيس الرئاسية للكيانات القبلية . ومن أمثلة هذه الاحزاب العنصرية «حزب التضامن السنغالى» الذى يضم كبار الشخصيات الريفية فى البلاد . وقد تكون أخطار القبلية فى التجمعات الكبيرة وهى التى انسرت هذه الايام فى أفريقيا أكثر منها فى أى وقت آخر ، جسيمة كل الجسامة ، وهى تنفع على الغالب من تنظيم الأوصار العنصرية فى قوى سياسيه فعاله . ويمكن تفسير انتصار هذه القوى السياسية بأنها عليلب لجمع عنصرى معين ، وهنا تنور النزعات الانفصالية الكامنه عند الشعوب الافريقية الواسعة الخيال ، وسند خطورة هذه الأحزاب العنصرية حقا فى كينيا وأوغندا والكونجو ، لان هذه البلاد هى من المناطق التى لم تتمكن فيها مثل هذه الاحزاب من احراز الأغليات الحاسمة ، أما فى اتحاد نيجيريا حيب يرتبط الاحزاب بالتجمعات العنصرية فان هذه الاحزاب تمكث على الصعيد الاقليمى من احراز أغليات ساحقة تكاد تنسبه لاجماع ، ومن هنا لم يعد لوجود التجمعات العنصرية الصغيره أنة أهمية بحيث تؤلف مشكلة للوحدة الاقليمية فحزب العمل مثلا يرتبط بعائل اليوروبا فى غرب نيجيريا ووجود أقلية صئيلة من «الابو» فى هذا الاقليم تؤيد المجلس الوطنى لنيجيريا والكمرون ، وهذا الحزب المرتبط بعائل (الابو) لاثير أنة مشكلة خطيرة بالنسبة الى حزب العمال وليست الاحزاب العنصرية دائما من أحزاب الصفوة ، اذ أن كلا من حزبى «المجلس الوطنى لنيجيريا والكمرون» و «العمل» يستندان على الرغم من زعامتهما التقليدية على تأييد الجماهير .

ويمكن القول بالنسبة الى أحزاب الصفوة ، ان الروابط الداخلية بين فروعها روابط ضعيفة دائما وان نخصصها سىء كل السوء ، وانها اذا ما قورنت بالاحزاب الجماهيرية ، فانها تبدو معتقرة الى الانضباط ، والى الاسهام المباشر من أعضائها فى أعمالها اذ أنها تعتمد فى الغالب على الانصار والمؤيدين أكثر من اعتمادها على الاعضاء ، وكثيرا ما تتعارض الطبعة الشخصية لقيادة أحزاب الصفوة هذه مع نمو عضويتها بانضمام شخصيات الصعدان المحلية اليها . وكثيرا ما يحدث المشاجرات والانقسامات فى صفوف هذه الأحزاب ، وتكون غالبا نتيجة صدام بين شخصية محلية كبيرة ، وبين زعيم قومى ، وهنا لابد وأن تنشق جماعة تؤيد تلك الشخصية على الحزب وتخرج منه ويحدث أحيانا خلاف بين

بعض الصغار من العادة المحليين ، وهنا تكون النتيجة الطبيعية ، أن يمسى الحزب بالحمول والكلسل ، بعد النشاط والحيوية . وهنا لابد وأن يستغل قادة الحزب أنفسهم بالأصافة إلى أعمالهم الأساسية في اتخاذ القرارات بالتوفيق بين المتخاصمين ، ووضع جد لهذه الخلافات المحلية . ولا ريب في أن افقار أحزاب الصفوة هذه إلى الانصباط وإلى الاستنجام الداخلي الوبيق ، هو الذي يسهوى عن عناصر الرعامه والمنشيعات القبلية إلى الانصواء في صفوفها ، ويؤدي عدم تنظيمها في الوقت نفسه إلى الحيلولة دون وصول أى صوت من المستويات الجفيفية للحزب ، إلى صف فيساده الكبيرة ، وتتجاوب هذه الأحزاب دائماً مع آراء قادها ، لان هؤلاء القادة يمثلون الرأي العام الوحيد لها ، ولذا فلا يمكن بها أن تضع سياسات تتجاوب مع الحيز المباشر والفوري للجماهير . ولما كان سيوخ القبائل قد عتروا في هذه الأحزاب على فرصتهم الوحيدة في تثبيت سلطاتهم التقليدية الآخذة في الإحلال والتدهور بسرعة هائلة ، فابهم يقلون على الانصواء إليها وبنى أهدافها . وهنا يرى السطاب الاستعمارية فيها : أى في هذه الأحزاب ، الهيئات التي تمثل ميتول الشعب واتجاهاته ، ويسال الثقل المحافظ الذي يحمله الشيخ إلى حزب الصفوة الذي ينضم إليه محاولاً انقاذ مايمكن انقاذه من سلطاته القبلية ، اعجاب السطاب الاستعمارية وتديرها وتأييدها ، ولكن هذه الأحزاب ماثلت أن منيت بالهزائم الشعبية أمام الأحزاب الجماهيرية . ففي عام ١٩٥٦ هزم حزب الاتحاد السوداني الجماهيري أحزاب الصفوة في مالى ، كما هزم حزب عينا الديموقراطى الجماهيرى ، أحزاب الصفوة في عينا ، وحى وطيس النضال على خطوط موازية في البلاد التي كانت أحزاب الصفوة تحتل فيها المكانة البارزة ، وقد اتجه النضال أول ماتجه وبصورته الرئيسية ضد الشعبية السياسية . وقد حاولت عناصر التسيوخ في أحزاب الصفوة هذه أن تؤكد حقوقها في المركز السياسى فى الاقاليم التي تنمى إليها . وفى الوقت نفسه كانت العناصر الجماهيرية تنضم إلى أحزاب الصفوة هذه عن طريق تبعينها لتسيوخها وزعمائها طلباً لحمايتهم ولكن هذه العناصر ماثلت أن رأت فى الاستقلال السياسى ثورة اجتماعية لعودة إلى الاوضاع التاريخية القديمة ، ووجدت فيه قفزة طويلة إلى الامام لا استمرارا للحلقة التي كانت تدور فيها ، وليس ثمة من شك فى أن الجماهير هي التي تفوز في مثل هذه الصراعات التي تدور مع عناصر الصفوة المخنصرة . فقد تغيرت الاوضاع فى أفريقيا اليوم . وبأنت عناصر الصفوة معرضة للهزيمة . كل الهرمة اذ أنها لا تستطيع أن تعد الجماهير بغير الحذر وضبط النفس ، ولغة الوعي الطبقي ، بينما يستطيع قادة الجماهير أن يعدوها وعودا كلها تفاؤل وخير ، وان يثيروا فيها نوازع الارادة ، ويسنفزوا فيها

مشاعر الاحساس بالسلطان ، ويمنوها بالحياة الكريمة التي يتواتر فيها الخير وسودها الراحة والطمأنينة وهكذا توجه وعود قادة الجماهير انباعهم الى المبتكرات الاشتراكية ، ومع ذلك لم يستطع حزب سوابا في النيجر وحزب المجلس الوطني ليجيريا والكمرون في بيجيريا الشمالية ، وهما حزبان من أحزاب الجماهير ، ان يقررا مصير النضال مع أحزاب الصغرة لمصلحتهما .

ومن الأمثلة على الاحزاب الجماهيرية الناجحة ، حزب عيسى الديموقراطي ، وحزب مؤتمر الشعب الغاني والاتحاد السوداني في مالي والحزب الديموقراطي في ساحل العاج وحزب العمل في نيجيريا والمجلس الوطني لنيجيريا والكمرون في نيجيريا أيضا . ومن بين هذه الاحزاب يضم حزب مؤتمر الشعب الغاني في عضويته نحو من مليونين ونصف المليون يدفعون اشتراكات عضويتهم بأنظام ، من مجموع سبعة ملايين يؤلمون سكان البلاد كلها . ويدعى الحزب الجماهيري دائما وبصورة واضحة تمثيل الشعب كله . أما الأسس التي يركز عليها في ادعاءاته هذه متنوعة ومنعددة . ولنضرب على سبيل المثال حزب العمل في نيجيريا ، فهو يتميز بالانضباط الشديد ، وبالتفصيل ، أي الارتباط الوثيق على مختلف المستويات ، وفي وسع أعضائه ان يضعوا السياسات ماسرة وأن يؤثروا تأثيرا مباشرا في تطبيقها . وليس بة من جمود بين أعضائه ، وإنما يتميزون بالحركة التلقائية الدائمة . ويصور حزب غيسى الديموقراطي مثلا آخر ، بينما يصور الاتحاد السوداني مثلا بالنا . وقد ادعت هذه الاحزاب الثلاثة بحكم مظهرها هذا انها تمثل ارادة شعوبها ولا شك في أن مثل هذا الادعاء يقوم على الارقام والحسابات ، التي كثر في الامكان التأكد منها دائما وبصورة مباشرة عن طريق الملاحظة والحساب . ولكن كان هناك شكل آخر من أشكال الأساس ولا علاقة له اطلاقا بالعمليات الحسابية . فقد ارتكز الادعاء هنا بتمثيل الشعب كله ، وبجسيد الارادة الوطنية على أفكار وعقائد ذات طبيعة طليعية وفيادبه بالنسبة الى الحزب الجماهيري . وهنا يكون التأكيد على قيادة الحزب لاعلى أتباعه وأنصاره . وعلى هذا الصعيد وحده ، يمكن مقارنة هذه الاحزاب بأحزاب الصغرة التي أشرت اليها . فقيادة الحزب تستند الى ادعاءها مالها من سلطان على الحزب . ومن ثم تدعى دون أي تحقيق ، تمثيلها لمصالح الشعب ودفاعها عنها ، وتروح بعد ذلك فترسم للشعب مصالحه ، ثم تسرع باسم الشعب في المطالبة بتحقيق هذه المصالح التي هي الواضحة لها نيابة عنه ، وهنا لابد وان نمو الميل الى اعتبار الشعب والدولة شخصية متفوقة ، بل شكلا من أشكال الظواهر اللاحقة التي ينظر اليها بعين الاجلال والخوف ، بل ظاهرة بدائية يمكن لنا أن نسميها أيضا



بالظاهرة التي سبب الرأى ، ولكن المروء العملية بين الرأى عند الاحزاب الجماهيرية ، سرعان ماتخفى ونزول مع مصى الزمن ولا يبقى منها الا القليل ، وذلك لان هذه الاحزاب تحول مع الوقت الى الرأى الثانى الذى يعبر الاحزاب السيوعية مثلا صارخا له . فالاحزاب السيوعية تنسبه لاجزاب الصفوة فى حصر عضويتها المياسره ، ان كانت شبه الاحزاب الجماهيرية فى دونه انصيباطها ومنانة تركيبها ، لكن الانسجام فى قيادتها لايزيد فى كماله على الانسجام الذى يقوم فى قيادات احزاب الصفوة . ويكون الحماس المورى الذى يصل بالحزب الجماهيرى الى مرحلة الاستقلال السياسى ، والذى يحمره الرغبة لاهى اعادة السلطان الى البلاد فحسب بل والى الشعب أيضا ، بورة مردوجه فى حد ذاته ، انه ثورة على الارادة الاستعمارية كما انه بورة على السيطرة المشيخية العائلية ، وعندما ينحوى الاستقلال السياسى ، يولى الحزب الجماهيرى قيادة البلاد ، ومن هنا يبدأ عملية التنويم المغناطيسى للشعب نحو ستر التحدث باسمه ، ولاستكمال هذه العملية بما فيها من سلطان ، يصبح القيادة متركزة فى أيدي الطليعة السياسية الجديدة ، وكلما كان عدد الرجال القادرين على وصع السياسات باسم الشعب وللشعب كله ، أقل ، كلما كان ظهور الطليعة الانزامية لذلك الاسم الذى يتخذ صفة سحرية ، أقوى وأشد .

ولكن هذا الادعاء بتحول حقوق الشعب وطاقاته الى أيدي جديدة ؛ قد يؤدى الى أعمال وحشية مرعبة . فسرعان مايقال بأن ليس تمة من فرد يفوق الشعب فى عظمتة ومن هنا فان الشعب بأسره ، فرادى ان لم يكن جماعة ، سحق قيمته بصورة لطيفة عن طريق معجزة ، تفرن باسمه وتحمل هذا الاسم . اما الحقيقة الواقعة وهى أن الشعب يتألف من أشخاص ، فانها تصاب باهتزاز ينقلها الى حدود الغيب التى لاوصول اليها . ولكن هناك فى أفريقيا على أى حال ، كثيرا من التقاليد البلدية التى لو حوفظ عليها ، فانها تصون الشعب من أخطار الثورة العاتية وقد باتت أفريقيا الآن فى وضع يمكنها من الامساك بالمشكلة من احد جانبيها ومستقبل أفريقيا يعتمد على مجموعة من الثورات التى سير فى خطوط متوازية .

ولا ريب فى أن ماضى القارة يكسب النورات وافعها وصحتها ، فالعقلية الانسانية القائمة على المساواة التى اتسمت بها المنظمات الافريقية الاجتماعية التقليدية تستطيع أن نخرج مبادئ يمكن الحكم على صعيدها ، على أهدافها ووسائلها ، كما يمكن التثبت من صحتها واصالتها ، فلا ريب فى أن هناك أهداف افريقية الطبيعية من حيث أنها تقف صحيحة ثابتة ومن حيث أن التقاليد الافريقية توصى بها ، ولا بدع والحالة هذه ان كانت

هناك وسائل افريقية الطبيعية أيضا : وفي الامكان اطهار بعض الطرق المتبعة في التنفد على انها طرق افريقية . ولا يعتمد نجاح الثورات على عظمة أهدافها فقط ، وانما يعتمد اعتمادا كليا أيضا على طرق تحقيقها .

وفي مكنة المثل الموريتانية التي يعتنقها الاحزاب الجماهيرية أن تحقق الكثير بالنسبة الى ضخامة عدد أرباب هذه الاحزاب . ولكن صحامة هذه الاحزاب لاتنصح انصاحا كافيا من حدة مثلها وصرامتها فقط . فمضى تأثير الحزب الجماهيري بسير في حط مواز ، مع عدد فروع هذا الحزب والمنظمات التابعة له . فكل حزب من هذه الاحزاب منظمات للاسباب وأخرى نسوية ، ويكون عادة مرتبطا بالحركة النقابية كما يتولى اصدار الصحف الخاصة به ، ويكون للحزب عند انصاح مجالات نشاطه ، موضوع وعكس لهذا الموضوع ، وتركيب له ، فهو يميل من ناحية مجالات اهتمامه الضيقة لهيئة سياسية ، تركيبا أو فاهما عن طريق تخفيف حدة التضارب بين المصالح والحوافز والدوافع أو ازالتها ، وهو من ناحية مجالات نشاطه الثانية ، يغذى نفس الانقسام الموجود بين المصالح . ويوثق نفس الوحدات والولاءات الضيقة ويغذيها ، وكأنه يدعو الى موضوعه . والى عكس هذا الموضوع . ولعل هذا هو مفتاح النشاط بالنسبة الى الاحزاب الجماهيرية في افريقيا ، فالفرص المتاحة لجميع اعضائها للاسهام اسهاما كاملا في نشاطها واسعة وشاملة .

وحتى عندما نبدأ الاحزاب الجماهيرية كأحزاب ثورية ، فإنها تبدو ميالة الى التسليم بالمسؤولية عن الثورة الى أيدي القبلة المصطفاه من طليعتها القيادية ، وعلى الرغم من أن هذه الطليعة هي بنة الحزب الجماهيري الا أنها سرعان ما تعزل نفسها قلبا وقالبا ، وروحا وعملا ، وان لم يكن لسببا عن الحزب ، وبغداد من الصعب على المرء أن يرى في النشاط السحبي لأعضائها انعكاسا صادقا عن المثل الثورية التي يجب أن توجههم ولا يمكن لمن أي حزب جماهيري بما في أوصاف من العوز والفاقة الفردية والجماعية والمرص والجهل والجوع ، ان تتنكب عن سبيل الاشتراكية . وحين سبيل لقياس اصالة الاحزاب الجماهيرية وصدقها بعد أن تكون قد أثبتت طلائعها القيادية هو في تبين المدى الذي يمكن به تفسير حياة هذه الطلائع وبرامجها على الصعيد الاشتراكي . وليس في حكم الحتمية أن تتألف الطلائع الجديدة للأحزاب الجماهيرية من أولئك الذين تأثروا عاطفيا أبلغ التأثير في ظل الحكم الاستعماري بالتمييز العنصري أو النعافي أو الاجماعي أو المهني ، أو من أولئك الذين تألموا أشد الألم من هذا التمييز لانهم كانوا فريسة للعجز الذي فرضه هذا التمييز ، ولانهم كانوا قادرين في الواقع على الافادة من الحريات التي كانوا محرومين منها فكثير من هؤلاء كانوا أحيانا ينقسمون على الدول الاستعمارية استقلالها لشعوبهم ،

وما يعرض له مصائرهم صدفة من جراء هذا الاستغلال . وكانت تقمهم  
يستد من جراء الحرمان الذي تعرضوا له هم ، وعانوا منه أشد العناء  
ولكن بعض هؤلاء كانوا أحيانا يبقون في الطلائع الجديدة التي انبثقت من  
الأحزاب الجماهيرية . وعندما كانوا في أيامهم الثورية ، كانوا يحسون  
بلهفه عارمه الى العدالة الشاملة التي تخرج نفسها في اتجاهات اشتراكية  
من النوع الذي يعطى للاستراكية أوسع المعاني والذي تسود فيه العدالة  
على نطاق شامل واسع ، معبرة عن نفسها وعن وجودها بأسرع الطرق  
والوسائل ، ولكن أفراد الطلائع سمحوا في بعض الحالات لهذه اللهفة  
التي لها كل ما يبررها بأن تفسد وتتحول الى مجرد مطامع ضيقة فارغة !  
ولكن هذا الفساد للميل لم يكن على أي حال ناحية من نواحي الحركات  
الاستقلالية .

وقد يفهم هذا الوهن الذي لحق بالمنزل ، على ضوء ما أصاب الاسهام  
- الجماهيرى المباشر في العمل العام من ضعف . وذلك بعد اقامة جهاز بديل  
يختلف في توجيهه عن جهاز الجماهير . كل الاختلاف . وعندما تمت اقامة  
هذا الجهاز ، أضحي عدد المؤتمرات الحزبية أقل ، بل واختفى بعضها  
من الوجود كل الاختفاء .

ومع ذلك فهناك أوضاع نفسية لهذا الضعف الذي أحاق بمثل  
الأحزاب الجماهيرية . فعندما كان يحدث مثل هذا الوهن في الماضي ،  
كانت هناك أولا فروق في مستويات التعليم بين أعضاء الطليعة أنفسهم .  
اذ عند اشتراك التعليم كعنصر ذي أهمية في تكوين الطليعة ، فإن عنصر  
التكافؤ المبجل بين هؤلاء الأعضاء يعرض الى الخطر . وكانت  
هناك نابيا فروق أخرى في السن بين أعضاء الطلائع ولا سيما  
بين الزعماء السنغاليين في القسم الفرنسي من الاتحاد الدولي  
للعمال ، وكان هذا الفرق في السن أو بين جيلين هو الهوة التي  
أحدثت الانفجار في المؤتمر المتحد لساحل الذهب ، وهو الانفجار الذي  
أدى الى التعاف الاعضاء التسبان حول الحزب المساعد : حزب مؤتمر  
الشعب الغاني ، وكانت هناك أيضا فروق في العقيدة ، وإن لم تكن  
واضحة كل الوضوح بحيث تحول الى خلافات عقائدية . وعندما لا يكون  
في هذه الفروق شيء كبير من التعقيد أو حتى من الوضوح ، فإنها تسمى  
فروقا في الأذواق لا في العقائد ومن المعروف أن برنامج الحزب  
الدبوقراطي الغيني وحزب الاتحاد السوداني تستمد وجهها  
من الماركسية ، أما البيانات الرسمية للاتحاد التقدمي السنغالي  
فمستوحاة من الآراء الاشتراكية المسيحية ، ونسر بوحي وتوجيه من

سينغور<sup>(١)</sup> أما حرب الائتلاف الافريقي فقد يكون برونسكى النزعة . ولكن من الخطأ كل الخطأ أن نحاول اليأس هذه الاحزاب الافريقية كل ما بين الماركسية والاستراكية المسيحية والتروسكية من خلاصات مذهبية . وكل ما أفهمه ان هذه الاحزاب لم تضع بعد برامجها الواضحة لتحقيق الفردوس المنشود ، ولذا هي لا تقبل بجميع التعاسير التي تتألق من الناحية النظرية في هذه الرؤى العقائدية التي نجلم بها ولا ترفضها .

ولازالة مافي هذه العروق من تأثير ، نحسم على أفراد الطلائع القيادية أن نوجه جهودها نحو المزيد من الغايات الذاتية ، وتصلب محاوله الحفاظ على ما بين هؤلاء الافراد من تكافؤ ومسأوة ، عن طريق الانره والعناية بالذات .

وعلى الرغم من أن الاحزاب الجماهيرية ، كانت تعتمد الكثير من حماسها الاشراكي بهذه الطريقة ، الا أنها أدت أدوارا هامة في العماره الافريقية ، فلقد كانت من الناحية الاولى نتجاوب مع الرأى العام في بلادها ، وعلى الرغم من أنها مازالت نتجاوب مع هذا الرأى الى حدما ، الا أن هذه الجماهير التي تحاول الطلائع الاستمرار في التجاوب مع آرائها أخذت في التقلص وقد أشبه الاحزاب الجماهيرية أيضا التطلعات الذاتية في افريقيا ، ولا ريب في أن هذه التطلعات هي أيضا ثمرة للطريقة التي اتبعتها بريطانيا وفرنسا في ادارة مستعمراتها الافريقية ، فلقد كانت قوات بريطانيا البرية المرابطة في افريقيا قليلة سببا ، بينما كانت تحتل بلادا مساحتها لا تقل عن أربعة ملايين ميل مربع ، ولم يكن في وسع مثل هذه القوات القليلة ولا سيما في المناطق المفتقرة الى طرق المواصلات ، أن تعيد الأمن الى نصابه اذا ماتعرض هذا الأمن لاضطرابات خطيرة في مناطق واسعة . ورغبة منها أي من بريطانيا في سد هذه النلمة في اجراءاتها ، امتنعت عن تغيير الأنظمة التقليدية القائمة على قدر الامكان معتمدة في حفظ النظام في مستعمراتها على سلطة الشيوخ المحليين وهكذا ظلت تحكم عن طريقهم ، وتحافظ على الأمن والنظام بوساطتهم وهكذا تمكنت بريطانيا من منع المشاعر الوطنية عنسد التسعوب التي تحكمها من الاتجاه حقا ضدها . وعندما بدأ سلطان الشيوخ يتهاوى وتندهور فيما كان يوما يدعى بأفريقنا البريطانية ، وذلك اثنان الفترة القصيرة من الهيجان في طلب الاستقلال ، ومع بقاء القوى التقليدية على حالها عن طريق حكم بريطانيا اللامباشر ، اتجه الشعب الذي لم يعد الآن يمثل مجموعة من القبائل المنفصلة عن بعضها ، وانما يمثل بلدا

(١) رئيس جمهورية السنغال ، وهو مشغف لعافه فرسيه عاليه ومن ارق الشعراء باللغة الفرنسية .  
- العرب -

هذا وعى داني الى الهدوء ، وبدأت طواهر وحدنه ووجوده ننصهر انصهارا .  
كلنا في المحتوى الجديد الاكبر ، وقد حملهم الضغط الذي انطوى عليه  
هذا الاتجاه ، الى البحث عن وجود قومي جديد على صعيد الأمة ، أما  
الفرسيون فعلى الرغم من بحطيمهم لسلطان الشيوخ ومحاولتهم حمس  
رعاياهم في المستعمرات على التطلع الى فرنسا ، فان هذا التوجيه ظل  
محصورا في القلة المنقفة واسم الطابع العام للمستعمرين السابقين بحاله  
من الهدوء نفوس ماكان عليه أقرانهم في المستعمرات البريطانية السابقة  
وأخذوا في الانضمام الى النقابات والاحزاب السياسية بشيء من الاستعداد  
والمثابرة .

وكانت نظرية العنصرية كما رأينا من قبل ، تلحق الناس بفئاتهم  
وعشائرتهم حتى من قبل أن يولدوا ، وذلك على أساس مافى جذورهم  
من فوه العوامل الروحية ، ولم يكن من السهل أن يضع المرء «وجوده»  
على هذا الصعيد أو يهزه . وقد سحجت هذه الفكرة عن وجود العوامل  
الروحية حتى قبل مولد الانسان ، وعن وجود «الوجود» حتى قبل ظهور  
الفرد الى قيد الحياة ، اثاره قضايا الوجود على نطاق ضخم في أفريقيا  
وقد باتت القضايا المتعلقة بالوجود قبل المولد ، وبالوجود العائلي  
والعشيري والقبلي مهمة كل الأهمية بالنسبة الى النشاط الانساني  
وكذلك بالنسبة الى تحليل الاعمال البشرية ، وباتت المسؤولية عن الاعمال  
أكثر أهمية من تصنيف هذه الاعمال نفسها .

وليس بمة من شك في أن هذه المسؤولية كانت تلفى ضوءا على  
التصنيف بالذات . ومن هنا كان اقرار عمل ما ، يعرض مقترحه أحيانا  
الى العقاب ، بينما لايتعرض له مقترف آخر ، اذ أن المسؤولية تتعلق بمن  
اقترب العمل وسخصيته . ولم يكن هذا الاجراء نعييرا عن المحاباة أو  
التحيز . وكان النوع الاخلاقي تلصق بمقترفي الاعمال ، لا بالاعمال  
ذاتها . وهكذا كانت الاعمال تصنف عادة للنوايا التي كان المرء يجد من  
الطبيعي أحيانا أن يفرضها بقايليتها ، الذين يحتلفون في شخصياتهم  
وأخلاقهم ، ولم تكن شخصياتهم هذه انعكاسات لآعمالهم ، وانما كانت  
هذه الاعمال ؛ نابعة بل وصادرة عن شخصياتهم .

ولم يؤد نحلل التبين التقليدي القديم الى انهاء الانشغال بهذا  
«الوجود» بصورة مفاجئة . فهذا الوجود جزء من أسباب النجاح الذي  
حققته المنظمات النقابية والاحزاب السياسية لاسيما وقد كانت الروح  
الانضالية في أفريقيا ، قوية وكانت مصدرا للوحد والولاء الكامنين ، ولا  
ريب في أن هذا هو معنى «الانتماء» الجديد .

وتزود النقابات والاحزاب السياسية الافريقية مما فيها من طبيعة

سُمُولِيَّةٌ بِالنَّحْوِ الْإِشْتِرَاقِيَّةِ الْقَوِيَّةِ ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ الْإِسْرَاقِيَّةُ تَحْمِلُ طَائِعَ الْإِصْلَاحِ فِي أَوْرَبَا وَامْرِيكَا نَرَاهَا فِي أَفْرِيْقِيَا تَمْتَلِ الْوَسْعَ الْبَيْدَابِي الْمُنْتَخَذَ شَكْلَ الْحَيَاةِ الْجَمَاعِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ لِي أَنْ سَرَحْتُهَا ، وَلَيْسَتْ الْإِسْرَاقِيَّةُ إِلَّا مَحَاوِلَةٌ لِتَحْدِيدِ الْأَهْمِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَحَصْرُهَا فِي تِلْكَ الْفُرُوقِ الْحَيَاتِيَّةِ الْعَائِمَةِ بَيْنَ الْأَجْسَاسِ الْبَشَرِيَّةِ وَلِهَذَا مَالَتْ الْعُرُوقُ الطَّبْعِيَّةُ فِي إِشْتِرَاقِيَّةِ أَفْرِيْقِيَا السُّلْطَانِيَّةِ إِلَى أَنْ نَكُونُ مِنَ النُّوعِ الْجَمَالِيِّ وَأَنْ يَكُونُ الْعَصْدُ مِنْهَا الزَّيْطُ لَا . وَقَدْ حَمَلَ الْإِفْرِيْقِيُّونَ الْقَوْرِ الْإِكَاثِي الْمَأْتُورَ بِأَنْ جَمِيعَ النَّاسِ هُمْ عِيَالُ اللَّهِ وَأَنْ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ ابْنُ الْأَرْضِ عَلَى مَحْمَلِ الْجَدِّ ، وَكَانَ هَذَا الْعَوْلُ مِنَ الْمُبَادِيءِ الْمَوْجُوهَةِ فِي جَمِيعِ الْأَنْظِمَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ - السِّيَاسِيَّةِ . وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ الْوُثَامَ وَالْإِنْسَجَامَ كَانَا يَسُودَانِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِفْرِيْقِيَّةَ الْمَجْمُوعِيَّةَ . فَلَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ فُرُوقٌ مُعْتَرَفٌ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ الْأَنْظِمَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ لَمْ تَكُنْ تَسْمَحُ لِهَذِهِ الْعُرُوقِ بِأَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً فِي بَعْضِ الْمَجَالَاتِ . وَمِنْ هُنَا كَانَتْ الْإِشْتِرَاقِيَّةُ الْأَنْزِيْقِيَّةُ مَتْنَاهِيَّةً فِي انْسَانِيَّتِهَا . وَلَمْ تَكُنْ قَائِمَةً عَلَى عَقِيدَةٍ مَادِيَّةٍ ضَيِّقَةِ الْخُدُودِ وَالْمَجَالَاتِ وَاتِّمَّا كَانَتْ تَفَكِّرًا اجْتِمَاعِيًّا - سِيَاسِيًّا فَالْفَرْدُ مُسْتَوْلٍ عَنِ الْكُلِّ ، كَمَا أَنَّ الْكُلَّ مُسْتَوْلٍ عَنِ الْفَرْدِ . وَاشْتِرَاقِيَّةُ أَفْرِيْقِيَا أَخْلَافِيَّةٌ لِأَنَّهَا مَوْجُوهَةٌ نَحْوَ الْعَدْلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْحُرِّيَّةِ وَرُوحِ الزَّمَانَةِ ، وَلَا يُمْكِنُ فِي الْمَحْذُوزَاتِ الْإِفْرِيْقِيَّةِ الْجَدِيدَةِ ، السَّمَاحُ بِبَقَاءِ الْإِشْتِرَاقِيَّةِ رَهْنُ ارَادَةِ الْحَمَاسِ الْإِدْيِيِّ ، وَإِنَّمَا يَجِبُ تَنْظِيمُهَا عَلَى الصَّعِيدِ الْحُكُومِيِّ ، وَلَمْ يَعُدْ فِي وَسْعِ الْإِشْتِرَاقِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى سِيَاسَةِ «الْحُرِّيَّةِ» وَالتَّي تَسُودُ الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِفْرِيْقِيَّةَ أَنْ تَمِيشَ ، إِذَا خَالَ التَّقْنِيَّاتِ الْجَدِيدَةِ إِلَى أَفْرِيْقِيَا ، قَدْ أَفْقَدَ التَّوَازُنَ بَيْنَ مَا يَسْتَطِيعُ الْأَفْرَادُ الَّذِينَ يَتَرَكُونَ وَشَانَهُمْ ، جَمْعَهُ مِنْ أَمْوَالٍ بِطَرَقِهِمُ الْخَاصَّةِ الْإِشْتِرَاقِيَّةِ الْمَمْرُكَةِ وَالْمَوْجُوهَةِ هِيَ السُّنْسِيْلُ الْوَحِيدُ لَضَمَانِ بَقَاءِ الْفَرْدِ قَادِرًا عَلَى الْخَصُولِ عَلَى الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنَ السَّلْعِ وَالْخُدُمَاتِ .

وَبُودَ الْمَرْءُ أَنْ يَعْرِفَ أَنْ عَاجِلًا وَأَنْ آجِلًا الْمَجَالُ الْمَتْرُوكُ لِحُرِّيَّةِ الْفَرْدِ فِي كُلِّ هَذَا . . .

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا ، بِأَنَّ لِكُلِّ مَجْتَمَعٍ مِنَ الْمَجْتَمَعَاتِ أَسَالِيْبَهُ الْخَاصَّةَ فِي الْإِرْهَابِ ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْأَسَالِيْبُ فِي بَعْضِ الْمَجْتَمَعَاتِ أَكْثَرُ دَهَاءٍ وَخَبِيْثَةٍ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَجْتَمَعَاتِ ، وَتَبْتَكِرُ حَتَّى الْمَجْتَمَعَاتُ الْحُرَّةُ وَالْدِيْمُوقْرَاطِيَّةُ أَسَالِيْبَهَا الْمُتَعَفَّةُ وَالْخَاصَّةُ لِلْإِرْهَابِ ، سِوَاءَ تَمَثَّلَتْ فِي مَوْعِظَةٍ دَنْيَّةٍ تَلْقَى عَلَى مَنبَرِ الْكَنِيسَةِ أَوْ فِي طَغْيَانِ النِّقَابَاتِ ، أَوْ فِي الْأَنْضِبَاطِ الصَّارِمِ لِحَزْبٍ مِنَ الْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ أَوْ فِي الْجَرَاحِ الَّتِي تَحْدِيهَا الْإِصْطِدَامَاتُ بَيْنَ الْحُكُومَةِ وَالْإِحْزَابِ الْمَعَارِضَةِ أَوْ فِي الْفُضَائِحِ وَحِمَلَاتِ النَّشْهَرِ الَّتِي تَسْنُهَا الصَّنْعُفُ ، أَوْ فِي مَجَالَاتِ السُّخْرِيَّةِ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ أَوْ

الايحاء من الرملاء ، أو في اظهار علامات الدخسة برفع الحواجب ، أو صم  
الشمعاء ونفحها أو هز الاكتاف أو تحريك الدفوف ينسجل منتهج عابس أو  
غيرها من الوف الابتذالات . والارهاب شيء كره وممقوت دائما وبالطبع ،  
ولكنه فعال في التايد من ان سلوك الفرد لن يتحول الى الاغراق في  
الغربة ، ومن أن الحرية لن نحط وتمدهور الى حد التطرف الجنوني  
الاحمق . ولا يعتبر الفرد وحدة فوضوية . انه يعبث في أجواء منظمة  
ويؤدى نظام محيطه الى المطالبة بنسب من التبعية والانضباط ، ولا سيما  
في الاماكن التي لم يعم التعليم فيها بواجبه في خلق الاستجابات المرغوبة  
وعندما تكون هذه التبعية وذلك الانضباط مكرين ، كما هي الحال في  
المجتمعات الحرة والديموقراطية ، فانهما يمتلان قماز الطفل الذي يحاول  
مواجهة فضات من الحديد . وكثيرا ماتحول لطائف الارهاب الديمقراطية  
الى قناع يخفى الوحشية والاثرة ، ولكن ارباب المجتمعات الديموقراطية  
والحرة بالطبع ، هي اكثر أنواع الارهاب اسانيه في العالم (١) اذ حتى  
ولو انهزم الفرد امامها ، فان هزيمته لا يكون الا بعد أن تتاح له الفرص  
الكافية للنضال والصراع .

وهناك طريقة للنظر الى البلاد المتخلفة على أى حال، وهي أن نعتبرها  
في حالة حصار دائم . وقد زودتها النظرات السياسية الغربية بالفكرة  
استلله بان البيان السياسي لانه بلاد يمر في مراحل الحصار الحرجة ،  
وفي حارب الطوارئ مهما كان شكلها بتغيير متروك دى طبيعة محدودة.  
أو مؤفة . ويمكن تعبير بعض الحريات أو الحقائق مؤقنا أو وضعها في  
صنيع مخالفة تماما . أما البلاد التي يمر في حالات ممانلة من التطير  
السريع ، فانها قد تصبح ، كما يقال ، في نفس الوضع لفترة زمينية  
محددة ، وتتطلب الأزمات احرار استثنائية لمواجهتها . وبواجه البلاد  
المتخلفة اليوم جميع مشاكلها في آن واحد ، بينما واجهت البلاد الأخرى  
عين هذه المشاكل بصورة منابعة ، وأعنى بها مشاكل التعليم والمواصلات  
والصحة والتغذية والماء والمجمع والاقتصاد والقبلية الجموحة والمعموعة.  
وتماثل الصدوع القبلية في بعض البلاد الافريقية الصدوع السياسية  
التي نعوم في بعض مناطق النفوذ ، وكذلك الصدوع الافريقية التي توجد  
في بعض الكيانات الانحادية ففي بلاد كنيجيروبا مثلا ، ليس ثمة من خطر

(١) لا أرى أى معنى لهذا التعبير اذ لا يمكن الجمع بين صدين كالارهاب  
والانسيابه فلا يمكن ان يطلق على الارهاب صعه الانسيابه مطلقا حتى ولو على سبيل  
المقارنة ، ولكن المؤلف كما يبدو حريص على الدفاع عن وجهه بظه الى تجرح عن فكرة  
الحياة كما يبدو بوضوح من اتجاهاته الفكرية في الكتاب فاسدع هذا التعبير الذي لامع  
له ، وكان في وسعه لولا هذا المعالة في الحرص أن يقول انها أقل أنواع الارهاب وحشية.  
بدلا من أن يقول انها أكثر انواع الارهاب انسيابه .

في بعث القبليه اذ لما كانت كل مجموعه عرفيه مسيطره في ناحية من  
نواحي البلاد ، فان العنف الذي تولده المرات الطويلة يموب في مهد  
قبل ان ينمجر .

ولا تتسابه الحكومات في الوقت نفسه في الواقع ، في درجه  
احلاسها ، حتى ولو كان من الغيب ان تعمل هذه الحكومات على أساس  
الافتراض بأن جميع الحكومات سلك سلوكا لا معقولا . ومع ذلك فان  
الحكومة وحدها هي صاحبة الحق وصاحبه السلطان في أن تعلن حالات  
الطوارئ في البلاد ، ولا يس القواين الا عند مانبيين الضرورات لسنها  
وعندما يكون القانون من النوع الزجري ، فان الوضع يظهر وكان هناك  
حما قد اعنصب أو العى . وقد يقوم الانسان بعمل من نوع ما ، ولا يعتبر  
عمله جريمة أو جحه ، ولا يعاقب على عمله هذا ، ولكن عندما يس  
القانون الزجري الرادع يغدو عمله جريمة يستحق عليها العقاب ، ولكن  
السريع قد يكون في الواقع بعصد حماة حق من الحقوق ، ونعاني  
حكومات البلاد المتخلفة من سنى الصغوط الهائلة التي شعرض اليها ؛  
فقد يطلب اليها أن تنظم الحقوق ، وأن يسوى بينها وأن نحمى الحقوق  
والمصالح المشتركة ، بتطلب هذا كله منها سيئا من الحساب الكيفي  
الدقيق الذي يحملها على تجاهل حق من الحقوق لمصلحة حق آخر ، أو  
لمصلحة ذلك الكسب أو تلك الفائدة . ولكن عندما تشرع الحكومة في  
اعتبار نفسها ، يد الشعب العاملة وضمرة وارادته ، وحتى تيته فانها  
تعرض نفسها لاغراءات خطيرة ، ونبدأ في فقد انصالتها بنقبض الشعب  
وإحاسيسه . ولكن مجرد الاحتمال باساءة السلطة ليعنبر في حد ذاته  
بعدا ، فمن طبيعة المنجزاب وظواهرها أن تتعرض الى الافساد أو  
ألا نصيب الهدف . ولا يعتبر الاحتمال دليلا على الامكان أو السرحيح .  
وللحكومة نفسها مجموعة من الحقوق فهي ملزمة بأن تعمل صم  
الدمسور ، وهي لا تستطيع الخروج عن نصوصه كما أنها عاجزة عن  
مخالفته . وفي البلاد السريعة التطور حيث النفافات بصطدم بالنفافات ،  
وحيث الميوعة بسود كل شئ ، بحب الحفاظ على السكليات ذات الحدود  
"الصارمة المتزمته" .

وغدو دور المتقفين في مثل هذه الأوضاع دقيقا كل الدقة . وهم  
سعرضون في البلاد المتخلفة أو السريعة النمو والتطور لنوعين من أنواع  
الحذب ، أولها الجذب الذي شترك فيه جميع المثقفين ، والقائم في الفكر  
القائلة بأن الثقافة عالمية الشكل والصورة وليست فومة الطبيعة أما  
الجذب الثاني الذي تعرضون له فهو التطلعات القومية الخاصة بالامة التي  
ينتمون اليها ، وتصيح تسميتهم بالمثقفين القوميين أو المثقفين الوطنيين  
طبقا للمدى الذي يستحيون فيه لقوة الجذب هذه . ويخلق هذا الازدواج



هي الجذب الذي يتعرض له المثقفون نوعا محتملا من السافس في الدور الذي يؤديه . وقد يجد المرء بعض المثقفين مثلا ، يؤكدون الجانب العالمي لمكافياتهم ومؤهلانهم كما قد يجد المرء بعض المثقفين الآخرين يؤكدون الجانب القومي من هذه الكفايات ولا سيما عندما تكون بلادهم تمر في مرحلة التطور السريع أو يعيش في وضع من أوضاع المحلف ، ولا يشبه المثقفون في فترات الانتقال بشكل من الأشكال العلماء والجواريين في أوروبا العصور الوسطى أو المثقفين في العهود الإسلامية القديمة ، من المسائين الذين لا يعرفون بعومية خاصة بهم<sup>(١)</sup> وهم على النقيض من ذلك، يجدون أنفسهم مرتبطين ببلادهم حتى عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار أولئك القريبين من نفايد الفروع الوسطى الذين يبحثون عن العمل مع هيئة الأمم المتحدة، ويحصلون عليه معا . وليس الصورة العامة صورة مثقفين من الآسيويين والأفريقيين ينتقلون من بلاد إلى أخرى ، يعملون كصحفيين في بعضها ، ووزراء في البعض الآخر ، ثم يسهون على الغالب كمؤرخين في بعض نال . ويكون حياتهم على الغالب معتمدة على ارتباطهم بمناطق معينة ، وتكون عالميتهم على الغالب من ذلك النوع الذي يتابع الدراسات العلمية والأكاديمية ، كان يفرقوا أنفسهم في الدراسات الفلسفية أو في الظهور كخبراء في أدب سكسبير في وقت يحتاج فيه بلادهم اما بسبب خللها أو بسبب تطورها السريع إلى جهودهم وطاقتهم في مجالات ذات أهمية آنية . ومن الواجب على أي حال تمييزهم عن المثقفين في المجتمعات الثابتة المستقرة الذين إما أن يؤدي دورا يحتاج إليه مجتمعهم كدور الكهنة في مصر القديمة مثلا ، أو كدور متابعة الدراسات العلمية في أوضاع قومية لا يكون فيه نمة افتقار إلى التقنيين أو الموظفين المدنيين أو غيرهم . ولا عبر منقو أوروبا الغربية وأمريكا أو حتى الاتحاد السوفياتي من التمييز ولكنهم أشخاص يستطيعون أن يغدوا من المثقفين الذين يؤلفون حلقة تستطيع بلادهم أن تعتمد على الاختيار منها في أوقات الحاجة ، كما حدث بالفعل في الحرب الماضية ، عندما غدا أساتذة الجامعات يعملون في مهام تستند إلى التخصص ، وإن كانت تختلف في الوقت نفسه كل الاختلاف عن الأعمال التي تدربوا عليها أو المهنة التي يجترونها ولا ريب في أن هذا التقلب ليس إلا مرة المؤهلات لا التوجيه الذي تلقاه المثقفون

---

(١) اعتقد أن المؤلف لم يفهم تمام الفهم طبيعة العصور الإسلامية فلفسده وقع الاندواج في العصور العربية القديمة في أيام الأمويين والعباسيين بين العروة والاسلام وكانت ثقافة هذه العصور إسلامية الطابع ، لأن المعايير القومية الحديثة لم تكن معروفة بعد . ولذا لا يمكن الفصل بين العروة والاسلام بالنسبة إلى هذه الثقافات .

في المهنة التي يجتري قلوبها ، والمتفنون عنصر لا غنى عنه في كل مجتمع موضوعي .

ومن المؤسف كل الأسف أن يغدو المبتعثون في المجتمعات المنحلقة منعبيين مجهدين . وبطلن على المبتعث بعن المجهود عندما يقو به فبرضة الوصول الى افكار جديده دافعه بالحماس والابارة . والمبتعث هو طرار من الحبراء ، وما الحبير الا انسان سبع منه الافكار بسهولة وبساطه . وهذا بعنى بالطبع أن المبتعثين يميلون الى الاعتماد على دأكرهم وعلى عاداتهم وعلى كل ماأشغلوا أنفسهم فيه وألفوه . ومع ذلك فان المبتعثين وحدهم هم الذين يستطيعون أن يكونوا حساسين اجتماعيا بالنسبة الى الاحتمالات والاضطار المرتبطة مع التطور السريع بأقل مايمكن من الالاف وبأكثر مايمكن من الاقتصاد . وقد يكونون في البلاد السريعة النمو والتطور أكثر فائدة منهم في أى مكان آخر .

وبعتمد كل مجتمع في بعائه على درجة ملحوظة من الموضوعية ، ولا ريب في أن الادوات الناقدة واللاعاطفية التي يستطيع المنقف استعمالها في تحري المسائل والمشاكل ، قيمة كل القيمة . فالنقاس البناء يوجه دائما نحو الموضوعية .

ويمكن تقسيم سياسة أفريقيا الخارجية الى قسمين . قسم يتعلق بأفريقيا نفسها ، ويوجه نحو توثيق الوحدة في تلك القارة . وقسم يتعلق ببقية أنحاء العالم ويعتمد على سياسة مثابرة من الحياد . أما بالنسبة الى أفريقيا ، ففي وسع المرء أن يقول ان مستقبل القارة الافريقية يمكن أن يكون أكثر اشراقا اذا تحققت لها وحدتها . وما دامت أفريقيا مجزأة لامن الناحية الافليمية فحسب ، ولكن من ناحية المنافسات على المكانة والشهرة أيضا وهي المنافسات التي تصل أحيانا حد العداء بين بلاد وبلاد ، فان تلك القارة ستظل مفتقرة الى القوة والأهمية اللتين يحولهما اياها مساحتها وبروتها الطبيعية ، ولعل أفريقيا هي أغنى قارة في العالم وهي كالاتحاد السوفياتي، وكأمريكا القارة ، تضم في داخلها كل ماتحتاج اليه لتطورها الصناعي باستثناء المهارة الفنية ورأس المال .

وليس الحياد رفضا «عكسيا» للخيار بين الخير والشر . فليست له أية علاقة على الاطلاق بمثل هذا الخيار . والخلافات القائمة بين الرأسمالية والشيوعية التي تتمخض كما يبدو عن زوبعة ، ليست في تناول الأخاسيس الدقيقة للبلاد المحايدة ، لان هذه البلاد لم تمر بتجربة ما في هذه الخلافات من حوافز قوامها «التورط» والالتزام واللذين أديا اليها(١) . فالشيوعية والرأسمالية في جوهرهما ليستا صورة مخففة لما

(١) اعتقد ان المؤلف قد حاد من حابب التصوير الصحيح لموقف دول الحياد =

يعوم بين الإبيض والأسود من سافى وحلاف . ولا نود البلاد المحايدة أن تتحد مزيجاً محددة مسبها بالنسبة إلى كافة القضايا ، بحيث يكون ردّها على أى سؤال معداً حتى قبل أن يثار السؤال . إنها تؤبر أن ننظر إلى المسائل عندما يثار ، وأن يكون رأيها فى كل مسألة على صوء ما فى هذه المسألة من وافع . والحياد تحرر من الانحياز ، ولا يمكن أن يعبر بى حال من الاحوال نقاعسا عن اتخاذ القرارات . ويعتبر هذا الموقف وحده مهما بالنسبة إلى الخلافات المبدئية بين الشيوعية والرأسمالية . ولعل الحقيقة فى وجود آراء لم تتولد بعد وأحكام غير مفرجة يساعد هذه البلاد على مع النظامين المتضاربين من اللقاء الحقيقى . وتؤلف البلاد المحايدة طرازا من العازل بينهما يتولى امتصاص الصدام ومنعه ، كما إنها المناسبة التى نترك أثرا ملطفا على النظامين ويبدو دعاة النظامين ، ولصالحهم هم قبل أى شىء آخر ميالين أحيانا للظهور بمظهر العقل والمنطق . وقد نقف آراء الحياديين ، وليس من الضرورى أن تتفق دائما إلى هذا الجانب حيناً ، وإلى ذلك الجانب حيناً آخر . وعندما تكون هذه الآراء باعثة على الرضا من أحد الجانبين فى موقف من المواقف ، فيجب ألا يفسر الجانب الآخر هذا الموقف على أنه يجعل طابع العداء له ، فالحياد هو إنكار ونفى لمثل هذا الشغور العام . ولا يمكن لآراء المحابدين أن ترمز إلى أى شىء (١) .

= هنا ، فليس صحيحاً أن يقال إن الخلاف القائمة بين الكتلتين المتصارعتين بعيدة عن متناول أحاسيس البلاد المحايدة لأنها لا تفهمها بسبب عدم مرورها بتجربتها فمثل هذا القول فى رأى يحمل دعوة مبطلة إلى الانضمام إلى هذا الحلاف أو ذاك بعد تفهم الخلافات . وإنى لأؤم أن سياسة الحياد الإيجابية مستمدة من الفهم العميق للخلاف القائم بين الكتلتين والفهم العميق لاحتياجات السلام العالمى والفهم الصادق لمصالح الدول التى لا شأن لها فى هذا الصراع . - المغرب -

(١) اعتمد أن هذا القول امتناعاً لفكرة الحياد الإيجابية ، وعدم تقدير لها كل التقدير ، إذ أنها تحمل معنى الاتهام « بالعصوية » وعدم قيام السياسة المحايدة على مفاهيم ثابتة ومبينة . لقد نعت فكرة الحياد الإيجابية أول ما نعتت من الرغبة العالمية فى السلام بعد أن ثانت الشربة ما عانت من ويلاب الحرب الأخيرة ، وبعد أن تبينت خطورة نشوب أية حرب جديدة نشبت الاحتراعات الذرية والهيدروجينية التى ستحول الدمار بالعالم أن نشتت أى حرب . وتبين لأصحاب الفكرة أن الصراع العقائدى والمصلحى بين الكتلتين سيؤدى إلى تحول نطاق الحرب الباردة إلى جرب « ساحنة » ولذا بات من واجب الدول التى لا شأن لها فى هذا الصراع العائدى والمصلحى ، والحريصة على سلام العالم ألا تخوض معركة الحرب الباردة وأن تنأى عنها ، وأن تقف معها الموقف الذى تمليه مصلحة الشربة حمعاء ، ومصلحة السلام العالمى ، ومن هنا تبين أن مواقف الدول المحايدة من أية مسألة عالمية ، تمرر على صوء هذه الفكرة الأساسية قبل أن تمرر على صوء المصالح الذاتية لكل منها كما أراد المؤلف أن يعول . ومن هنا يتبين أن لا صحة للقول بأن هذه المواقف لا ترمز إلى أى شىء . - المغرب -

وعلينا أن نذكر هنا ، ان نمه عدة هيئات محايدة في العالم اليوم . وما جامعه التسعوب البريطانيه الا مثل من هذه الامثله . فالجامعة هيئات محايدة وينتمى بعض أعضائها الى عضويه ائتلاف لا يمكن أن يدعى بالائلاف الحيادية ويضمن حياد الجامعة الا يكون بأى حال من الاحوال ائتلافا عدوايا ، بل ائتلافا تقدميا ، وفي وسع الدول الأعضاء من غير المنضمه الى الائلاف في هذه الجامعة ، أن تسفل الى الطرف المعارض لهذه الائلاف بشيء من الصديق والوثوق بالنفس والود ، آراء زميلاتها من الدول الأعضاء المنضمه الى الائلاف ووجهات نظرها (١) . وهذا التنوع في تأليف جامعه التسعوب البريطانيه هو مصدر قوتها . فالجامعة قويه في داخلها لانها تمثل تنوعا في الآراء ويسرهم من فائدة تجنبي من اى ناد من النوادي ، اذا كان جميع أعضاء هذا النادى ينسركون في الاراء في جميع المواضيع . فمثل هذا الوضغ يجعل النادى مفقرا الى ذلك العنى في الشخصيه والمهم الذى ينجم عن تقدير وجهات النظر المنصاريه وبهيمها . ومن واجب كل دولة من دول جامعه التسعوب البريطانيه أن تسكر لهذه الجامعة الفرصه النتي تتيحها لها في جلاء مشاكلها عن طريق النظر في المشاكل المتسابه بطرق مختلفه ونفسيرها ونناولها من نواح مختلفه وعلى ضوء وجهات نظر متعدده . ولم تعد الدوله اليوم كما كانت في الماضى جهازا موجها من الداخل توجيها داخليا .

ولعل أمريكا قبل الحرب العالميه الاولى وبعدها ، واليابان قبل ذلك بكنير قد عرضتا أروع منالين على الدوله ذات الجهاز الداخلي التوجيه في العصور الحديثه . ولقد بات اليوم تاتير العلاقات الدوليه على المواقف التي تتخذها القوى داخل الدوله نفسها كبيرا للغاية ، وأصبح ما يمكن للبلاد أن تسمح به داخليا ، يعتمد بصورة متزايدة ، وتحمل طابع الخطوره على العلاقات الدوليه ولكل بلد من البلاد اجراءاتها وترتيباتها التي لا تسطيع تنفيذها ، مخافه أن يؤدي ذلك الى اغضاب أولئك الذين نطلع الى حسن نواياهم وتعاونهم ، وقد يكون هذا الموقف دليلا بطريقه من الطرق على وجود حد معين من الوحده الدوليه ، ولكن من سوء حظ افريقيا أنه يسير على خط يجعل الانقسامات الناتجه من النوع الذي لا يمكن اصلاحه ، فعلى الرغم من أن ميثاقى الاطلس ووراسو ، يمكن أن

(١) اعتمد أن المؤلف قد أعطى لجامعه التسعوب البريطانيه هنا دورا اكبر من دورها الصحيح ، فالمعروف ان هذه جامعه تضم دوله عدة منها الربط بالائلاف العربيه ومنها المتع لسياسة الحياد الايجابي . وعدم الانحياز ، ولذا فالمعروف ان موقف جامعه من القضايا السياسيه لا يمكن أن يكون موحدا ، وهكذا فان دور جامعه في رأي لا يمدو حدود البحث في القضايا الاقتصاديه ، والعلاقات بين الدول الاعضاء أنفسهم .

— العرب —

باعتبرا ملين من أمله الوحدة الدولية ، الا أهمها يسيران على حطين  
يجعلان الانقسام بينهما من النوع الذى لا يمكن اصلاحه .

وإذا كانت جامعة الشعوب البريطانية قوية فى داخلها ، فابها  
لانفقر أيضا الى القوة فى خارجها . وتعتمد قوتها الخارجية على المدى  
الذى لا تكون فيه ضيقة ومنزمنة ومحصورة فى تفكيرها . وللتدليل على  
وجود الوحدة الدولية فى ود وصداقة ، يجب أن تظهر للعالم انها لا تحلو  
من الخلافات ، وإن كان فى وسعها أن تغلب عليها . وليس فى وسع  
أية مجموعة دولية أن ترشد الى الطريق الى الوحدة فى عالم سوده الاختلافات  
الجذرية ، إذا كانت هذه المجموعة يسودها الانسجام ضمن اطار التزمته .  
وعلى جامعة الشعوب البريطانية أن تظهر انه على الرغم من تنوع دولها  
الاعضاء لامن ناحية العنصر فحسب بل ومن ناحية وجهة النظر والتجارب  
والبرامج أيضا ، الا انها لا تحس بأى نفسى ، بل وتستطيع أن تميز  
المناطق التى تستطيع أن نحقق فيها التعاون بين أعضائها على أساس من  
التكافؤ والمساواة .

ونواجه أفريقيا اليوم عددا من النورات المتمانلة والمتوارية ، ابها  
نواجه تورات فى ميادين السياسة والاقتصاد والمواصلات والتربية  
والتعليم وغيرها من الميادين المتانلة . ومن الواجب أن يربط المرء فى هذه  
النورات عناصر التضامن والنعم الى ينطوى عليها التراث التليد للقارة ،  
والأ تسمح هذه الثورات لنفسها بالانسحاق مع السيل الثورى العالم ،  
وكانها « طفاوة » بانسة خلفتها العصور القديمة . فأفريقيا فى حاجة  
دائمة الى من يذكرها بطبيعتها التقليدية الضخمة ، ولعل أروع آمالها  
معلقة فى الافادة من نراتها وتقاليدها .

وهناك فى افريقيا مثلا الكثير من سننها الاخلاقية وشرائعها التى  
تعتبر انسانية فى طبيعتها . ومن واجب نورات افريقيا ألا تسمح  
لنفسها بطمس سنن افريقيا وشرائعها الانسانية . فالثورات نفسها فى  
حاجة الى مبررات أخلاقية لها . وهناك فى أفريقيا اليوم بعض العادات  
المألوفة التى على الرغم من عدم اعتبارها مشاكل بموجب السن الاخلاقية  
الافريقية ، الا انها على أى حال تثير الاخلاق الاوروبية الى الحد الذى يدفع  
كثيرين من الافريقين أنفسهم الى النظر اليها وكأنها مشاكل أخلاقية .  
ولعل أبرز هذه القضايا مسألة تعدد الزوجات . فما زالت افريقيا من  
البلاد التى تمارس هذا المألوف . ولم يؤد تحصيل العلم والمعرفة فى  
افريقيا دائما الى اقناع المتعلمين بالانصراف عن تعدد الزوجات أو  
استنكاره . ففى المناطق الاسلامية فى افريقيا ، والى حد كبير أيضا فى  
المناطق المسيحية ، ما زال الكثيرون من المثقفين ثقافة مرموقة يمارسون.

بعدد الزوجات ، حتى على الرغم مما جرى بينهم وبين السنن المسيحية من اتصال . فتعدد الزوجات دافع اجتماعي ضخم في إفريقيا ومن الواجب معالجته بمسهي الجذ والعمى .

برى هل تعدد الزوجات مناف للاجلافي الكريمة " عندما بعنبر الزواج بواحدة - على صوء مقولات المطق - الششكل الكامل البوجيد للزوج ، والتشراكة الحقيقية . النى يقوم بين اسانين ، أحدهما الرجل والاخر المرأة . وبخون هذا الاعتبار على جميع الصعدان لا على البصعيد الاقصاى وحده ، أو على صعيد مجرد العناية بالاسره واناجها ، وانما قبل كل شىء على صعيد الرفعة الحيايية بين شخصين دون سواهما ، فان هذا الاعتبار ، وكل ما يلحقه من أفعال ، يوحى بأن لتعدد الزوجات علما اجنياعيا خاصا به وقد اكتشف الباحثون ، فى إفريقيا ، ان تعدد الزوجات ينشر أكر ما يتسر فى المناطق التى يرفع فيها نسبة الوغيات بين الاطفال ، وبنسر العم عند النساء ، أو المناطق التى يقوف عدد النساء فيها عدد الرجال ، أو أحيانا فى المناطق التى يعبر فيها الأكتار من الزوجات من شروط المكاة . ولا يمكن اعتبار كل هذه القضايا مجرد ارتباطات تافهة ، بل يمكن أن نصبح جزءا من المناقشات الخلقية التى تتناول موضوع منع الحمل .

لا ، من الواجب أن نقارن وبفاضل بين حسنات تعدد الزوجات وحسنات الزواج بواحدة . ففى شرقى بيچيريا ، تقوم النسوة فعلا بتشجيع تعدد الزوجات ، وهن يسنن أمورهن بطريقة تضمن الوثام والصفاء بدلا من العداوات العائلية . ويبدو أن تعدد الزوجات والزواج بواحدة ، هما نظامان للزواج ، يرتبطان أوتى ارتباط بالافكار المتعلقة بأسس المجتمع . فحينما بصور المجتمع على أنه قائم على الحقوق الفردية ، فان الميل بسود نحو نظام الزواج بواحدة ، اذ يؤخذ المبدأ القائل بعدم الاعداء على حقوق أى فرد بعين الاعتبار . ويعمل نظام الزواج بواحدة على صيانة هذه الحقوق والحفاظ عليها . أما اذا اعبر المجتمع من الناحية الاخرى قائما على أساس شبكة من الواجبات والالتزامات ، فان الحقيقة الواقعة بوجوب تحديد حق الفرد فى الغذاء . لا تصبح كبيرة الأهمية ، نظرا لوجود شخص حدد بتحتم على الفرد أن يؤمن غذاءه . والاولاد غير الشرعيين أعضاء مساوون فى نفس المجتمع مع الاولاد الشرعيين ، وعندما تكون دوافع الفرد ناجمة قبل كل شىء عن التزاماته تجاه أعضاء المجتمع ، نعدم الفرق الذى يقوم على لا شرعية الولادة ، فى الحقوق بين الاطفال ، ولا بقدر لتعدد الزوجات أى أثر مهما كان ضئلا فى الحقوق الفردية .

ومن الطبيعي أن تؤثر النساء نظام الزواج بواحدة ، في المجتمعات التي يكون فيها الحياة الاقتصادية للشعب النسائية الطابع لا جماعية الصورة . وقد قوت الحركة لتحديد عدد الزواج في بعض المجتمعات الإسلامية ك مصر وتونس والجزائر . حيث أصبح النساء فادرات على خصوص ميادين الأعمال الكتابية والتعليمية بأعداد وافرة . وقد ألعب حكومه بوس نظام عدد الزوجات ، على الرغم من أن الدين يسمح بهذا العدد . أما في المجتمعات الجماعية الطابع في حياتها الاقتصادية فان هذه الجماعية تجد أيضا التعبير عنها في العلاقات الزوجية على أساس عدد الزوجات . وقد تحولت المجتمعات الأفريقية في الواقع الى التصنيع الى حد ما وإلى الطريقة الاكتسابية الى حد آخر . ولم يعد هناك الا عدد قليل من الرجال والنساء يطهرون الميل الى تعدد الزوجات .

ولكن لعدد نائية الى سؤالنا الأول . هل عدد الزوجات مناف للاخلاق ؟ اذا صح انه مناف للاخلاق ، فان الأخلاق فيه لا تتجم عن ناحية اشتراك الحياة في الزواج . فهناك اشتراكات عدة يكون الشركاء فيها كثيرين . وحتى رفقة الحياة أو الصداقة لا تتطلبان أن تقصر الرفقة أو الصلابة على شخصين اثنين لا نالت لهما لتأمين نجاحهما . وإذا لم يكن الزواج مرة واحدة أمرا ينافي الاخلاق ، فان الزواج مرتين لا يمكن أن يعبر منافيا للاخلاق .

ومن واجبا أن نعترف على أي حال ، ان النساء يؤثرن بل ويشلطن على نظام الزواج بواحدة . ويعني هذا النظام اكتساب أحاسيس جديدة ، والاستعداد للوصول الى انضباط متكامل . بل والتضحية بالذات في ميدان خدمة المجموع المغلق . وفي وسع الانسان أن يصفه بأنه نزعته متمعة . انه مثل أعلى بصورة دائمة .

ومن واجب التعليم في افريقيا أن يزود الأفريقيين بمقومات الشخصية اللازمة لمواجهة شذائد الاوضاع الأفريقية . ويرجع الاضطراب الذي يحدث في نهاية فترة صياغ الاستقلال . الى الحقيقة الواقعة وهي انه لم يحدث قط أي فراغ في القيم في افريقيا . وصراع القيم في افريقيا المثقفة ، ك محاولة لاجتاد توازن مرض بين انعزالية الفرد ومسئوليته تجاه أقاربه ، هو انعكاس لمثل هذا الاضطراب وتلك الفوضى . أما المواقف التي يحملها المهاجرون الى المناطق المدنية ، فانها تدخل - بوصفها مواقف تقليدية - كل ما تحمله من شذائد الى جوار هذه المدن واجوانها . ولا ريب في أن خصائص هذه الشذائد تعبر تعبيرا آخر عن هذا الاضطراب . والشذائد هي انعكاسات ، ولذا فان التجارب التي مر بها الآخرون في أماكن أخرى لا يمكن قبولها كموجه دون تجربتها

والتنبت منها . وهناك فروق ثابتة فى المركبات المفسية والنفائيه للمواقف والعقائد والقيم والانضباطات العاطفية ، التى يخلطها الحياء المدنية فى افريقيا وأوروبا . ولم يسبق لأوروبا قط ان مرت فى تاريخها بالوضع الراهن الذى نمر فيه أفريقيا ، ولم يحدث لأوروبا فى هذا التاريخ ان ووجهه بفارة على النحو الذى نواجه به الآن افريقيا وهناك مشاكل اجتماعية بحجب فهمها وحلها . وهناك أيضا قضايا تتعلق بالانماء الوطنى ، فى النسئوز الصحة والمواصلات والتربية والتعليم والصناعة . ومن واجب التعليم فى أفريقيا أن يمكن أكبر عدد من الناس من فهم التبدلات ، والجهد الذى يتعرض له الفارة وكذلك من تقدير التبدلات التى تقع فيها ، ومن الاسهام اسهاما كاملا بروح اشتراكية صادقة لمنفعة المجموع وخيره . واذا ما ارتبط التعليم بحل المشاكل ، فان من الواجب والحالة هذه تبين الحقيقة الواقعة وهى ان هناك أنواعا مختلفة من هذه المشاكل . ولا يمكن مثلا أن نكون جميع المشاكل التى تواجه أية أمة من الامم فى أى وقت من الاوقات مهنية مجردة فى طبيعتها . فبعض المشاكل تتعلق بالليبرالية ، وتختص بالقيم اليسرية وبالسياسات التى تؤثر تأثيرا مباشرا على الناس . ولكن على الرغم من ان هذه المشاكل قد تستهدف بالتعابير الكمية والارقام ، الا انها لا يمكن أن تصاغ فى مثل هذه التعابير دون أن تخلف بقايا . ولا يمكن الحصول على تلك الحساسية العقلية وتلك الروح اللتين تمكنانا من موازنة الاعتبارات المتعلقة بالموضوع هنا ، وصقلهما عن طريق التدريب المهنى ليس الا . فالامة قد تفتناج فى كل حين وأن الى ضرورات ملحة . وليس من هذه الضرورات الملحة فى الواقع التعبيرى الا ضرورات آنية . ولكن لا يمكن أن يصاغ البنيان التعليمى للامة صياغة صارمة بطريقة مستعجلة وأسلوب انتهازى لمعالجة المشاكل الآنية وحدها . فالتعليم نشاط مستمر على طول السنة ، ويحل فى مكنة انسان أن يحدد حاجات الشعب من وقت الى آخر ، أو أن يبين الطريقة التى قد تتحول فيها وتبديل ؟ فالحاجات تتبدل ، اذ أن بعضها قد يتحقق والبعض الآخر قد يكبح ويكبت بينما قد تخلق حاجات جديدة فى كل وقت . ومن واجب البنيان التعليمى للامة أن يعد بحسب الترياق الشافى واللازم لجميع الحاجات المتبدلة وحتى الحاجات غير المنظورة . والقدرة على تحقيق هذا هى التفسير لذلك الافتقار الظاهر للواقعية الذى يقض على الكثير من الجامعات مضاعفها . ويزعجها كل الازعاج . والاستعداد لمعالجة المشاكل التى لم تظهر بعد والتى يصعب تحديدها أو شرحها ، يمكن أن يتألى بصورة الخيال . عندما يمتحن امتحانا عسرا مع المشاكل الملحة والمرهقة . ومن الواجب مطالبة الشدوب العديدة فى افريقيا بتفهم فضائل هذا الخيال والعطف عليها . وقد يكون من الخطأ على أى حال بالنسبة الى أية جامعة ، أن



نصب على نفسها أو أن نحتق خيالها بما يخلفه هذا الخيال من متعة اد  
عندما تتحول الجامعة الى برج عاجى منيع لا ينفذ اليه ، ولا نتجواب مع  
مسائل الساعة بسبب استغالها التكويني بمشاكل الماضى أو مشاكل  
المستقبل ، فانها تغدو سيئا مقيتا يذير الاستهجان .

ويمكن اخفاء شىء من التأكيد والتوجيه المؤقتين على البنين  
العلميى للامة فى بعض الاحايين وطبقا لقواعد معينة . فملا يمكن  
الاكتار من المنح الدراسية لبعض فروع المعرفة بالنسبة الى الفروع  
الآخري ، وذلك ابان الفترات الزميه التى يكون النقص فيها فى عدد  
الاكفاء فى ذلك الفرع حادا للغاية . وفى الامكان توسيع الدوائر  
ليجتاوب مع هذا التوسع مع غزارة العمل أو وفرة الطلب على المهارات  
الفنية . وعلينا أن نذكر أن قيمة المنقف فى كثير من الحالات بالنسبة  
الى مجموعته لا تكون فى مدى ما تعلمه ، أو فى مدى ما يمكنه تطبيق  
ما تعلمه فيها ، وانما تكون فى انضباط عاداته العقلية ، وفى صقل قواه  
الفكرية وشحذها وهى القوى المتأصلة فى تجاوبه الطويل وغير اللازم فى  
حقول العلم والمعرفة .

ولم يتميز التعليم فى افريقيا فى الواقع فيما مضى بالمرونة . فلم  
كان يتجه الى حد كبير الى ما كان يعتبر ضمن الحدود العقلية الضيقة  
والمؤقتة بمسائل الساعة . ويبدو أن هذه المشاكل كانت تتلخص فى  
صرورة اخراج عدد كاف من الكتبة والوعاظ . وكانت ثمرة هذا الوضع  
خلق هذا الافتقار الهائل الى التوازن ، القائم حاليا فى التعليم الافريقى .  
وقد أمكن ازالة هذا الافتقار الى التوازن ببسط عن طريق الجهود التى  
بذلتها الحكومات الوطنية .

ويرتبط سوء هذا الافتقار الى التوازن بوجهات النظر التركازية  
الانوية التى ميزت الدراسات الأوروبية عن افريقيا . فلم تكن افريقيا  
تمثل للآوربيين قارة لها كيانها الخاص بها . ولهذا فإن التعليم لم يرسم  
لخدمة المجتمعات الافريقية ، والحفاظ على وحدة المجتمع فى الوقت نفسه ،  
وانما رسم لتقوية ما تقدمه افريقيا لآوروبا من خدمات . ومن هذا نشأ  
هذا الشكل الغريب للتعليم بكل ما فيه من محتوى تافه .

وقد عانى رواد علم الاجنساس البشرية من الآوربيين من نفس  
التركازية الانوية فى افتراضهم أن المجتمعات الافريقية هى صور أقل  
نجاحا من مجتمعاتهم ، وأن العقائد الدينية والغيبية الافريقية ليس  
الا أوهاما علمية تافهة .

وعلى الرغم من ان هذا الافتراض يبدو طبيعيا ، إلا أنه لا يقل خطأ  
عن الافتراض السابق وذلك بسبب الوسط الثقافى - الذى نبج منه

علماء الاحساس البسرية . اذ لما كان هؤلاء يعيسون عصورهم العلمية في أوروبا ، فقد خيل اليهم ان جميع المجموعات الاخرى ، تهتم بما يهتم به مجتمعهم ، ولكنها تفتقر الى الطافة والدكاء . وعندما كان يحسم عليهم التفكير في موضوع المجموعات الاعربية القديمة ، كانوا بدون استعداد اكبر ، اذ أن هذه المجتمعات لم تكن معاصره لمجتمعهم ، وكانوا يميلون الى معالجة النظريات الاعربية على انها فلسفة أو غيبية لا على انها علمية في غالبيتها . أما افريقيا فكانوا بعالجوها على انها شكل ضيق محصور من اسكال التنسيبه واذا كانت الحكومات الافريقية نفسها على استعداد لدفع المال من أجل الاتفاق على البحوث العلمية في الفن والدين والفكر ، فان في الامكان ظهور صورة صادقة ومكتملة للشخصية الافريقية بسرعة وسهولة . وللبحوث الاجتماعية في افريقيا وأوروبا أساس مادي عميق كل العمق . وقد تكون المبررات لهذه البحوث في أوروبا أكثر منها في أفريقيا ، اذ أن سيطرة النظرة المادية على الفكر الأوروبي أكثر كمالا منها على العقل الافريقي .

فما زال العقل الافريقي بسجيب بصورة مبدئية الى الفن والدين والموسيقى والاخلاق ، أما العقل الاوربي ، فقد بات صورة مستكملة للسفسطائية وتحتم على أوروبا لابراز أفكار تتمتع بالاحساس الطبيعي والتجاوب مع هذه الافكار ، ان تغوص في أعماق ماضيها وتاريخها العريق . وقد يرى المرء بين الآونة والاخرى ، جمهورا من النظارة الذين اسهوتهم أعمال التطرئ الاسبانية التي يعود تاريخها الى القرن التاسع عشر . ولا ريب في أن ما ينطلبه العقل الاوربي الحديث من نهوض واعداد وثتقيف ، لبعث احساسه بالتجاوب مع كل ما هو سام وجميل ، وما يتصف به من تطبيقية جامدة لسفسطائيته ، هما الدليل الواضح على جفاف جماليته . والجمالية المثقفة حساسية مصطنعة . وعندما تكون الحساسية طبيعة فقط ، تبدو آنية لا حهد فيها ، وتصبح رائعة ، ملهمة ، لاتدعو الى التقزز والتأفف . أما الحساسية المصطنعة المتفلسفة فتمزق كل ما نتصوره . انها الحساسية التحليلية التي تغوص الى الاعماق في بحريها ، والتي تبث في الامور وكأنها موسى قاطعة . وهناك تضيق بصيب ذلك الخضاب الداخلى الذى يصيب عشرات الالوف من المساعر المججلة الطناسة في حالة من التمل البدائي ، الذى يعتبر خلاصة الحساسية التي هي الفكر القائم على المنطق .

ولكن يبدو من الضروري رغبة في عدم ضياع الحساسية الافريقية عن طريق الاغراق في التعليم التقنى أن نقتات هذه الحساسية على لغاتها المحلية الخاصة بها وينعكس مدى الاحساس دائما في مرآة الامكانيات اللغوية ، وعن طريق الاستغلال الدائم لهذه الامكانيات أولا عن طريق

تسجيل الأدب الإفريقي التقليدي وذلك حتى يمكن الحصول على وعي دقيق  
باللغات كلغات مدونة ومكتوبة . وسنجعل الألفة المفهومة التي يجعلها  
هذا الوضع أمرا ممكنا ، من السهل على الكتاب أن يغرفوا أنفسهم في  
تقاليد أدبية عقيمة .

ولقد أوصحب في الفصل الثاني أن هناك شيئا من التشابه في  
جماعية التقاليد الإفريقية وبراها . وبجعل هذا التشابه امكانية التعاون  
في الوسائل المؤدية الى المحافظة على الحساسيه الإفريقية شيئا طبيعيا  
وممكننا . ولكن هذا الأسلوب ليس بالوحيد حقا في ضمان نجاح التعاون  
في إفريقيا . فهناك أوجه عدة للتشابه ، تكفي لدعم كل شيء ، حتى  
حركة الوحدة الإفريقية نفسها ، التي هي الملل الاعلى للإفريقيين . ولقد  
تحدث في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، كثيرا ، لايضاح طبيعة  
الوجود الثقافي المتشابه في إفريقيا . ولكن علينا أن ندرك دائما ان  
الوجود الثقافي المتشابه ، يجب ألا يعنى دائما التماثل في التعبير عن  
الأفكار القيادية لأية ثقافة . ولقد ناقشت في ذلك الفصل الرأي القائل  
بأن النقاثة تطل واحدة حتى ولو اختلف الوسط الذي نعيش فيه  
ولا سيما في الوجه الذي يبدو فيه للعالم . وعلى هذا النحو يتضح ان  
الثقافات المتشابهة تستطيع أن يفهم أوساطا مختلفة في نفس الوقت وفي  
أماكن مختلفة . وتعتمد الأنظمة والطرائق التي تعبر عن الثقافة في  
شكلها ومحتواها ، على الظروف السائدة والامكانات المحلية . ولكنها  
لا تعتمد على هذه الظروف والامكانات في الهامها وأبحاثها ، وذلك لان  
هذا الإلهام ينشأ في المذاهب الفلسفية والعقائد الدينية . ويعوم الوجود  
المتشابه بين ثقافات إفريقيا « السوداء » في هذه العقائد الدينية .

وقد استندت المعارضة للجامعة الإفريقية دائما على مسائل اقتصاديه  
وسياسية . ومن الواضح ان إفريقيا متحدة في مصالحها في الانمساء  
الاقتصادي . ويقول ساسة إفريقيا ورجال الحكم فيها ان الاستقلال  
السياسي يبدو ساذجا عربيا اذا كان مفتعرا الى القوة الاقتصادية والمرونة  
وقد يبدو من الطبيعي والحالة هذه ، أن يتساءل المرء عن الاسباب التي  
تحول دون التكامل الإفريقي عن طريق الوسائل السياسية . ولماذا يضطر  
المرء الى الاستعاضة عنها بالعزى الثقافية ؟ ان السبب واضح في هذا كل  
الوصوح ، وهو انه ليست ثمة في إفريقيا منطقة واحدة تطورت تطورا  
اقتصاديا عاليا الى الحد الذي يؤدي الى هذا التكامل بالوسائل  
السياسية . أما في أوروبا ، فالوضع مختلف تمام الاختلاف اذ ان معظم  
بلادها متطورة تطورا كبيرا من الناحية الاقتصادية ومن هنا يصبح من  
السهل ايجاد التكامل الأوروبي دون تعرض أية منطقة من مناطق القارة  
الى اخطار لا داعي لها ولا مبرر . ففوة الاقتصاد الأوروبي تخلق في

الواقع ، شيئا من السواكل والاعتماد المتبادل بين دول القارة ، وبحل شيئا من الاتصال الاقتصادي الذي لا مفر منه في تجارتها وهناك رباط اقتصادي قائم بينها يستند الى أساس الحاجة المتعرف بها الى تعقل الاتصال الاقتصادي وتبسيطه ، ولا ريب في أن كمال النقافات الافريقية يمثل في قوة الدعوة الثقافية الى الجامعة الافريقية تماما كما ان كمال الاقتصاد الاوروبي يتمثل في قوة الدعوة الاقتصادية الى الجامعة الاوربية .

فلم يصل اقتصاد افريقيا بعد الى مرتبة الكمال أو القوة أو المرونة ولهذا فان هذا الاقتصاد لا يقدم بعد الرابطة الوحيدة التي يقدمها الاقتصاد الاوروبي .

ولا يعني هذا مطلقا ان الدعوة الى الجامعة الافريقية خالية من جميع الحوافز والنعم الاقتصادية . فعند هذه النقطة بالداب تنهاى جميع الاعتراضات عليها النابعة من الاعتبارات الاقتصادية . فافريقيا أعسى حارة في العالم . ولكن معظم نرواتها ما زالت جامدة في مرحلة «الامكان» ومرحلة « الركود والنوم » . وهي تعاني أى افريقيا ، من ناحية الموارد الطبيعية ، من التجمه والوفرة . فهناك بصاعف وازدواجه في هذه الموارد في جميع أطراف القارة . وعلى الرغم من عدم استكمال أعمال المسح الجيولوجي فيها حتى الآن . فان من المعروف انها تصم كميات هائلة جدا من الكوبالت والنحاس والراديوم والاورانيوم والماس والغانديوم والمنجنيز ومسحوق الكروم والبوكسيت والحديد والفحم والذهب والقصدير وغيرها وستكشف أعمال المسح الكاملة المقبلة حتما ، عن وجود كميات أخرى من بعض هذه المعادن على الاقل وحتى لو طل استثمارها لها على صعيد المواد الخام ليس الا فان هذه الموجودات المعدنية تستطيع أن تعين القارة أكبر العون على تجميع الرساميل وعلى الحصول على الثراء . ولكن هل من الضروري أن تفيد افريقيا نفسها على صعيد المواد الخام ليس الا ؟ ان ما نحتاج اليه افريقيا في موضوع مخزونات المعدنية هو أن تقوم بمسح جيولوجي واسع وشامل على الطريقة التي اتبعها الاتحاد السوفياتي . فلقد كان الدليل الذي قام على وجود مخزونات معدنية وافرة ومتعددة ضروريا كل الضرورة لتأكيد نجاح الثورة ولا ريب في انه ليست هناك في افريقيا دولة واحدة تملك من الرساميل والمهارات ما يمكنها من استغلال مواردها بأحسن السبل وأكثرها نفعاً وفائدة ، وقد يكون في وسعها أن تجتنب من الخارج الرساميل عن طريق القروض أو الاستثمارات . وفي وسعها أيضا أن تغري أصحاب الخبرة والمهارة الفنية الذين تحتاج اليهم . ولكن اذا كان رمة عدد كبير وضخم من البلاد التي ننشد قروض المساعدات الخارجية ، تمل أمركا وروسيا وأوروبا الى تقديمها فان من الواضح ان أية بلاد

يمفردها لن نستطيع الحصول على مبالغ كبيرة من هذه الفروض ولو أخذنا على سبيل المثال ان بريطانيا العظمى بضخامتها تشدد قرضا بسبعة ملايين جنيه من البنك العالمى ، تبين لنا ان افريقيا المتحدة ، بما يتوافر لها من فائض ضخيم من مخلف المواد ، تستطيع أن تطلب من البنك الدولى وأن تحصل على فروض أكبر مما تستطيع الدول الافريقية فرادى الحصول عليه من الهيئات والوكالات الدولية بعد اقناعها لها بتقديمها . وكل ما كانت الفروض التى تستطيع الحصول عليها أو التى نتوافر لنا أصبح وأكبر ، كلما كانت نقتنا أعظم بقدرتنا على استخدامها فى استغلال بعض مواردنا استغلالا فعالا وفى وسع افريقيا المتحدة ، أن تعتبر بعض الموارد الموفرة فى أكبر من جزء من أجزائها . كمخزونات احتياطية ، وأن تركز جهودها بقوة وعزيمة على استغلالها من المناطق التى يقع عليها الاحتيال ، فى عملية الاستغلال الاولى . وفى الامكان اعادة استخدام الاموال التى نجمع وتتراكم كفائض من مثل هذه المشاريع فى مناطق أخرى ولما كان الاستثمار سينظم ويستعمل على أساس الفارة كلها لا على صعيد اقليمى فان سرعة النمو الاقتصادى للقارة سيزيد كثيرا على السرعة التى يسير فيها هذا النمو لو أتبعنا سبيلا آخر .

وعدد الاشخاص من ذوى الخبرة والمهارة الفية الذين يمكن للبلاد المستنصعة الاستغناء عنهم للعمل فى افريقيا محدود بالطبع ، ومن هنا يتبين انه فى وسع افريقيا المتحدة أن تفيد منهم فائدة أكبر عن طريق تركيزهم على مشاريع مختارة من افريقيا المجزأة التى قد تنشرهم وبوزعهم على مشاريعها المتنافسة المنفردة الى العناية والى الموظفين الأكفاء وستتجمل مشاكل النعد فى افريقيا اذا توحدت بالطبع . وقد يكون مما يجفو الحكمه الغاء العملات النقدية الراهنة فى المراحل الاولى للاستعاضة عنها بنعد افريقى موحد وذلك لسبب واحد على الأقل وهو ان الطاقة الصناعية لافريقيا ، وقدرتها على دعم عملتها ، لم تتوطد اقدمها بعد ، أما السبب الثانى فهو ان افريقيا المتحدة قد تفيد من الارتباطات النقدية التى سترتها مع العملات الاجنبية ، مما يضعهننا بالطبع فى موقف أفضل بالنسبة الى أغراض التبادل التجارى والنقدى وتؤدى الحقيقة الواقعة وهى ان اقتصادها سيكون مرتبطا آنذاك بعدد من العملات الاجنبية التى تمكنها وبشكل أفضل من مجارة ما يطرأ على هذه العملات من ارتفاع وهبوط . وليس من الضرورى فى الوقت نفسه أن تتأثر التجارة الخارجية وأن تتعرض الى أية عراقيل من جراء هذا التفاوت فى أسعار النقد . على أى حال ، لن نكون الوضع بأى حال من الاحوال أسوأ مما هو عليه الآن ، وستظل العملات قابلة للتحويل على الصعيد الداخلى لافريقى .

وعلى الرغم من أن إفريقيا من البلاد المفلحة . إلا أن اقتصادها من النوع المختلف والمتغير . أنه اقتصاد معوج . ونقول معارضو فكره الجامعة الإفريقية وشائوها ، أن الفروق القائمة بين الدول الغنية والدول الفقيرة كما هو الوصف في إفريقيا فعلا ، تؤلف عقاب في طريق الوحدة لا يسهل تحطيمها ويضيف هؤلاء ، أن هذا البون الساسع سيؤدي حتما إلى شيء من الأحجام التلقائي من جانب المناطق الأكثر براء ، من الالتقاء بسهمها والارتباط كثيرا بالمناطق الفقيرة وليس به من لسك في أن عانا هي أغنى المستعمرات البريطانية السابقة بمواردها الطبيعية ، حتى لو أدرجا روديسيا الشمالية التي سوف استقلاتها . أما بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية السابقة ، فيعتبر الغابون اغناها بموارده البولية اد انه مليء بالمتجنيز والاورانيوم والحديد حول مدن فرانس فيل وموانا وبانجا - شيبانجا . ومن المعروف الآن أن الكونغو البلجيكي طافح أبصا بالاورانيوم والنحاس والبوكسيت وإذا ما فارنا المناطق الأخرى من إفريقيا بهذه المناطق نيين لنا انها محرومة من نعم الله كما هي محرومة من نعم الانسان ، ولكن اذا كانت بتأثير المنافع الاقتصادية للوحدة الإفريقية صحيحة ، فإن السبيل الأمثل للبلاد الإفريقية الغنية ، هو أن تلقى بسهمها مع أخواتها الفقيرات ومن واجب مشاعر الأخوة السابعة من وحده التفاف الإفريقية أن تجعل من هذا الطراز من النصيحة المؤسفة والمستتيرة شيئا ممكنا ومقبولا ، ويخلق الوحد المسابه للثقافات الإفريقية السابغ من تجارب مسرکه مع السبطرة الأجنبية من خارج الفاره ومن الاماني الواحد ، رباطا سحرها يمكن استخدامها في ربط جميع المناطق في وحدة إفريقية جامعة . وفي وسع المناطق الإفريقية المتحدة في جامعة إفريقية أن تؤلف مرتبة واحدة ، تربي بها الاستعمار الزائل ، وأن تنتصر عليه مجتمعة . وقد تمت حتى الآن إقامة مسارب المساعدة المتبادلة بين الدول الإفريقية . ولعل أروع الاملة على هذه المساعدة . ماقامت به عانا من وضع عشرة ملايين حسه تحت تصرف غينيا . وقد شرع النيجريون يتحدثون عن مسارب المساعدة لسرالبون وإن كانت هذه المساعدات لا تخرج عن حدود ألوف الجنيهات (١) .

(١) أعتقد أن المؤلف قد سى وهو يصبر الاملة من المساعدات المتبادلة بين الدول الإفريقية ما تقوم به الجمهورية العربية المتحدة من دور عظيم في هذا الميدان وليس أدل على هذا الدور من اتفاقات المساعدة المتبادلة التي عقدها الجمهورية مع عدد من الدول الإفريقية كعمبيا ومالي ونيجيريا والصومال وغيرها والتي يبلغ بعضها ملايين الجنيهات . ومن الحدير بالذكر أن الجمهورية العربية المتحدة في موقعها هذا تشعر بأنها تؤدي واحدا مقدسا لقضية الصال الإفريقي في سبيل الحرية والاستقلال ..

وفي وسع الجامعة الأفريقية أن تكون طاردا من الضمانات المتبادلة على الصعيد الاقتصادي للمناطق المختلفة في أفريقيا . أجل في وسعها أن تكون من الباحة العملية ضمنا موكفا يقي هذه المناطق من الانهيار الاقتصادي الكلي وفي وسع هذا الشكل من أشكال الضمان أن يمكنها من تنظيم انزراعه فيها على أسس معقولة . فغانا ونيجيريا وساحل العاج والكاميرون مصدر كميات ضخمة من الكاكاو . وقد اتخمت الأسواق العالمية بهذه المادة تخمة كبيرة وذلك بسبب ما تصدره البرازيل من كميات هائلة منها . وقد أدى وجود مادة أخرى تعتمد عليها البرازيل في صادراتها وهي البن ، الى تحديد ما تصدره من الكاكاو الى الأسواق العالمية وذلك بسبب هبوط أسعاره في هذه الأسواق هبوطا مفاجعا . لكن البلاد الأفريقية ، نظرا لاعتمادها الكلي على دخلها من ناتج الكاكاو . كانت عاجزة عن الاشتراك مع البرازيل في مشروعها الرامي الى تحديد التصدير والذي يعتبر مغامرة اقتصادية . ولو كانت أفريقيا موحدة في جامعه واحده لكان في وسعها أن تحطط زراعها وان تصنعها وتنوعها فتحدد بذلك احتياجات الأسواق العالمية ، لتحول فورا دون وجود فائض فيها ، ولتحصل على أقصى المربح من جهودها في التصدير . وفي وسع الايدي العاملة التي تنحدر من ميدان واحد ، ان تستخدم بصورة مناسبة واحبانا بصورة كافية بما في إنتاج الغذاء لاسهلاك القارة الأفريقية كلها وفي الامكان تنظيم إنتاج زيت النخيل أيضا . وبمفس الطريقة في نيجيريا والكونجو البلجيكي السابق وداهومي . وهكذا فان الاقتصاد والتنافس في افريقيا يتطلبان الوحدة الأفريقية كوسيلة للنهوض بالامل .

وكثيرا ما ينفذ مشكلة نقص السكان في أفريقيا كموضوع بصرف انتباه الناس عن الوحدة الأفريقية وطرفها . لكن هذا النقص لايعوم في الواقع الا على سبيل المقارنة مع القارات الأخرى . واذا ما نظرنا اليه على صعيد المدى الذي وصل اليه التقدم الاقتصادي في القارة ، تبين لنا بوضوح ان افريقيا لا تسكو في الحقيقة من نقص في عدد سكانها ومن المحتمل أن يكون العدد المحدود لسكانها نفعاً على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي . وهكذا كان في وسع افريقيا ان تتجنب المشاكل الاقتصادية التي نواجهها أية بلاد منخمة بالسكان مع وجود نظام اقتصادي ضعيف فيها . والواقع الذي يعنى ان عدد الافواه التي يطلب اطعامها في افريقيا أقل بكثير من عددها في الصين أو الهند على سبيل المثال ، يستير الى أن في وسع افريقيا ان تحسد في أسرع وقت ممكن وفورا زراعية ضخمة ، وان يوفر جزءا من الجهودات الزراعية لاغراض التصدير . وسيؤدي نقص السكان في افريقيا أيضا الى الاسراع في تقصيرها على أسس تقنية ، اذ أنه بخلق ضرورة طبيعية للتألية والمكنة ، وسيتمكن الافريقيون عن هذا الطريق من التعرف.

بسرعه على وسائل المفيه ( التكنولوجيا ) ونحذر اعداد كبيرة وواقعية منهم للعمل فى مختلف المجالات الانسانيه والاجتماعيه المنسجمه مع أسسة مجتمعاتهم الجماعيه • ولا ريب فى أن سرعة الأفريقى فى استيعاب المعرفة ستكون فى مصلحة القارة كلها • ولقد أظهر الافريقى هذه السرعة فى اكتساب المعرفة فى براعته فى تعلم اللغات والعلوم الاوروبية • ولا تؤلف قواعد المهارة اليدوية أية مشاكل خطيرة أمام الافريقين فقد تمكنوا فى عصون جيلين فقط من اسنياعاب المعرفة الاوروبية وتملكها ولا ريب فى أن السرعة التى اجتاز فيها الأفريقيون هذه المرحلة سنحلمهم أيضا على اجتياز العصر التقنى • بنفس العزيمة والنشاط •

وأخيرا تؤدي الجامعة الافريقية الى نلطف الآثار التى يخلعها التوزيع غير المتساوى للسكان فى طول القارة الافريقية وعرضها •

وعلى الرغم من أن الوحدة الافريقية تبدو وكأنها حركة داخلية تخص افريقيا وحدها ، الا أنها نير من الناحيتين الاقتصادية والسياسية اهمام القارات الاخرى وللقها ، ولا سيما القارة الاوروبية التى كانت افريقيا مرتبطة بها حتى الآن أوثق ارتباط • ونحلى افريقيا المشاكل للسوف الأوروبية المسركة كما أن هذه السوف نحلى المشاكل لافريقيا • فالسوف الأوروبية المسركة تعتمد على المواد الأولية من افريقيا ، كما تعتمد هذه على تجارتها مع أوروبا • ولكن لا يتظر أن تطل الصورة التى تريدها أفريقيا لنفسها ومستقبلها هى صورة المنتج الأزل للمواد الأولية لصناعات الآخرين • ويتحسم على أفريقيا بالطبع أن تبيع لغيرها المواد الأولية التى لا تستطيع أن تستعملها هى ، ولكن من واجبها أن سير نحو الصنيع وأن نزيد من استعمالها للمواد الأولية ، التى تسجها ومن المحنوم على الملاد التى ننتج المواد الأولية وتصدرها لتعود فتستوردها على شكل صناعات جاهزة ، ان تخسر وان تكون خسارتها كبيرة ، اد ليس ثمة من وحه على الاطلاق للمعارنة بين الأسعار التى تنقاضها أفريقيا من أوروبا بما لموادها الأولية ، والاسعار التى يتحتّم عليها أن ندفعها الى أوروبا لنمنا للسلع الجاهزة التى تستوردها منها • وتكون نتيجة الميران التجارى دائما الى جانب الخسارة الكبيرة البالغة ولكن دول السوق الأوروبية المشتركة قد ترعب فى ضمان مصادرها من المواد الأولية التى تحتاج إليها ، ولهذا فقد تعمل هذه الدول على اقناع أفريقيا بتأجيل تصنييعها أطول مدة ممكنة والى أكبر حد تستطيع فيه أن تنقدم بمثل هذا الاقتراح ومن الضرورى بالنسبة الى أفريقيا ألا تفلح السوف الأوروبية المشتركة فى تجزئتها وتفسيح وحدتها اذ على الرغم من أن هذه السوق قد لا تعدد افريقيا بشيء الا أنها قد تستطيع خلق الخصومات والفروق بين دول هذه القارة عن طريق مانقترحه من حواجز التعريفية الحمركية • فلو ارسلت السوق مع بعض



البلاد الافريقية لا معها كلها . وكان اقتصاد هذا البعض يقف موقف التنافس من البعض الآخر ، فان الوحدة الافريقية سواحها صعوبة جديدة .

ويقال في بعض الاحيان ان بعدد اللغات في افريقيا يؤلف حاجزا فعالا في طريق الوحدة الافريقية . وقد أوضح ديلافوس ، المنحصر في السنون الافريقية ان هناك أربع مجموعات أساسية من اللغات من الفارة سماها بالسودانية والنيلية وسبه البانتو والبانتو . ولكن تصنيفه هذا يعرض لهجوم عنيف من بعض النقاد الاذكياء الخبراء في السنون الافريقية من أمثال جريبرج ، الذين قالوا بأن تسمية بعض اللغات الافريقية بأنها سبه البانتو تسمية سحيقة تماما كالقول بان الانجليز هي لغة شبه المايه . واخترع آخر من الدهاقنة في بحوث اللغات الافريقية ويدعى ويسرمان تعبيرا جديدا ولاذعا اذ اطلق على اللغات التي تتكلم بها قبائل الوجولاند من غير « الايوى » اسم البفايا أو المخلفات ولكه ويالأسف لم يسر في قليل أو كثير الى الاصل الذي يمكن أن تكون هذه اللغات من محلفانه أو بقايا . وقد يكون من العسير على الانسان أن يدعن لتوجيه اللغويين الافريقيين التقليديين. ويبدو أن هؤلاء اللغويين لم يكونوا يحسون احساسا كافيا بالفروق العنصرية أو الخصائص الاقتصادية والمهنية والتنمية . ويقول جورج مورودوك على سبيل المثال في هؤلاء اللغويين التقليديين ، وله كل الحق في جميع ماقاله ، ان كثيرين منهم بدوا وكأنهم يعتبرون رعاية قطعان الماشية وحلبها من السمات اللغوية ، بل وسمه طاعية كل الطغيان . ويجد بعض اللغويين الافريقيين أنفسهم عند هذه النقطة في بحر غامر من الخيال المذهل . ديلافوس مثلا ، الذي كثيرا ما يفتبس منه حصوم الوحدة الافريقية وهم الذين يستندون في وجهات نظرهم الى وجود مجموعة من اللغات التي لا يمكن التفاهم بها والتي تسبه لغات برج بابل هوأحد الذين يخلطون كل الخلط بين المجموعات اللغوية في افريقيا وهو يسنعيز بشكل يائس عن قواعد علم الاجناس البشرية بقواعد علم الحروف ، حتى وهو يحاول اقامة الدليل على آرائه في الاجناس مما يستثير الدهشة حقا . وعندما تقوم الادلة الثابتة والعامة على وجود علاقة بين قواعد الاجناس البشرية وقواعد علم الحروف يغدو من الصحيح استقرايا وأسلوبيا « اسناد النتيجة التي يمكن الوصول اليها هنا الى القواعد المستقاة من هناك . ولكن يبدو لي أن عقل ديلافوس وحده ، هو الذي قضى على كل شكوك واضحة وظاهرة في هذا الموضوع » .

وعندما يصل أصحاب نظرية بابل « الى ادعاء وجود عدة ألوجه عامة للسبه بين اللغات الافريقية ، فانهم يطلقون على أوجه الشبه هذه عن سابق عزم وتصميم اسم العلاقات ، ويسار هنا الى أن هذه اللغات تلجأ دائما الى استخدام الجواذء أو الكواسع أو الزوائد في الكلمات لتعطى

معاني خاصته (اضافة لفظ فى أول الكلمة أو آخرها أو وسطها لاعطاء معنى خاص ) ولكن اللغة البونانية تصبف مثل هذه الزوائد على الكلمات أيضا .  
فهناك افتقار مرعوم الى الكلمات للتعبير عن المعانى الجامده غير المصروفة كما أن هناك عنى مماثلا فى المعانى المحدودة وفى أهمية اللفظ بالنسبة الى تركيب الكلمة وعلاقتها باللفظ ، فان هذه الظاهرة طبيعية فى اللغات غير المعربة السى نعتبر الانجليزىه مثلا بارزا من أمثلتها . ويظل لتربيب اللفظ والكلم أهميته بالنسبة الى الاعراب حتى عندما تكون ثمة اعراب للالفاظ الانجليزية وان لم يكن هذا الاعراب كافيا لتجنب الغوضى والاربك . ولننظر على سبيل المثال الى الحملتين الانجليزيتين « اعطه اناها » و « اعطه لها » . ولم يكن تفسير أوجه السبه هذه فى افرىيا فويا للغاية عن طريق الانسار السريع للاسلام أو العلاقات التجاريه . فاللغه اما أن تكون من اللغات المعربة فى مجموعها أو لا تكون . ولو احذنا هدين اللدين معا ، ونظرا الى ندرة الابتكارات الاخرى التى تستطيع اللغه اللجوء اليها لاهداف اعرابيه كتربيب الكلمات أو النغم اللفظى أو ماشابههما ، سبن لنا أن من السخف ان نرى فى الحقيقة المجردة عن وجود لغين تنسباها فى ابتكارانهما ، لغزا ، يطلب جله اسنقصاء مجموعة من النظريات » .

ومهما كانت مرة هذا الحوار اللغوى فان من الواضح ان بعدد اللغات فى افرىيا ونوعها ، لم يجعل بعد من العسير احداث الاتصال الداخلى بين الافاليم الافرىيه ، ومازال اللغات الرسميه السائعه هى الفرنسيه والانجليزىه والاسبانيه والبرتغاليه . ومادامت هذه النعمة موجودة فليس ثمة من داع الى أن تكون اللغات الداخليه فى الفاره عقبه فى طريق وحدتها وبدلا من أن يكون بعدد اللغات فى افرىيه عقبه فى طريق وحدتها ، فان فى مكنته أن يكون أداة من أدوات وحدتها وذلك بالنسبة الى ما يخلقه من مصلحه طبيعیه . ومجهود فى آداب هذه اللغات وكذلك فى التفهم الكيى والفعال الذى تؤدى اليه هذه المصلحه وذلك المجهود .

ومع اننا نوصى بالوحدة الافرىيه كتنى ايجابى . فان وسائل تخفيفها أمر يجب أن يناقش ويبحث بشكل واضح . وليس هناك ما هو أشد فحجة بالنسبة الى افرىيا من القيام بمحاولة عامة كاذبة فى هذا السبيل ولقد بدأت وحدات منطقية أصيلة فى الطهور فى افرىيا ولعل أبرز الأمثلة عليها اتحاد غانا وغينيا ومالى . والاتحاد المنتظر فى افرىيا الشرقيه . وبمثل هذان الاتحادان نموذجا للوحده التى تنطوى على الاحماع أو شبه الاحماع ، فى مواقف الدول المنظمة اليها من الشؤون الداخليه والخارجية . ولا ريب فى أن هذا الطراز من الوحده الاصيلة ، لاطراز الوحده التى تتمثل فى دماة الزمالة وكياسة الاحاديب على موائد الشاى

هو الذى سيسعد أفريقيا • ولقد فيل ان نحقيق الوحدة فى الولايات المتحدة الامريكية قد استغرق مائة وسبعين عاما • ولكن الضغوط الداخلية والخارجية انى نعرض لها اربعين اليوم هى أقوى بكثير من تلك التى واجهتها أمريكا ، والنسبة كان فى امكانها أن تعالجها على مهل وفى وقت طويل • وقد برهنت افريقيا على أن سرعة العمل ، من حصائصها المحدودة ومن الواضح كل الوضوح ، ان هناك اخطارا تواجه افريقيا فى حالة بقائها مجزأة ، وان هذه التجزئة سببى على عجزها وضعفها ، وألا خلاص لها الا بالوحدة ولا ريب فى أن وصوح هذه الامور بالنسبة الى افرىما اليوم أعظم بكثير من وصوحها بالنسبة الى الولايات المتحدة فى انامها الاولى • وليس تاريخ القارات الا كمثل الحلم الذى حلمه سوخذ بصر امراطور بابل ، اذ رأى ماردا ، نألف أجزاء جسمه من مواد مختلفة ذات ومبص منازيد • وستقيم افريقيا الدليل فى وحدتها على أن قدمها ليستا من الفخار • وسكون تاريخها فى وحدتها ، تاريخ أمجاد واشراف ، وتاريخ يحصى آثار مختلفة من آثار الوحدة والكرامة •

( تم الكتاب )

# الفهرست

الموضوع	الصفحة
تقديم العرب	٣
الاهمـدء	٧
مقدمة	٩
العقيدة والمجتمع	١١
نمودج المجتمع الأفريقي	٤٨
نظرة الأكائيين في الحكم	٨١
الاستقلال ضاع واستعيد	١٢٥
بعث أفريقيا	١٧٥

## تحليل حركة الملاحة في القناة خلال ديسمبر سنة ١٩٦٢

### الحركة الملاحية :

حققت السفن التي عبرت القناة خلال ديسمبر ١٩٦٢ زيادة قدرها ٧٣ سفينة أى بنسبة ٤٩٪ على تلك العابرة خلال نفس الشهر من الشهر من عام ١٩٦١ .

فقد بلغ عدد السفن العابرة خلال ديسمبر الحالى ١٥٦٢ سفينة مجموع حمولتها الصافية ١٦٤٧٠٦٩٨ طنا - بمتوسط يومي قدره ٥٠٤ سفينة مقابل ١٤٨٩ سفينة حمولتها الصافية ١٥٧٦٦٩٦٨ طنا ومتوسط يومي قدره ٤٨ سفينة فى ديسمبر ١٩٦١ .

وعبرت القناة من الشمال الى الجنوب خلال الشهر الحالى ٧٥٩ سفينة مقابل ٧٢٤ سفينة فى ديسمبر الماضى - بزيادة قدرها ٣٥ سفينة ، ويرجع ذلك الى أن السفن المحملة قد زادت بمقدار ١٠ سفن ( ٣٩٠ مقابل ٣٨٠ ) وكذلك السفن الفارغة بمقدار ٢٥ سفينة ( ٣٦٩ مقابل ٣٤٤ ) .

وبلغ عدد السفن العابرة من الجنوب ٨٠٣ سفن مقابل ٧٦٥ سفينة بزيادة قدرها ٣٨ سفينة ، وهذا نتيجة لزيادة السفن المحملة بمقدار ٢٥ سفينة ( ٧٤٨ مقابل ٧٢٣ ) والسفن الفارغة بمقدار ١٣ سفينة ( ٥٥ مقابل ٤٢ ) .

### الحمولة الصافية :

زادت الحمولة الصافية للسفن التي عبرت القناة خلال ديسمبر الحالى مقارنة بمثلها فى ديسمبر الماضى بمقدار ٧٠٤٠٠٠ طن أى بنسبة ٤٥٪ ( ١٦٤٧١٠٠٠ طن مجموع حمولتها فى ديسمبر ١٩٦٢ مقابل ١٥٧٦٧٠٠٠ طن فى ديسمبر ١٩٦١ ) .

وبتقسيم الحمولة الصافية طبقا لاتجاهى العبور، يتضح انها قد حققت زيادة فى كلا الاتجاهين ، فقد بلغت الحمولة الصافية للسفن العابرة من الشمال الى الجنوب خلال الشهر الحالى ٨٠٨٠٠٠٠ طن مقابل ٧٩١٦٠٠٠ طن خلال نفس الشهر من عام ١٩٦١ أى بزيادة قدرها ١٦٤٠٠٠ طن ، وذلك نتيجة لارتفاع الحمولة الصافية للناقلات الفارغة ، وبلغت بالنسبة للسفن العابرة من الجنوب الى الشمال ٨٣٩١٠٠٠ طن مقابل ٧٨٥١٠٠٠ طن أى بزيادة قدرها ٥٤٠٠٠٠ طن ، وتعود تلك الزيادة الى ارتفاع الحمولة الصافية بالنسبة لجميع أنواع السفن عدا سفن البريد .



# مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبید - روض الفویح

تلفون { ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢  
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ }



# مجموعة اخترنا لك تصعد

اسبوعية باللغات العالمية  
ويشارك في تحريرها واعدادها  
لجنة اخترنا لك



المراسلات  
الدار القومية للطباعة والنشر  
١٥٧ شارع عبير - روض الفرج

٤١٠١٢ - ٤٠٧٥٣ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨